




١

الالتزام عند الكتاب المصريين

تأليف د./ سهام هاشم

الالتزام عند الكتاب المصريين

قضايا مصرية ـ ١

الإلتزام عند الكتاب المصريين

تأليف د./سهام هاشم

مصر العربية للنشر والتوزيع

١٣ ـ ١ ش اسلام ـ حمامات القبة
ص . ب : ٥٤٧٠ هليوبوليس غرب
القاهرة

تصميم الغلاف   الفنان : حجازى

الطبعة الأولى ١٩٩٣

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الإهـــداء

إلى روح أستاذى يوسف مراد
رائد المنهج التكاملى فى علم النفس
لعلّى قد وعيت الدرس

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

« يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون ، كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لاتفعلون » .
من سورة الصف ، آية ٢ ، ٣

« يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون »
من سورة آل عمران من الآية ١٦٧

« وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم »
« ولقد كرمنا بنى آدم »
من سورة الاسراء

سعيد هو المفكر أو الكاتب الذى يحظى باليقين ... ذلك الذى يستقر عقله بسرعة عند نظرية أو عقيدة ما ... وتسكن نفسه فى تفسير محدد للحياة ... التاريخ والمجتمع والانسان .

سعيد ذلك الانسان الذى يصل الى منطق متكامل للماضى والحاضر والمستقبل . سعيد ذلك الانسان فيلسوفا كان أو مفكرا أو كاتبا أو زعيما أو فردا عاديا .

انه كالسفينة التى تجد المرفأ الهادئ ، قد ينال المجد ، أو قد يصل الى أقصى درجات النفوذ ، أو قد يقضى عمره فى السجن أو مشردا فى العراء ، ولكنه ، أيا كان موقعه ، يكون فى سلام مع نفسه ، فاعتقاده أنه يمتلك « الحقيقة » لايتزعزع وهذا يعطيه قوة وراحة من نوع خاص .

الكاتب أحمد بهاء الدين

ان تصورا مناسبا للشخصية الانسانية لايمكن الا أن يقوم على أساس معلومات وبيانات تجمع من واقع الذين لو خيروا أن يعيشوا حياتهم من جديد لاختاروا ماعاشوه ، لأنهم عاشوا وجودهم كما يود الانسان أن يعيش هذا الوجود .

من مسلمات الدراسة

تقديم

يسرنى أن أقدم الى القراء فى مصر وفى الوطن العربى دراسة رائدة تعتبر الأولى فى موضوعها فى المكتبة العربية وذلك من حيث كونها تطرق موضوعات متميزا عن دراسات علم النفس المتعارف عليها وأعنى به اشكالية الالتزام .

وقد تصدت الكاتبة الدكتورة سهام هاشم لمعالجة هذه الاشكالية من الزاوية السيكلوجية لأنها كانت على اقتناع بأن هذا المفهوم يقع فى بؤرة محددات سلوك الانسان بصفه عامة .

ولعل ما يكسب الدراسة الراهنة أهمية خاصة هو أنها اجريت على عينة ليست كغيرها من عينات مختلف الدراسات النفسية والاجتماعية ، وانما هى عينة لها خصوصية شديدة ذلك أنها تتمثل فى نخبة من الكتاب والمثقفين من ذوى الاتجاهات الفكرية المختلفة والتى اثرت بأعمالها الفكرية الساحة المصرية والعربية . وبقدر المصاعب التى واجهتها الكاتبة خلال رحلة الدراسة بقدر ثراء الاضافة التى اسهمت بها فى مجال المعرفة الانسانية بعامة وفى مجال علم النفس بخاصة وفى مضمار علم النفس الاجتماعى (وبالذات فى مجال القيم) بصفة أخص .

ولا يسعنى فى هذا التقديم إلا أن أؤكد أنه إذا كانت الكاتبة قد خطّت الكلمة الاولى فى دراسة اشكالية الالتزام على المستوى السيكولوجى ــ وحسبها هذا ــ فإننى ارجو أن يتبع ذلك دراسات متلاحقة لمعالجة هذا الموضوع لأهميته على المستويين الاكاديمى والاجتماعى ، بل وعلى المستوى القومى . وفى هذا تجسيد لفكرة ضرورة ارتباط دراساتنا العلمية بقضايانا الملحة كمجتمع من المجتمعات النامية التى لا تملك ترف اجراء بحوث علمية لذاتها بغض النظر عن الحاجة الاجتماعية أو القومية إليها .

وبالفعل فقد تحقق هذا الرجاء حيث قامت الكاتبة بدراسة لاحقة للحصول على درجة الدكتوراه وقد نالتها بمرتبة الشرف الأولى والتوصية بطبعها وتبادلها بين الجامعات وذلك أيضا عن الاشكالية ذاتها « الالتزام » ولكن عبر شرائح اجتماعية اعرض وهى الدراسة التى نأمل أن تجد طريقها الى النشر لكى تثرى بدورها المكتبة العربية بعامة والنفسية بخاصة .

رشدى فام

مقدمـــة

قديما قال أرسطو « ان السعادة فى الاتساق بين داخل الانسان وخارجه »[1] . وحديثا قال ايريك فروم « ان الوظيفة الذاتية للشخصية بالنسبة للفرد السوى هى أن تفضى به الى التصرف حسب ماهو ضرورى بالنسبة له من وجهة نظر عملية ، وكذلك أن تعطيه رضاء عن نشاطه الذاتى من الناحية السيكلوجية »[2] .

ولكن اذا كان الناس يعملون فحسب بسبب الضرورات الخارجية ، فسوف تنشأ هوة كبيرة بين مايجب أن يفعلوه ، ومايحبون أن يفعلوه ، ويصبح الانسان كأى ظاهرة أو كائن آخر مجرد خاضع لما سمى بالحتمية النفسية ، ويختفى تماما كمصطلح « الارادة » .

ولكن جاء مذهب علم النفس الانسانى لكى يدحض مانادت به مدرستا التحليل النفسى والسلوكية ـــ على أهميتهما البالغة ـــ مؤكدا أن الانسان منفرد عن بقية الكائنات الأخرى بالحرية . وان كانت هذه الحرية يضعها الانسان لنفسه بحريته أيضا ..

واذا اتفق على أن النمو النفسى للفرد هو نمو كلى متكامل وَمن ثم فان ممارسته لحريته التى يتصف به دون بقية الكائنات الأخرى جميعا ، تمر بالكثير من المراحل عبر علاقة حوارية قوامها التفاعل الدينامى بين مطالبه ومطالب المجتمع .

وفى هذا التفاعل الدينامى تبرز أهم مشكلة فى المستوى السيكولوجى الذى يتحقق به جوهر الوجود الانسانى ، ونعنى بها مشكلة المعنى ـــ فهناك الانسان الذى يجوع من أجل فكرة أو معنى أو معتقد أو مبدأ يؤمن به . وفى هذا يتبلور الاختلاف الكيفى للانسان عن بقية الكائنات الأخرى التى

---

(١) أرسطو . فى النفس . نقله الى العربية أحمد فؤاد الأهوانى . الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، ص ٤٨ .

(٢) ايريك فروم . الخوف من الحرية . ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد . المؤسسة العربية للدراسات والنشر . ١٩٧٩ ، ص ٢٢٦ .

مايحركها قط سوى سد الحاجات البيولوجية لها من جنس ودفء وطعام . أما الانسان فهو ذلك الكائن المتفرد بذاته الذي يسعد أو يشقى بإدراكه للماضي واستشرافه للمستقبل متميزا بذلك بالمعرفة واللغة اللتين يعبران أصدق تعبير عن انسانية الانسان ، وهما أقوى مايعبر عن شخصه من حيث هو فرد أو من حيث هو عضو فى جماعة . « ولعل منهج علم النفس اللغوى قد فتح الباب على مصراعيه أمام وسائل جديدة تماما لفهم سلوك الانسان وطبيعته » .(١)

واذا كانت هذه الدراسة تقع فى مجال علم النفس القيمى بصفة عامة من حيث كون الالتزام ان هو إلا الإيمان بقيم معينة دون غيرها، كما أنها تقع فى مجال علم النفس اللغوى بصفة خاصة فان اهميتها تستمد أساسا من أهمية اللغة فى الحياة الانسانية حيث هى الاداة التى لاتعبر فقط عن فكر الانسان فحسب وانما عن عواطفه وانفعالاته ومعارفه .. اقصد عن وجوده برمته ، من حيث هو كائن يستطيع تجاوز الحاضر الى المستقبل وتخطى الواقع الى ماينبغى أن يكون . وبهذا تلعب اللغة دورا اساسيا فى توجيه سلوك الفرد واحكامه .. وفى تحقيق كمالاته كانسان .

واذا كان لهذه الدراسة أيضا من أهمية فى مجال علم النفس بصفة عامة ، فان هذه الأهمية تستمد رصيدها من الأهمية القصوى لعلم النفس فى عالمنا المعاصر ، ولنقل مع ماسلو « فى يقينى أن موقع علماء النفس فى عالم اليوم من أهم المواقع وأحسمها على الاطلاق . أؤكد هذا لأن كل المعضلات التى تواجه البشرية اليوم من حرب وسلام ونظام وفوضى ، واستغلال وتآخ وفهم وسوء فهم وسعادة وشقاء ، وحب وكراهية ، جميعها يكمن حلها فى ضوء فهم الطبيعة البشرية فهما جيدا ، والى هذا تتجه وظيفة علم النفس بكامله وبذاته »(٢) .

ومن بين القضايا الرئيسية فى علم النفس بعامة وفى علم النفس اللغوى بخاصة مايسمى بقضية المفاهيم . فكثيرا ماتردد على السنة الناس تعبيرات عن مفاهيم غامضة لم تحظ بتحديد علمى عميق على الرغم من ترديدها ربما آلاف المرات على ألسنة الناس على اختلاف مواقعهم الفكرية والاجتماعية والثقافية . ومن هذه التعبيرات كلمة « الالتزام » .

فكثيرا ماتردد الأجهزة المسئولة أنها تهيب بالمواطنين أن يكونوا ملتزمين ببعض القيم السائدة فى المجتمع سواء منها القيم الدينية أو الأخلاقية أو الجمالية أو الاقتصادية . ويقول المواطنون أنهم يريدون من المسئولين أن يلتزموا بقضايا المواطن ومصالحه ويردد الآباء أنهم يريدون من الأبناء أن يلتزموا بالفضائل والقيم .. ويعرب الأبناء عن امنياتهم فى أن يلتزم الآباء بمتطلبات العصر ومتطلبات تطور الأجيال .

---

(١) Green, J.Psycholinguistics, Penguin Modern Psychology. P.C. Dodwell and Anne Treisman 1972. P. 196.

(٢) عبد الستار ابراهيم . العلاج النفسى الحديث ، سلسلة عالم المعرفة ١٩٨٢ . ص ٦ .

ونحن نسمع أيضا من رئيس العمل وهو يطلب من مرؤوسيه **الالتزام** بواجبات العمل ومسئولياته ، ويقول الرجل العادى هذا شخص **ملتزم** وذاك غير **ملتزم** .

ولكن رغم أن « مفهوم الالتزام » هذا مفهوم شائع فى حياتنا وحياة المجتمعات وبخاصة النامية منها الا أنه مفهوم غير محدد ، وقد يرجع ذلك الى خصوبته وثرائه بل وربما الى تعقيده كذلك .

وقد رأينا أن مفهوما مثل الالتزام وهو بهذه الدرجة من الخصوبة والثراء والشيوع ينبغى التصدى لدراسته على **المستوى السيكولوجى** طالما أنه مفهوم يدخل ضمن محددات سلوك الانسان فى كافة الشرائح الاجتماعية . غير أننا فى اطار اهتمامنا بمشكلة الالتزام نعتقد أن الشريحة الأولى فى المجتمع التى ينبغى التوجه اليها « لاستطلاع » هذا المفهوم هى شريحة الكتاب والمثقفين ، انطلاقا من أن هذه الشريحة الاجتماعية هى حاملة مشاعل الوعى الانسانى فى أى مجتمع من المجتمعات ، فضلا عن المجتمعات النامية بصفة خاصة والمجتمع المصرى بصفة أخص حيث تبلغ الأمية نسبة تصل الى ٧٠ فى المائة من تعداد الشعب المصرى وذلك طبقا للدراسات التى قامت بها مؤخرا منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة .

ان مشكلة هذه الدراسة تتحدد فى محاولة لفهم ظاهرة الالتزام كما يراها الكتاب والمثقفون وكما عاشها فريق كبير منهم ، وذلك بوصفهم الطلائع التى يمكن أن تغرس الالتزام بالقيم الايجابية فى المواطن سواء عن طريق أجهزة الاعلام أو وسائل الثقافة المختلفة .

وقد اتضح لنا أن المكتبة العربية تخلو تماما من أية دراسة نفسية أو اجتماعية عن « الالتزام » كمحك من محكات الصحة النفسية ، وذلك طبقا للرصد الذى قام به الدكتور لويس مليكة فى المجلد الثالث من مؤلفه القيم « قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى الوطن العربى « الصادر فى عام ١٩٧٩ وقد اكتشفنا أنه لم يتم القيام بأى دراسة سيكولوجية عن الالتزام لافى مصر ولا فى الوطن العربى فيما تعلم .

أما فى الخارج فيؤكد تشارلز كيسلر(١) C.kiesler أول عالم نفسى يتصدى فى أمريكا لدراسة الالتزام على المستوى السيكولوجى وبالذات المستوى السيكلوجى الاجتماعى أنه يفتقر الى وجهة نظر تحليلية مفصلة تساعده على دراسة هذه الظاهرة التى هى بكل المقاييس ظاهرة سيكلوجية من الطراز الأول . واذا كانت ظاهرة الالتزام قد درست فى مجال الأدب وبالذات على يد سارتر الا أن دراستها فى الأدب قد تفيد بشكل نظرى وجزئى عند التصدى لها على المستوى السيكلوجى ويمكن تصنيف الالتزام بأنه مفهوم يقع فى مجال علم النفس الاجتماعى بصفة عامة وفى مجال علم النفس القيمى بصفة خاصة وفى مجال علم النفس اللغوى بصفة أخص .

واذا كانت دراسات علم النفس القيمى فى مصر قد تعرضت أساسا لمستويين من المستويات الثلاثة لموقف الانسان من القيم التى تسود فى مجتمعه ، وأعنى بهما مستوى **التقبل** ومستوى **التفضيل** .

---

(١) Charles Kiesler. The Psychology of Commit ement. University of Kansas. New York. 1971.

الا أنه — فيما أعلم وكما أسلفت — لم يسبق أن تصدت دراسة نفسية لا فى مصر ولا فى الوطن العربى لدراسة المستوى الثالث من مستويات موقف الفرد من القيم الاجتماعية السائدة فى مجتمعه ، وأعنى به مستوى الالتزام ، وهو الترجمة العربية لكلمة Commitement بالانجليزية ، وهذا المستوى بالتحديد هو موضوع الدراسة الراهنة .

وتسعى هذه الدراسة إلى تحقيق هدفين هما :

أ — الوصول الى استخلاص مجموعة الأبعاد الأساسية التى يتألف منها مفهوم الالتزام متخذين فى ذلك منهج تحليل المضمون .

ب — محاولة التوصل الى مجموعة من الفروض عن العوامل المحددة لمفهوم الالتزام ، وذلك من حيث أن هذه الدراسة دراسة استطلاعية أو كشفية Pilot study لاتبدأ بفروض وانما يمكن أن تنتهى بفروض .

وتحاول هذه الدراسة الاجابة على مجموعة من التساؤلات نجملها فيما يلى :

١ — ماهى الفئات التى تعبر عن الجوانب التى يتضمنها مفهوم الالتزام من وجهة نظر عدد من الكتاب والمثقفين ؟

٢ — ماهو ترتيب هذه الفئات طبقا لمدى شيوعها أو ندرتها فى اجابات هؤلاء الكتاب والمثقفين ؟

٣ — ماهو ترتيب الأبعاد التى تدخل ضمن مفهوم الالتزام والتى تتضمن بدورها مجموعات أكبر من الفئات التى ستتوصل لها الدراسة طبقا لأهميتها فى تكوين مفهوم الالتزام وطبقا لتكرارها فى اجابات أفراد العينة ؟

٤ — هل يمكن « تكميم »(١) الفئات والأبعاد الداخلة فى مفهوم الالتزام طبقا لشيوعها أو لندرتها وذلك بصفة مبدئية لأن هذه الدراسة لاتخرج عن كونها دراسة استطلاعية ؟

٥ — هل يمكن اعادة تركيب الأبعاد التى أسفر عنها التحليل السابق وذلك فى وحدة كلية مترابطة .

ويرجع اختيار موضوع هذه الدراسة الى عدة اعتبارات نجملها فيما يلى :

١ — اهتمام كاتبة الدراسة بمشكلة الالتزام نتيجة خبرة حياتية طويلة اعتركت خلالها الحياة العملية ، ووجدت أن بعض الناس أو قلة منهم يقضون حياتهم وهم يدافعون عن قيم أو مبادىء معينة مهما كلفهم ذلك من ثمن باهظ ، سواء من المنافع المادية أو من حريتهم أو حتى حياتهم ذاتها ، بينما تزخر الحياة والمجتمع بأناس يغيرون آراءهم وقيمهم تبعا لتغير النظم وآراء الحكام . وهى ازاء هذا وقفت موقف الدهشة الذى هو أول مقتضيات البحث العلمى .

٢ — اتفقت هذه المشكلة مع مجال وأهداف ومتطلبات المجتمع المصرى حيث يمر حاليا بمنعطف بين

---

(١) تكميم من كم أو كمية .

طرق مختلفة .

٣ ـــ شعور الكاتبة بأن هذه المشكلة « الالتزام » على درجة من الأهمية فى العالم النامى الذى يعانى من التخلف والفشل فى تنفيذ خططه الاقتصادية والقومية .

غير أن هذه الاعتبارات الشخصية لاتكفى وحدها مؤهلا لاجراء الدراسة . وانما هناك بعض الاعتبارات الاجتماعية التى تجعل للدراسة الحالية قيمة وأهمية وهذه نجملها فيما يلى :

١ ـــ أن هذه الدراسة ـــ فى حدود أنها استطلاعية ـــ سوف تفتح الطريق لدراسات عديدة من الدراسات الامبريقية الأخرى تتناول مشكلة الالتزام بشكل تفصيلى .

٢ ـــ ان هذه الدراسة بحكم أنها أول دراسة فى الالتزام فى المكتبة العربية فهى لاتكرر ماجاء فى دراسات سابقة عليها ، لأنه اذا كان البحث العلمى فى المجتمعات النامية لاينبغى أن يكون ترفا أو نزهات فكرية ، فان الكاتبة تشعر بأهمية المشكلة من حيث جدتها تماما .

٣ ـــ اذا كان المجتمع وتنميته والنهوض به هو غاية الغايات فى البحوث العلمية ، واذا كان المجتمع المصرى يعانى حاليا من ظاهرة يمكن أن يطلق عليها « ظاهرة التسيب » فما هو مقابل التسيب ؟ أليس هو « الالتزام » بقيم ومبادىء انسانية وقومية واجتماعية معينة ؟ الا يثار الآن السؤال التالى : لماذا كثر المتسيبون وقل الملتزمون بالقيم الانسانية العليا ؟ وما علاقة هذا بما اعترى الخريطة الاجتماعية للبلاد ؟[1] وهل ظاهرة « التسيب » هذه ظاهرة مؤقتة سببتها ظروف طارئة ؟ هل هى نسبة من المنحرفين موجودة فى المجتمع المصرى كما هى فى أى مجتمع آخر ؟ هل ظواهر التسيب واستغلال القلة للكثرة هو نتيجة حتمية لأخطاء اجتماعية وتربوية وقع الآباء فيها فى تربية أبنائهم ؟ ان الأرجح أن مايعانى منه المجتمع المصرى حاليا والمجتمعات النامية ليس ظاهرة مؤقتة وانما هى ظاهرة « تستفحل » يوما بعد يوم . فما هو سبب هذا الاستفحال ؟ لماذا اذن عدم الالتزام ؟

ان كاتبة هذه السطور لاتزعم أنها بهذه الدراسة سوف تضع أيديها على أسباب الآفات التى تسود حياة المجتمع المصرى حاليا وأولها عدم الالتزام بالقيم الانسانية العليا من الصدق والأمانة وعدم الازدواجية بين القول والفعل والاتساق مع النفس وغير ذلك . ولكنها تحاول أن تقول كلمة ولتكن الكلمة الأولى التى سوف تعقبها كلمات فى بحوث علمية مقبلة تحاول أن تصل الى بيت الداء فى المجتمع المصرى وفى المجتمعات العربية وفى العالم النامى ككل . ومعروف أن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة وما الدراسة الحالية الا مجرد خطوة فى هذه الرحلة حيث تقدم أساسا أبعاد مفهوم الالتزام لدى نخبة من المثقفين والكتاب ، وما يتضمنه كل بعد من هذه الأبعاد فهى دراسة تحليلية تستطلع عناصر الالتزام ومصادرها وارتباطها بغيرها من المتغيرات .. وما الى ذلك .

---

(١) عدنان البيه . مقال بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٨٣/٣/٢٤ .

وهنا لابد من كلمة موجزة عن تاريخ العلوم الاجتماعية بوجه عام . ذلك « ان ميدان العلوم الاجتماعية ــ بوجه عام ــ ودراسة السلوك الاجتماعي بوجه خاص من العلوم الحديثة نسبيا ، اذا قورن بالعلوم الطبيعية مثلا .. ولكي تتقدم البحوث فى ميدان بكر جديد كهذا لابد أن تتلمس خطاها أول الأمر حتى تصل الى بلورة نظرياتها وصقل وسائلها وأدواتها فى البحث .

ولكي تتعرف العلوم الاجتماعية على أهم ميادين المشكلات التى ينبغى أن توجه لها البحوث ، لابد أن تشتق لنفسها « معايير » تستطيع على أساسها أن تفاضل بين البحوث المزمع اجراؤها ، من حيث موضوعها أو أسلوبها فى البحث ثم تستطيع بعد ذلك فى أغلب الأحوال أن تقدم لنا فى النهاية أهم الفروض التى توصى باخضاعها للتجريب بقصد التعرف على مدى صحتها . ومن هنا كانت أهمية البحوث الكشفية فى دراستنا للسلوك الاجتماعي »[1] .

وكما أسلفنا فالدراسة الحالية هى دراسة **كشفية أو استطلاعية Pilot study** حيث أنها الدراسة الأولى فى المكتبة العربية فى موضوعها « الالتزام » كمفهوم نفسى واجتماعى . وظيفتها الأساسية هى **استكشاف** الميدان وهو ميدان بكر تماما فيه من الجدة مايغرى الباحث بالتقدم والابتكار ولكنه أيضا فى من المحاذير مايجعل الباحث يحجم عن المخاطرة فى بعض الأحيان .

غير أنه ينبغى التأكيد على أن ماتوصلت اليه الدراسة من نتائج هى **مجرد فروض** قابلة للتحقق من صحتها فى دراسات مقبلة ..ولا نزعم أن ماتوصلت اليه من نتائج يمكن أن تؤدى الى تعميمات ، ولا نزعم أيضا أنها مثلت كافة الكتاب والمثقفين فى مصر ، ولاهى مثلت كافة الاتجاهات الفكرية لهؤلاء الكتاب والمثقفين .

كل مافى الأمر أن نتائج الدراسة الحالية هى نتائج كشفية تمهيدية تزيد من التبصر فى اكتشاف بعض الفروض أو الاحتمالات . أما ما يخص صحة هذه الفروض فانه منوط بالبحوث الأمبريقية والتجريبية التى سوف تتلو هذه الدراسة .

هذا فيما يخص نوع الدراسة فى مجال الدراسات الاجتماعية . أما موقع هذه الدراسة فانه ــ كما أسلفنا ــ يقع فى مجال علم النفس ــ الاجتماعى بصفة عامة وفى مجال علم النفس اللغوى بصفة خاصة .

أما فيما يتعلق بمنهج تحليل المضمون الذى انتهجناه فى هذه الدراسة فقد أفردت له صفحات بأكملها فى الجزء الخاص بالاطار المنهجي ، ولكن يكفى هنا أن نشير الى أنه أسلوب أو منهج يحتاج الى حس منهجي وثيق، والى جهد علمى شاق من الضرورى أن توجهه أفكار تقود الباحث الذى ينتهجه حتى لاتصبح المسألة مجرد جمع بيانات كمية بطريقة امبريقية متطرفة .

---

(١) نجيب اسكندر ، لويس مليكة ورشدى فام : الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعى ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، ١٩٦١ ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

الفصل الأول

منطلقات الدراسة

التعريف اللغوى للالتزام :

لقد حرصنا على الاطمئنان الى أن كلمة « التزام » ذات أصل فى اللغة العربية ، حتى لانعالج مفهوما هو فى الأصل غير عربى .

وقد تبين طبقا لما جاء فى « المعجم الوسيط » أن الكلمة « مشتقة من الفعل « لزم » الشيء لزوما أى ثبت ودام ولزم كذا من كذا : أى نشأ عنه وحصل منه . ويقال لزم العمل أى داوم عليه ، ولزم المريض السرير أى لم يفارقه »[1] .

ومن ثم يصبح الفعل « التزم » — بعد ادخال حرفى الألف والتاء . أى « ارتبط بالشيء أو بالأمر الذى أوجبه على نفسه — ويقال التزم فلان للدولة أى تعهد أن يؤدى قدرا من المال لقاء استغلاله أرضا من أملاكها »[2] .

هذا هو المعنى القاموسى أو الاشارى للكلمة .

على أن ما يعنينا فى هذه الدراسة ليس هو المعنى القاموسى أو الاشارى ، وانما يعنينا المعنى الضمنى أو المعنى النفسى لكلمة « التزام » .

---

(١) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، المجلد الثانى ، ص ٨٢٩ ، ٨٣٠ .

(٢) المرجع نفسه . الصفحة نفسها .

التعريف السيكلوجي

يعرف أوسجد Osgood (١٩٦٤) المعنى النفسى بأنه « استجابة انفعالية تقويمية بالنسبة لمثير ما » .

ويعرفه بريتون Britton (١٩٣٩) بأنه « استجابة انفعالية ينتجها مثير ما بانتظام بالنسبة للفرد » .

وواضح أن المثير يرتبط بشيء ما أو بموضوع معين .

وهكذا تتكون المعانى النفسية لدى الفرد ازاء المثيرات اللفظية ، وتتحدد نوعيتها ، من حيث قربه أو بعده عنها ، من تقبله لها أو رفضها ، ومن حيث قيمتها له وأهميتها ، من حيث رغبته فيها أو رغبته عنها .. الخ هذه المعانى النفسية الانفعالية التى يشعر بها الفرد ازاء هذه المثيرات ويمكن أن يعبر عنها بصور لفظية مختلفة ــ من حيث قوة اتجاهه نحوها أو ضعفه »[1] .

ويرى تشارلز كيسلر أول عالم نفس يتعرض للالتزام بالدراسة السيكلوجية بصفته سلوكا انسانيا محضا أن هذا المفهوم على المستوى النفسى له ثلاثة تعريفات وهى التى جاءت فى قاموس ويبستر Webster .

١ ــ الالتزام هو توصيل رسالة الى شخص آخر بأمانة .
٢ ــ الالتزام هو انجاز أو اتيان فعل طبقا لخطة مسبقة كما هو الحال فى البحث العلمى مثلا .
٣ ــ أما التعريف الثالث فهو الذى يعنيه كيسلر فى دراسته عن الالتزام وهو « أن يأخذ الفرد على عاتقه أو يتعهد لنفسه باتيان عمل ما بطريقة معينة فى الأداء أو بسبيل معين فى العمل » .

وهذا التعريف الثالث نراه أيضا عند كينستون Kenniston فى كتابه « اللاملتزم » حينما عرف الشباب المتحرر اليوم بأنه غالبا ذلك الشباب الذى لايرتبط بشيء ، وليس على صلة بمن حوله وباختصار هؤلاء الشباب غير الملتزمين بقضية ما ولا بالآخرين الذين يحيطون به » .

ويعترف كيسلر بأن تعدد المعانى الضمنية للالتزام يشكل عقبة كبيرة فى اخضاع هذا المفهوم معمليا .

واذا كنا قد تناولنا فى الأسطر السابقة ماهو المقصود بالمعنى الاشارى وماهو المقصود بالمعنى الضمنى أو السيكلوجى ، وأن ما تهدف إليه هذه الدراسة هو محاولة التوصل الى المعنى النفسى أو الضمنى للالتزام . فاننا نجد من الملائم أن نتناول فى عجالة سريعة بعض الأفكار العامة .

---

(١) نوال عطية ، علم النفس اللغوى ، ص ٤٦ .
(٢) Kiesler. 1971. p.16.
(٣) Ibid. p. 77.

أفكار عامة :

اذا كان للعوامل الثقافية التى عاش ويعيش فى ظلها المفكر دور رئيسى فى تكوين فكره ، فان هناك « من النظريات فى علم النفس ماتؤكد الجانب البيولوجى فى الانسان أكثر من تأكيدها لأى جانب آخر ، فتتحدث عن الغرائز لدى الانسان وتعطيها وزنا كبيرا فى نشاطه »[1].

« ومن نظريات علم النفس ما نظر الى الانسان كشبكة من الوصلات العصبية وارتباطات بين مثيرات واستجابات تلك التى تتكون وفق قواعد وقوانين معينة ، كأنما يتعاملون مع جهاز أو آلة من الآلات ، وقد جردت هذه النظرة الانسان من حريته وارادته وطاقاته الكامنة ، وعومل الانسان معاملة الكائن الحى العاجز ، والذى تبدو استجابته دائما كرد فعل لمثير سبق حدوثه ، وكل منهما يفسر نشاط الانسان فى ضوء مسلمات قبلت فى مراحل سابقة من مراحل العلم »[2] .

ولكن جاءت نظريات لاحقة ادركت خطورة هذه النظرة للانسان التى تبتسر الظاهرة النفسية بل الظاهرة الانسانية ككل الى مستويات الجماد أو الكائنات الحية الأخرى أو الحيوانات الأرقى فى السلسلة الحيوانية (الشمانزية والقردة) وبدأت هذه النظريات تتحدث عن انسانية الانسان وحريته ووجوده . وبدأت مفاهيم تظهر فى علم النفس غابت كثيرا عنه مثل مفاهيم **الارادة** ، **والحرية** ، **والمبادأة** .

وهذه النظريات تكون فى مجموعها مايمكن أن يطلق عليه « المذهب الانسانى » فى علم النفس باعتبار أن التحليل النفسى هو القوة الأولى والسلوكية هى القوة الثانية[3] .

وترى كاتبة الدراسة أن النظريات التقليدية فى علم النفس قد عجزت عن تفسير الكثير من سلوك الانسان . ولايعنى هذا أننا نرفض جميع ماجاء فى علم النفس التقليدى . بل العكس تماما هو الصحيح . فهى تدرك أن نظريتى التحليل النفسى والسلوكية قد قدمتا الكثير من الحقائق العلمية لتفسير الظاهرة النفسية . « وبالتحديد هناك فى مجال التعلم الكثير مما يفسر كيف يتعلم الانسان من خبراته وتجاربه ، وهناك أيضا مجال الادراك بما يشمله من حقائق علمية وبحوث بلغت من الدقة مبلغا مناسبا . وهناك ثالثا مجال القياس النفسى بكل مايزخر به من العديد من المقاييس التى تستخدم لقياس ظواهر نفسية مختلفة . ورابعا فهناك مجال الصحة النفسية وهو حافل بالكثير من المعلومات والحقائق العلمية المقبولة عن الكثير من جوانب حياة الفرد النفسية »[4] .

غير أنه على الرغم من قيمة هذه الحقائق التى زخرت بها نظريات علم النفس التقليدى ، الا أنها تظل قاصرة عن تفسير الكثير من المواقف والظواهر الانسانية ، لأنها ببساطة نظريات تقوم على مسلمات

---

(١) عبد السلام عبد الغفار . مقدمة فى الصحة النفسية ، دار النهضة العربية ، ص ١٩٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٩١ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٤ .

الحتمية والتفسير الآلى لسلوك الانسان . ولكن اذا كان العلم هو تراكم لخبرات الانسان فان نظريتى التحليل النفسى والسلوكية تمثلان مرحلة من تاريخ علم النفس ، ولم يكن من الممكن قط أن يصل علم النفس الى ماوصل اليه الآن لولا جهود العلماء المضنية من خلال هاتين النظريتين .

وما نظريات علم النفس الانسانى بدورها سوى نظريات سوف تصبح بعد قليل فى عداد تاريخ علم النفس حينما يتقدم هذا العلم خطوات جديدة ويبلور نظريات أكثر جدة على طريق محاولات فهم الظواهر النفسية التى تعتبر من أعقد الظواهر جميعا .

وسوف نعرض فى الصفحات المقبلة لعدد من المسلمات التى ينطلق منها « مذهب علم النفس الانسانى » وهى المسلمات التى أخذت بها الكاتبة لكى تكون منطلقا فكريا لها فى كتابها الراهن عن « الالتزام » ، وهى تود أن تؤكد أن اختيارها لنظرية علم النفس الانسانى بمسلماتها كمنطلق فكرى لها انما يرجع أساسا الى شعورها بأن نظريتى التحليل النفسى والسلوكية — على الرغم من دورهما الاساسى فى مرحلة معينة من مراحل علم النفس — الا أنهما قد أغفلا الحديث عن ارادة الانسان وحريته فى ممارسة هذه الارادة ، كما أهملتا الحديث عن قدرة الانسان على السمو والالتزام بفلسفة معينة أو بدين من الأديان . وهذه جميعا جوانب هامة تحدد طبيعة الانسان وتساعد على فهم سلوكه .

ان الشيء الذى يجب تأكيده فى هذا الصدد هو أنه اذا كانت نظريتا التحليل النفسى والسلوكية قد قدمتا محاولات جريئة لفهم الانسان ، الا أنها كانت محاولات ناقصة تفتقر الى النظرة الشاملة المتكاملة للشخصية الانسانية وهى النظرة التى وجدتها الكاتبة — بشكل ملائم — لدى أصحاب نظرية علم النفس الانسانى .

المسلمات السيكلوجية التى تنطلق منها الدراسة

المسلمة الأولى

ان المقولة التى ينبغى تأكيدها فى بداية هذه المسلمة هى تلك التى أشار اليها أرسطو منذ عشرات القرون ولم يستوعبها أصحاب نظريتى التحليل النفسى والسلوكية هى التى تقول « **ان الانسان ليس كغيره من الكائنات الأخرى** »(١) . فللانسان قدرات لاتوجد لدى أى من الحيوانات الأخرى ، فهو يستطيع أن يخطط لحياته . وعملية التخطيط هذه عملية واعية ، تقوم على أساس تذكر لما حدث

---

(١) أرسطو . النفس . مرجع سابق ، ص ٥٦ .

فى الماضى وادراك مايحدث فى الحاضر ، وتوقع لما يحدث فى المستقبل ، وهو فى ادراكه لهذه المعانى يعرف تماما أن نهايته حتمية ، وأن الموت هو الحقيقة الوحيدة المؤكدة فى الحياة ، والانسان فى هذا يختلف اختلافا أساسيا عن سائر الكائنات الأخرى . فهو الكائن الوحيد الذى يعرف نهايته سلفا .

« وتعتبر قدرة الانسان على انشاء مسافة سيكلوجية بينه وبين نفسه من الآثار التى ترتبت على ذلك التكوين العقلى الذى زود بها ، وقد تتضح مظاهر هذه المسافة فى قدرة الانسان على مراجعته لنفسه أو محاسبته اياها »[١] .

ونحن نرى أن هذه المسلمة تكاد تكون « مسلمة المسلمات » اذا صح هذا التعبير فى محاولتنا لفهم طبيعة الظاهرة النفسية فى تكاملها وحيويتها . وهى المسلمة التى تشكل أحد المعالم الأساسية لنظرتنا لطبيعة الانسان وبالتالى لطبيعة الظاهرة النفسية .

المسلمة الثانية

أما المسلمة الثانية فهى ان الانسان حر بطبيعته بل ان حريته من أهم محددات انسانيته . وعلى الرغم من ادراك الانسان أن حريته هذه محدودة بمعنى من المعانى ، أى أن هذه الحرية تحددها مواقف لايستطيع اختيارها ، غير أنه يستطيع أن يتخذ موقفا معينا ازاء هذه المواقف جميعا .. « أى أن الانسان حر فى اتخاذ مايراه من مواقف حيال مايحدد حريته »[٢] .

ويعنى اختيارنا لهذه المسلمة انها ترفض ماقدم عن الانسان من تصورات نظرية ترى فى الانسان مجرد كائن تدفعه غرائز ، وتحدد له تصرفاته ، أو تلك التى تجعل الانسان مجرد آلة .. بل جماد أو شىء ، وما الانسان بآلة ولا هو بجماد ولا هو بالتأكيد بشىء من الأشياء . فهو كائن نسيج وحده بين الكائنات الأخرى ، متميز بأنه حر وهو يمارس هذه الحرية بفهم وهو الذى وضع حدوده لكى ينطلق من هذه الحدود ، بل ولكى يغير هذه الحدود ويجددها اذا أراد هذا بحريته أيضا .

المسلمة الثالثة

نحن نعتقد أن تصورا مناسبا للشخصية الانسانية لايمكن الا أن يقوم على أساس معلومات وبيانات تجمع من واقع من عاشوا حياتهم آمنين ، والذين لو خيروا أن يعيشوها من جديد لاختاروا ماعاشوه لأنهم عاشوا وجودهم كما يود الانسان أن يعيش هذا الوجود .

وفى هذه المسلمة الثالثة يتحدد فى اعتقادنا « معنى السواء » فى مفهوم الالتزام . لأن دراسة الأصحاء والأسوياء لاتقل أهمية — ان لم تكن تفوق فى أهميتها — دراسة المرضى واللا أسوياء .

(١) عبد السلام عبد الغفار . مرجع سابق ، ص ١٩٧ .
(٢) المرجع السابق . الصفحة نفسها .

واذا كانت هذه المسلمات الثلاث التى جاء بها أصحاب علم النفس الانسانى ــ وهى النظرية التى نرى فيها أنها تسد النقص الذى اعترى نظريتى التحليل النفسى والسلوكية ــ مسلمات أساسية من أجل فهم الشخصية الانسانية ككل . وبصفة عامة فان هذه المسلمات تكتسب قيمة أعلى وأهمية أكبر فى محاولة هذه الدراسة لفهم ظاهرة الالتزام التى هى ظاهرة انسانية ينفرد بها الانسان عن بقية الكائنات قاطبة .

تعقيب :

تود كاتبة هذه السطور أن تؤكد أن بعض المفاهيم السائدة فى علم النفس حاليا مثل الحاجة والدافع تكاد تكون قاصرة عن تفسير شاف لظاهرة مثل ظاهرة الالتزام ، فهى ظاهرة تستمد وجودها من المستويات العليا للشخصية الانسانية ، وأعنى بها مستويات القيم . ودراسة أية ظاهرة سيكلوجية تتصل بالقيم لابد أن تتناول حرية الانسان وفلسفته وجوانبه الروحية ، وبدون تناول هذه الجوانب يصبح نموذجا مشوها .

واذا كان الرضا عن النفس والسمو والالتزام من محكات الصحة النفسية للفرد ، بل قد تذهب الكاتبة الى أبعد من هذا فتقول أن هذه المحكات هى التى يتحقق بها الوجود الانسانى بجوهره الذى يتفرد به عن سائر الكائنات الأخرى ، حيث نجد هذه النقلة الكيفية بين المستوى الحيوانى ــ البيولوجى ــ وبين المستوى الانسانى النفسى حيث تبرز مشكلة المعنى فى الحياة الانسانية .

ورغم التسليم بأنه لاتوجد ظاهرة سيكلوجية محضة أو خالصة ، الا أنه ينبغى تأكيد أن الالتزام ظاهرة سيكلوجية من الطراز الأول ، وذلك على الرغم من أنها تعبير عما هو نفسى واجتماعى فى آن واحد ولكن وفق قوانين نفسية معينة . وقد يرى البعض أن مفهوم الالتزام مفهوم ينتمى الى مبحث المعرفة أو الابستمولوجيا Epistomology بلغة ــ الفلسفة ــ ولكن هل يمكن أن نرى مع « أوسجد Osgood أنه قد آن الأوان لكى يحدث ما يسمى باضفاء الطابع السيكلوجى على المعرفة أو بتعبير آخر ألا يمكن « سكلجة » المعرفة الانسانية ؟ أليست المعرفة الانسانية نفسها هى ظاهرة نفسية مركبة أو معقدة ؟ وان هذه المعرفة الانسانية اذا كانت قد بحثت فيها الفلسفة قديما أفلا يكون جديرا بعلم النفس أن يدرس هذه الظاهرة حديثا ؟

واذا كانت ظاهرة الالتزام قد درست أول مادرست فى مجال الأدب ألا يكون هذا تعبيرا عن خلل فى منطق الدراسات النفسية ؟ أليس هذا الأديب الملتزم هو انسان قبل أن يكون أديبا ؟ وهل هو قد التزم الا بعد مرور هذا الالتزام « بالمصفاة النفسية » اذا جاز هذا التعبير ؟

ان مانود تأكيده هنا هو أن البعد السيكلوجى للالتزام هو من أهم الأبعاد ، وهذا ماتسعى هذه الدراسة الى التحقق من مدى صحته . فالبعد السيكلوجى ــ كما سوف نتعرض له بالتفصيل فى موضع

آخر — هو الذى يجعل أخوين يحملان الصفات الوراثية نفسها ، وينشآن فى بيئة اجتماعية واحدة ويتنفسان مناخا اجتماعيا وثقافيا واحدا ، ولكننا نرى أحدهما يلتزم بالمثل الانسانية العليا ولايلتزم الآخر بأى من هذه المثل .

وفى هذا التعقيب نود أن نقول أن هناك مجموعة من الملامح الرئيسية يجب الاسترشاد بها فيما نقدمه من اطار نظرى لمفهوم الالتزام . وهذه الملامح يمكن ايجازها فيما يلى :

١ — ينبغى النظر الى شخصية الفرد نظرة متكاملة تضع فى اعتبارها تلك النقلة الكيفية التى تميز الانسان عن غيره من الكائنات .

٢ — التأكيد على أن حرية الانسان وقدرته على الاختيار والالتزام والسمو والعطاء ، هى من أهم الصفات التى تحقق الوجود الانسانى بجوهره ، واذا كان الناس يختلفون فيما بينهم من حيث درجة أو قدر مايستطيعون تحقيقه منها ، فانهم يختلفون تبعا لذلك من حيث مدى قدرتهم على تحقيق وجودهم .

٣ — ان دراسة الشخصية الانسانية يجب أن تضع فى اعتبارها التراث الثقافى الذى يعيش فيه الفرد ، وكذا الاطار الحضارى الذى يحيا فيه ، بل وأن يضع فى اعتباره أيضا الأسرة التى تربى فيها الفرد باعتبار أن الأسرة هى « الوكيل السيكلوجى للمجتمع »[١] كما يرى ايريك فروم .

---

(١) ايريك فروم ، مرجع سابق ، ص ٢٢٨ .

تعقيب على منطلقات الدراسة

اذا كنا قد ارتضينا بعض مسلمات علم النفس الانسانى كمنطلقات لبحثنا الراهن ، فهل ياترى لايوجد نقد يمكن أن يوجه الى علم النفس الانسانى ؟

يرى رشدى فام أنه على الرغم من أن علم النفس الانسانى قد قام بتصحيح المسار فى أعقاب نظريتى التحليل النفسى والسلوكية ، الا أنه لايخلو هو الآخر من مثالب ذلك أن الاعتراض الاكبر الذى يمكن توجيهه الى علم النفس الانسانى هو أنه قد وقع فى الخطأ نفسه الذى تورط فيه سابقوه . وذلك حينما نسب علم النفس الانسانى قيمة معينة الى الانسان وكأنها صفة فطرية يولد بها . فى حين أن الانسان وحده هو الذى نظم الدوافع الجنسية مثلا بشكل انسانى بعد مولده . لأن الانسان يولد بمستوى بيولوجى يتساوى فيه مع الحيوان . ولكن من حيث كونه انسانا يقوم بتنظيم هذه الدوافع البيولوجية ولايتزوج أمه مثلا ، فى حين أن الحيوان يتزوج أمه .

كذلك أنه اذا كان علم النفس الانسانى قد أخذ على التحليل النفسى والسلوكية قولهما بحتمية السلوك الانسانى فانه قد وقع فى الخطأ نفسه ونادى بحتمية جديدة وهى حتمية الحرية اذا جاز هذا التعبير(١) .

ونحن نتفق مع رشدى فام فى هذه المآخذ على نظرية علم النفس الانسانى ولكننا نرى أنه يكفى هذه النظرية انها « جاءت لكى ترد اعتبار الانسان » وتجعله على الأقل يقرر هو بحريته هذه الحرية عن طريق اختياره لموقف بذاته من بين عشرات المواقف والاحتمالات التى تواجهه .

ولذا فحسب نظرية علم النفس الانسانى أنها جاءت لكى تبرز الوجه المشرق للانسان ككائن يختار ويقرر بحرية ..

الدراسات السابقة فى مفهوم الالتزام

ذكرنا فى بداية هذه الدراسة أن المكتبة العربية تخلو تماما من أية دراسة نفسية فى الالتزام ، وذلك طبقا للرصد الذى ورد فى المجلد الثالث من « قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى الوطن العربى » للويس مليكة . وقد كان هذا الاعتبار أحد الأسباب لاهتمام الكاتبة بدراسة مشكلة الالتزام على المستوى النفسى .

أما فى الخارج فانه — على حد علمنا — لاتوجد سوى دراسة واحدة أجراها تشارلز كيسلر ، أستاذ علم النفس بجامعة كنساس بالولايات المتحدة . ونظرا لأهمية هذه الدراسة فسوف نورد ملخصا لها على أن نعود اليها فى نهاية الدراسة الراهنة لعقد مقارنة بين نتائج هذه الدراسة وبحوث كيسلر .

---

(١) رشدى فام ، سلسلة محاضرات لطلبة الدراسات العليا — كلية البنات جامعة عين شمس ، ١٩٧٨ .

ملخص لدراسة تشارلز كيسلر

يقول كيسلر فى مقدمة كتابه الموسوم بـ « سيكلوجية الالتزام » والذى صدر فى عام ١٩٧١ أنه دراسة بحثية تركز على دراسة الالتزام ، وأنه عكف عليها لعدة سنوات بالتعاون مع طلابه . وهو يصف دراسته بأنها Progress report يتناول دراسة الالتزام من الناحية النفسية . وهو يقول أن النموذج النظرى فى هذا البحث قد ركز على السلوك وعلاقته بالاتجاه وهى بهذا الشكل تعتبر أساسا « نظرية على مستوى مصغر » . وهو يؤكد أن دراسته تركز على أحد جوانب الالتزام وهو الجانب السلوكى .

ويؤكد كيسلر أن دراسة الالتزام على المستوى النفسى لاتزال فى مراحلها الأولية ، ويقول انه لم يصل بعد الى طريقة تحليلية أكثر دقة بشأن « أنواع » الالتزام تؤدى الى نتائج امبريقية مختلفة . ويعترف كيسلر بأنه قد تجاهل الطريقة التحليلية للالتزام الموجود فى كتابات علم الاجتماع ، وأنه لم يفعل هذا بهدف الاساءة الى علم الاجتماع وانما للدلالة على أنه لم يبلغ بعد فى دراسته للالتزام المرحلة التى يكون فيها المفهوم على وضوح خاص .

ويبدأ كيسلر بتحديد العلاقة بين الاتجاه والسلوك فيذكر أن الاتجاه هو الذى يحدد ـــ على المستوى النظرى ـــ السلوك فهو الذى يدفع الشخص الى أن يسلك بطريقة أو بأخرى . ولكن من ناحية أخرى يشير كيسلر الى أنه ليس كل أنواع السلوك تجىء نتيجة لاتجاه الفرد . فهناك عوامل عديدة تؤثر فى طريقة السلوك من بينها **القيم** ، ووجود **اتجاهات متناقضة** لدى الشخص ثم يتغلب احدها على الاتجاهات الأخرى وكذلك **الظروف والملابسات** التى تحيط باتخاذ أو بتقلب اتجاه ما على الآخر . وعلى هذا فهو يرى أن هذه العناصر الثلاثة هى التى تجعل من المتعذر التنبؤ بسلوك شخص ما حتى اذا عرفنا اتجاهاته مسبقا .

ويعرف كيسلر الاتجاه بأنه « بناء نظرى » لايمكنك أن تلمسه ، وانما يمكن استنتاج وجوده من أشياء أخرى . ويورد المؤلف تعريفا للاتجاه لكل من سيكورد وباكمان Secord and Backman بأنه « انتظام عدد معين من مشاعر الفرد وأفكاره وميوله للعمل ازاء بعض جوانب بيئته ، وهو أن يكون المرء سلبيا أو ايجابيا ازاء شيء ما كالجماعة أو وضع اقتصادى أو وظيفى أو تعليمى أو غيره ، أو أن يكون هذا الشيء شخصا معينا كما قد يكون جمادا أو حيوانا أو معنى مجردا كالبخل مثلاً » .(١)

وينقسم كيسلر الاتجاه الى ثلاثة عناصر : شعورى ومعرفى وسلوكى . ويقول انه من المفروض أن يكون هناك اتساق بين هذه العناصر الثلاثة داخل كل شخص على حدة وفى كل موقف ، هذا هو المفروض . بمعنى أنه يكون على المرء أن يسلك بما لايتعارض مع فكره وشعوره ومايعرفه ازاء شيء معين ، ولكن مانراه يحدث بالفعل فهو شيء آخر . وعندئذ يتساءل كيسلر لماذا لايحدث هذا الذى ينبغى أن يكون عليه المرء ؟

(١) Kiesler. 1971. p. 4.

وفى هذا الصدد يقول المؤلف انه للاجابة على هذا التساؤل ينبغى القيام بالعديد من الدراسات لأنه لايوجد فى هذا الصدد الا النادر من الدراسات وهى فى مجال علم الاجتماع وليس فى مجال علم النفس* .

ولعل السؤال المحورى الذى يطرحه كيسلر فى مؤلفه هو كالتالى : « لماذا لايتصرف الكثيرون بالضرورة طبقا لمعتقداتهم ؟

وبعد هذا يطرح عدة أسئلة : ماهى الأشياء التى تخطر على بال الكثيرين عندما يتدبرون سلوكهم وفقا لمعتقداتهم ؟ وباختصار ماهى الملامح الايجابية والسلبية للسلوك المنسجم مع المعتقد ؟

ويحدد كيسلر ثلاث سمات ايجابية فى هذا السلوك :

أولا : أن يكون لدى المرء صورة ايجابية عن نفسه وأن يشعر أن اتجاهه صحيح ، ومن ثم فهو يعتقد أن القضية صحيحة وينبغى عمل شىء .

ثانيا : أن العمل وفقا لمعتقد المرء يمنحه شعورا بالاعتزاز الشخصى . والشجاعة وبخاصة عندما يكون المعتقد يفتقر الى الشعبية أو القبول من الآخرين . ان صورة التضحية من أجل المعتقد هى جزء من صورة البطل فى الروايات وفى التاريخ الشعبى والسير الذاتية .

ثالثا : ان العمل وفقا لمعتقد المرء ينطوى على معرفته بالقضايا المطروحة ، ومن ثم فان الشخص هنا انسان قابل للمعرفة .

أما السمات السلبية فى السلوك المنسجم مع المعتقد فهى تشمل :

١ ــ احساس المرء باحتمال أن يكون مخطئا ومن ثم يبدو سخيفا أمام نفسه وأمام الآخرين .

٢ ــ أن الفعل أو السلوك يكشف المرء ويعرضه لانتقاد الآخرين .

٣ ــ أن السلوك يكلف المرء وقتا وجهدا ومالا وقد يكون بلا طائل بالاضافة الى أنه قد لايخدم القضية نفسها . فالفعل بما أنه علنى فهو حوافعه شعورية أو لاشعورية وكذا فهو يكشف مكنون النفس وهو الأمر الذى قد يجده الكثيرون غير مريح لهم . وقد يؤدى هذا الى تأثر علاقاتهم بالآخرين الذين لايشاطرونهم هذا المعتقد أو هذا الاتجاه ، كما أن هذا يحد من حرية الحركة فى التفاعل المستقبلى مع الآخرين .

٤ ــ ان هذه القضية أو المسألة قد تتغير فى المستقبل الا أن الآخرين سوف يتذكرون هذا السلوك دون وضعه فى السياق الذى اتخذ فيه .

---

* لانتفق مع ما ذهب اليه كيسلر فى هذا الصدد . فكثير من الدراسات النفسية البحتة وليست الدراسات الاجتماعية قد عنى بمدى الاتفاق أو الاختلاف بين القول والشعور وبين القول والفعل وبين الشعور والفعل (نحيل فى هذا الصدد الى أبحاث كل من فستنجر وميلتون وروزنبرج) .

٥ ــ كذلك من السمات السلبية للسلوك طبقا لمعتقد المرء هو أنه قد يؤدى الى التورط فى المزيد منه مما يخرجه عن الحيز المستهدف أصلا .

٦ ــ كما أن السلوك المتفق مع المعتقد قد يؤدى الى العديد من الاعمال غير المعروف كنهها أو نوعيتها أو على الأقل طلب اتخاذ عمل ما ازاءها ، وذلك دون التأكد مسبقا من صحتها .

ويخلص كيسلر الى (أن السلوك هو الرجل الحقيقى) أما الاتجاهات باعتبارها مؤثرات فانها فى الغالب لاتخرج الى حيز التعبير المناسب فيما عدا الاتجاهات الهامة أحيانا . وعلى سبيل المثال ، فان المرء قد يفضل فى انتخابات الرئاسة مثلا مرشحا على آخر ، الا أننا لانستطيع أن نعلم أن أحدهما سيكون أفضل من الآخر لأنه ليس ثمة وسيلة لذلك .

الا أن مانعلمه على سبيل اليقين هو أننا صوتنا لصالح واحد من المرشحين دون الآخر ، وأن هذا السلوك لايمكن الرجوع فيه .

ومن ناحية أخرى فقد أشار كيسلر الى أن الاتجاهات قد تكون باهتة وليست واضحة بالقدر الكافى ، كذلك فاننا لانغير اتجاهنا فحسب ازاء موضوع ما ، وانما نستطيع بسهولة انكار أننا فكرنا اطلاقا على هذا النحو ان السلوك اذا كان واضحا بدرجة كافية من شأنه أن يجمد الفرد ، كما أن السلوك العلنى مثله مثل القرار الذى لاعودة فيه ، يقدم الأساس الذى ينبغى أن يقوم عليه الجهاز المعرفى . فبالسلوك يصبح المرء ملتزما .

ويعرف كيسلر الالتزام بأنه « الزام المرء لنفسه ، أو هو تعهد لها بانتهاج عمل ما » . ويقول ان أول متطلبات اختبار تأثير الالتزام فى المعمل هو أن تتمكن من التحكم فيه أو تغييره معمليا . ويؤكد أنه لم تجر الا تجارب قليلة فى هذا المضمار ، وذلك على الرغم من شيوع مصطلح الالتزام ، وأن جزءا من المشكلة هو ايجاد تعريف دقيق لمصطلح الالتزام . وهو على هذا يأخذ بالتعريف السابق وهو تعريف قاموسى باعتبار أنه تعريف اجرائى يساعد فى البحث . ويرى كيسلر أن الالتزام متغير متدرج وليس ثنائيا ، بمعنى أن الأشخاص اما أن يكونوا ملتزمين بدرجة أو بأخرى ، ولكنهم لايكونوا ابدا اما ملتزمين أو غير ملتزمين .

ويفترض المؤلف أنه فى الامكان زيادة درجة الالتزام بزيادة واحد أو أكثر من العناصر التالية :

١ ــ وضوح الفعل أى مدى علنيته أو خلوه من الغموض .

٢ ــ أهمية العمل للملتزم .

٣ ــ تعذر الرجوع فى الفعل .

٤ ــ تكرار السلوك .

٥ ــ درجة الرغبة (أو الحرية أو الاختيار) الموجودة لدى الملتزم عند اقدامه على الفعل .

ويورد كيسلر نتيجتين توصل اليهما من تجربة أجراها مع أحد زملائه :

أولاهما : أنه كلما قل الدافع المادى للسلوك المنسجم مع المعتقد كلما تزايدت مقاومة الفرد الملتزم للهجوم على معتقده فى وقت لاحق .

ثانيتهما : أن اختلاف درجات الالتزام بالسلوك ليس له تأثير على الاتجاه القائم . فالالتزام يحدد فقط رد فعل الملتزم على الهجوم اللاحق .

ويقول كيسلر فى موضع آخر من مؤلفه ان الالتزام ازاء سلوك ما لايتوقف ببساطة على رغبة الشخص فى أن يبدو أمام الآخرين متسقا مع نفسه ، ففكرة الشخص عن نفسه وهويته الاجتماعية تعتمد جزئيا على سلوكه وعلى تفسيره لهذا السلوك .

ويورد المؤلف نتيجة تجربة أخرى أجراها بالتعاون مع أحد زملائه ويقول أن أهم ماتوصلا اليه فى هذه التجربة هو ما سماه بالتأثير المرتد Boomrang effect وفيه يؤدى الهجوم على معتقدات الشخص الى زيادة الاتجاه لديه . ويفسر كيسلر ذلك بقوله ان الشخص الملتزم يكون بالفعل مرتبطا بسلوكه فى الماضى . وأن سلوكه فى المستقبل انما يتحدد جزئيا بالسلوك السابق ، مهما كان هذا السلوك حميدا عند القيام به . وقد يصبح الملتزم أكثر تطرفا عندما يتعرض للهجوم ، حيث ان البديل هو التخلى عن رأيه ، والموافقة على الرأى المضاد تكون طريقا مسدودا أمامه نسبيا .

وحيث أن عملية التبرير الذاتى قد لاتكون سهلة ، فقد يلجأ الشخص الى آخرين يكونون أكثر تطرفا لمساندته اجتماعيا فى سلوكه السابق وفى هذه الحالة فقد يتحول الشخص المعتدل الى متطرف . والمرجع فى هذا يعتمد على درجة التزام الشخص وضراوة الهجوم ، بمعنى أن تكون درجة الالتزام مرتفعة لدرجة تجعل من الصعب على الملتزم أن يغير موقفه ، وأن يكون الهجوم قويا بدرجة تثير لدى الملتزم وسائل دفاعه (ولكن بحيث لايصل الهجوم الى درجة شديدة تجبر الشخص على التخلى عن موقفه) .

ويرى كيسلر من احدى تجاربه الى أن تصاعد الالتزام يعتمد على ارتباط درجة الالتزام وقوة الهجوم ، وفى هذا الصدد تصبح درجة الالتزام وليس الالتزام نفسه وفى حد ذاته هى العامل الحاسم .

ويتحدث كيسلر عن الالتزام وما سماه بالصفة التى تعزى attribute للفرد ويقول أنه من الضرورى اعتبار الالتزام صفة تعزى الى الفرد بشكل ثابت ، فالالتزام بحسب تعريفه هو التزام الشخص أو ارتباطه بأعمال سلوكية معينة وأن تأثيره الأساسى يتمثل فى أنه يجعل من الصعوبة بمكان أن يمتنع الملتزم عن هذه الأعمال أو أن ينكرها أو يشوهها أو يفسرها على نحو آخر .

ويقول كيسلر أن العمل الملتزم — كما ذكر سابقا — هو الذى ينبغى على الشخص أن يتعايش معه ويواجه مقتضياته كما وأن العمل الملتزم من شأنه أن ينتج عنه صفات معزوة attributing الى حد كبير ، وهى ستؤثر بالضرورة على صفات بديلة للذات وللآخرين . فالشخص عندما يقوم بعمل ما يحمل جانبا من جوانب مسئوليته الذاتية أى التزامه ، فانه — ينظر الى صفاته المسبقة المعزوة اليه للتحقق

من اتساقه . فاذا كان الفعل ينطوى على قدر كبير من المسئولية الذاتية أى يحمل قدرا أكبر من الالتزام ، فان الشخص قد يرغب فى أن يكون أكثر يقينا من صفاته المعزوة اليه المسبقة وأن يتحقق من هذا بقدر أكبر مما يفعله الشخص الذى ليس على هذا القدر من الالتزام . وعلى هذا فان الارتباطات بين هذا العمل والأعمال الأخرى التى قد تكون قد حدثت فى الماضى ستتسم بقدر أكبر من البروز والظهور فى حالة الالتزام القوى عنها فى حالة الالتزام الضعيف .

ويتحدث كيسلر عن العوامل المؤثرة فى درجة الالتزام ويقول فى هذا الصدد ان ادراك المرء أنه يختار **بكامل حريته** أى شعوره بأنه حر فى أن يفعل خلاف مافعل ينبغى أن يكون أحد الملامح الرئيسية فى الالتزام .

أما الى أى حد يلعب الاختيار دورا رئيسيا فى الالتزام فانه أمر غير معروف فى رأى كيسلر حتى صدور كتابه الذى نحن بصدده . وهناك افتراض لدى كيسلر بأن « الالتزام ينبغى أن يتساوى بالمسئولية الذاتية ، وأن الاختيار هو الوسيلة ان لم تكن الوحيدة فى استخدامه »[١] .

ويرى كيسلر أن الشخص يصبح ملتزما لأنه يشعر بالمسئولية عن سلوكه السابق . ان الذات الملتزمة أكثر مقاومة للهجوم بسبب ما ينطوى على ذلك من تغيير ، ان الذات غير الملتزمة تغير معتقداتها عندما تتعرض للهجوم ، وأن المتغير بالنسبة للنفس الملتزمة لاينطوى على اعتناق رأى جديد فحسب ، ولكن أيضا على حدوث تغيير فى وجهة النظر الذاتية ، وحيث أن الشخص الملتزم يكون اكثر مسئولية عن السلوك المتعارض مع الرأى الجديد ، فانه تبعا لذلك ينبغى أن يشرح ذلك بطريقة ما حتى ولو الى ذاته فقط ، وفى هذه الحالة فان العديد من التفسيرات لاتكون سارة : انه غبى ، انه ارتكب خطأ ، انه تصرف بدون فكرة مسبقة .. وهكذا .

وفى ملاحظاته الختامية يقول كيسلر أن ماتوصل اليه من نتائج يشير الى أنه يناقش مفهوم الالتزام ونتائجه فانه ليس من الضرورى الاعتماد على متغيرات مثل التأييد الاجتماعى ، واعتياد الموضوع ، والاراء المتطرفة وغير ذلك . ويرى كيسلر أن هذه المتغيرات تساهم فى ادراك المرء لالتزامه الذاتى وتغالى فى النتائج المترتبة عليها . الا أنها ليست بالعوامل الحاسمة . ويقول ان هذه المتغيرات لم تلعب فى أى من التجارب التى أجراها مع زملائه وطلابه أى دور . ومع ذلك فهو يقول ان النتائج المتوقعة تحققت فى كل حالة . ومن ثم فهو يرى أن هذه المتغيرات كانت متطابقة مع الالتزام أو هى كانت ضرورية لنتائجه ولكنها ليست عناصر حاسمة فى تشكيل الالتزام .

---

(١) Kiesler. 1971. p. 167.

تعقيب :

تلك كانت أهم الملامح الرئيسية لدراسات تشارلز كيسلر حاولنا بقدر الامكان ايراد الأفكار الأساسية التى وردت فى هذه الدراسات.وسوف نعقد مقارنة بين هذه البحوث والدراسة الراهنة وذلك فى نهاية الفصل الأخير من هذه الدراسة بعد اكتمال خطواتها والتوصل الى نتائجها وسوف تنصب هذه المقارنة على ثلاثة جوانب :

أ ــ من حيث نوع الدراسة بين الدراسات النفسية .

ب ــ من حيث العينة والمنهج المستخدم .

جـ ــ من حيث النتائج .

الفصل الثانى

« تصور نظرى لابعاد مفهوم الالتزام »

سوف نحاول بعد استعراضنا لدراسة كيسلر فى جوانبها الرئيسية أن نبلور تصورنا النظرى لزوايا مفهوم الالتزام وذلك فى خمسة منظورات هى كالتالى :

أ ــ منظور نفسى :

يتعرض لتاريخ مبدأ الحتمية السيكلوجية ثم مفهوم الارادة فى علم النفس . ثم ننتقل بعد ذلك الى استعراض لأهم ملامح النظرية السيبرنطيقية التى نرى فيها نظرية تفسر ــ بعض الشىء ــ الزاوية النفسية لمفهوم الالتزام .

ب ــ منظور اجتماعى :

نتناول فيه علاقة الفرد بالقيم المحيطة به وموقفه منها ومستويات التقبل والتفضيل والالتزام فى هذا الموقف . وتعريف كل مستوى من هذه المستويات .

ج ــ منظور فلسفى :

ويتناول مفهوم الحرية ومكانه فى السلوك النفسى وتاريخ هذا المفهوم على يد الفلاسفة من أمثال سارتر بصفة خاصة .

د ــ منظور تاريخى :

يحاول أن يحدد نشأة كلمة التزام وتطورها حتى تحددت بمعناها الحديث .

هـ ـ معنى السواء :

يتعرض هذا الجزء لمعنى السواء فى الالتزام وكيف أنه يختلف عن معانٍ أخرى قد تختلط معه فى الأذهان مثل مفاهيم الالزام والتصلب والتعصب والتطرف .

وسوف نبدأ بالمنظور النفسي، انطلاقا من أنه يعتبر أهم المنظورات التى ينبغى تناول المفهوم من زاويتها .

(أ) المنظور النفسى

سوف نتعرض لمفهوم الالتزام من منظور نفسى وهو مانرى فيه أهم المنظورات ازاء هذا المفهوم كنتاج أولا لشعورنا بمشكلة الدراسة كما تعرضنا لها فى الفصل الأول وثانيا نتيجة لقراءات أولية لبعض ماتوفر لدينا حول هذا المفهوم الذى لايزال يكتنفه الغموض حتى الآن .

وكما سبق الاشارة فان مفهوم الالتزام يتسم أساسا بأنه مفهوم « مركب » ، قد يفقده التحليل ما فيه من ثراء وتكامل ، ولذا فسوف نحاول قدر المستطاع تناول المنظور السيكلوجى للالتزام فى هذا الاطار النظرى دون تفتيت مخل للظاهرة التى هى بطبيعتها من أكثر الظواهر النفسية تكاملا وتركيبا .

ولكن سوف تكون هناك عودة جديدة لهذا التطور عند التعرض لنتائج الدراسة ككل ولدى مناقشة هذه النتائج .

لمحة تاريخية :

يعتبر ليبنتس أول القائلين بمبدأ الحتمية السيكلوجية أو الجبرية السيكلوجية ، وهو يرى أن هذه الحتمية تقوم « أولا وبالذات ، على أساس القول بأن **الارادة** مشروطة بالبواعث ، أو أن البواعث هى التى تحركنا الى العمل ، وان كانت لاتدفعنا اليه دفعا »(١) .

ولكن يرى ليبنتس وأصحاب هذا الرأى أن **الارادة** هى العامل الحاسم فى رجحان كفة بعض البواعث على الأخرى . وأنه بدون هذه **الارادة** ، فسوف تظل الكفتان فى تذبذب مستمر . وهنا يعترض انصار الحرية المطلقة بقولهم أن **الارادة** تتميز بقدرة تسمح لها بأن تعمل فى استقلال كامل عن البواعث . ولكن يرد ليبنتس على هذا الاعتراض بقوله بأنه لاوجود لتلك القوة السحرية المزعومة التى لاتعرف عقلا ولانظاما ، واذا كانت الحرية موجودة حقا ، فان وجودها انما يتمثل فى اللحظة التى يعمل فيها وفقا للبواعث . ومعنى هذا أن البواعث لاتقضى على كيان الحرية بل هى السند الذى ترتكز عليه وتقوم على دعامته(٢) .

---

(١) زكريا ابراهيم . مشكلة الحرية . الأنجلو المصرية ص ١٠٦ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٠٧ .

وهنا لانجد أبلغ من قول ليبنتس فى تأكيده على أن حرية الانسان هى حرية قوامها الارادة والتعقل اذ يقول فى هذا الصدد « ان النفس لاتوصف بأنها حرة ، الا بقدر ماتحقق من أفعال ارادية قوامها الأفكار المتمايزة ورائدها الاستماع الى صوت العقل »[١] .

ولعل الميزة الأساسية لنظرية ليبنتس فى الحرية هى أنها ترى أنه من المستحيل على الانسان أن يميل بقدر واحد الى سائر الأطراف المتعددة التى تعرض له عند الاختيار »[٢] .

وهو فى هذا يختلف اختلافا تاما مع سارتر ، لأن الوجود الانسانى عند سارتر ينحصر فى اختيار الذات ، وهذا الاختيار وحده هو الذى يحدد بواعث أفعالنا فى حين أن ليبنتس يجعل الصلة وثيقة بين العقل والحرية . ولكن سارتر على العكس تماما يجعل قدرة الانسان على الاختيار مطلقة وغير مشروطة .

غير أن برجسون يحاول أن يجمع بين موقفى ليبنتس وسارتر (على الرغم من أن فلسفته تقع زمنيا بينهما) فيرى أن الانسان يستعين بالحتمية نفسها لكى يخلق لنفسه **حتمية أسمى** هى مايمكن أن نسميه « **بالحتمية المرادة** » .

ذلك أن الانسان عند برجسون يستغل تكوينه الطبيعى وتركيبه العضوى لكى يخلق منه طابعا أخلاقيا أصيلا فيصبح بذلك كما يريد أن يكون .

ولكن اذا كان كل من ليبنتس وبرجسون وسارتر قد عالجوا ــ كل بطريقته ــ موقف الفرد مما يحيط به من اختيارات ، الا أن نظرية كل منهم تعجز عن تفسير كثير من أوجه النشاط الانسانى ، ولايعنى هذا رفض جميع ماجاء فى هذه النظريات ، ولكنه يعنى أنه لاتزال هناك كلمات كثيرة يجب أن تقال بالنسبة لموضوع الحتمية السيكلوجية ، التى تجعل الفرد يرجح اختيارات على أخرى بارادته هو .

ولم تكن النظريات السيكلوجية وبالذات التحليل النفسى والسلوكية بأفضل من النظريات الفلسفية فى محاولة فهم هذه الحتمية السيكلوجية التى تعنيها الكاتبة هنا فى هذه الدراسة . وهى تلك « الحتمية المرادة » اذا جاز لنا استعارة تعبير برجسون .

واذا كان هذا الاستعراض التاريخى السريع لمحاولات بعض الفلاسفة فهم سلوك الانسان يعتبر ضروريا ــ كمقدمة ــ لمحاولة فهمنا لظاهرة الالتزام كظاهرة نفسية ، فان من الضرورى بعد ذلك ان نتعرض لنظرية من النظريات الحديثة فى علم النفس وهى نظرية السيبرنطقيا Cybernetic أو نظرية الضبط الذاتى للسلوك الانسانى .

« وكلمة « سيبرنيتى » Cybernetic قد أخذت عن الكلمة اليونانية Kybernetes ومعناها « الرجل المتحكم فى الآلة وحركتها » .

---

(١) المرجع نفسه ص ١٠٨ .

(٢) المرجع ذاته ص ١٠٩ .

وكان عالم النفس Wiener هو أول من لاحظ الشبه بين الضبط الانسانى والضبط الآلى . ولقد نشر فينر أول بحث له فى هذا الموضوع عام ١٩٤٨ . ومنذ ذلك الوقت كثر البحث فى موضوع الضبط والتحكم الانسانى الذاتى بواسطة « التغذية المرتدة أو الرجعية » .

« ولقد بنى أنصار نظرية الضبط الذاتى للسلوك الانسانى نظريتهم على الأسس التالية :

أولا : ان الانسان يختلف عن الحيوانات الأخرى فى تنظيماته السلوكية ، ولهذا كان من الضرورى ألا تؤسس دراسة الانسان بصفة رئيسية على الأبحاث التى عملت عن تعلم الحيوان ، وأن نهتم بمواقف التعلم الانسانى الحقيقية فتخرج من المعمل الى مواقف التعلم خارجه . حيث يتعلم الأفراد المهارات ذات القيمة الوظيفية فى حياتهم . وحيث يتعلمون المعرفة الرمزية التى تتفتح بها قدراتهم وآفاقهم .

ويلفت أنصار هذا الاتجاه النظر الى أن العوامل المتعلقة بالتكوين الانسانى قد أهملت طويلا فى الدراسة النفسية التجريبية لعملية التعلم بعد أن ظن علماء النفس أن التعلم يمكن دراسته ، مهما كان نوع الخبرة المتعلمة ، كعملية عامة محكومة بمبادىء عامة مثل تلك التى تحكم تعلم الفئران والقردة ، وكذلك يرى أصحاب التفسير السيبرنيتى أيضا أن أصحاب نظريات التعلم المعروفة قد نسوا **أن لكل فرد طريقته فى الأداء** ، وأن التصميم السلوكى للمتعلم ينمو مستقلا تماما عن مواقف التعلم النوعية (فالتعلم ليس وظيفة لمثيرات خارجية ترتبط باستجابات معينة فى ظل عملية التدعيم كما يرى كثير من أصحاب نظريات التعلم المعروفة ، وانما هو أيضا وظيفة **لعملية تنظيم داخلى** للمثير والاستجابة يقوم بها المتعلم نفسه ، أى عملية تتضمن تنظيما وتحكما داخليا تلعب فيه الأجهزة العصبية الحاسة والحركية دورا كبيرا .

ثانيا : المفهوم السيبرنيتى للسلوك* :

« ان الفروض الاساسية لأصحاب هذه النظرية هى أن الانسان يملك جهازا عصبيا هو فى الوقت نفسه جهاز للضبط الذاتى أو التحكم الذاتى للسلوك ، ولكنه يختلف عن التحكم الذاتى فى الآلات ، فى أنه **مرن** وقادر على تغيير أنماط الضبط الذاتى ، ويمكننا أن نقول أن أهم خصائص هذا الجهاز الانسانى ذات الضبط الذاتى تتلخص فيما يلى :

أ ـــ « إنه قادر على أن يبعث فى نفسه الاستثارة وأن يوجه حركاته بنفسه » .

ب ـــ « يستطيع هذا الجهاز أن يتبين الفروق بين هذه الحركات ذاتية المصدر وبين أهداف معينة يسعى الفرد للحصول عليها ، فيعدل طريقه حتى يحصل على الهدف » .

جـ ـــ ان عملية التنظيم واعادة توجيه السلوك فى الاتجاه المطلوب تتم بواسطة عملية « تغذية رجعية أو مرتدة » .

---

* استعانت الكاتبة فى كتابة الجزء الخاص بنظرية السيبرنطيقا بكتاب رمزية الغريب ، التعلم ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٢ ص ص ٤٤٦ ـــ ٤٩٥ .

د ــ « ان عملية التكامل بين اجهزة الاستقبال (الحواس وغيرها) وبين مكونات الاستجابة المتعددة الأبعاد يمكن أن تتحقق بواسطة عملية (التغذية الرجعية الحسية) ».

هـ ــ « تتخصص انماط الضبط أو التحكم الذاتى فى ضوء الخصائص الزمنية والمكانية والعضلية للتغذية الرجعية .

و ــ ان كفاية الأداء وطبيعة التعلم ما هى الا مظاهر مختلفة لمستوى ودرجة تعقيد حلقة مقفلة للضبط الناتج عن التغذية الرجعية التى يحتفظ بها الفرد لتوجيه سلوكه » .

ز ــ « ان تصميم البحث فى السلوك يجب أن يبنى على أساس بحث أبعاد الضبط الناتج عن التغذية الرجعية أى على أساس تحليل كيف أن التغير فى الخصائص المختلفة لمثيرات التغذية الرجعية يؤثر على كفاية الأداء كما يؤثر على مجرى التعلم » .

ثالثا : « أما المبدأ الثالث الذى يستند اليه أنصار نظرية التحكم أو الضبط الذاتى هو أن الجهاز السيبرنيتى أو الجهاز ذاتى الضبط أو التحكم ينظم الاستجابة عن طريق تعيين الفرق بين النشاط الصادر عنه وبين الهدف المراد الوصول اليه ، وفى حالة الانسان فان الجهاز العصبى المركزى يقوم بعملية الجهاز السابق ، ويعتمد أصحاب هذه النظرية على خصائص الجهاز العصبى لاثبات صحة فرضهم فيقولون ان الاحساسات والتيارات العصبية لاتنتقل عبر المسافات البينية فى اتجاه خطى ، وانما يبعث التيار أو المثير العصبى لأن النيرون يرتبط بمصدرين للاستثارة عند نهايات الشعيرات العصبية ، فاذا حدث أن اختلفت الاستثارة عند هاتين النهايتين فان النيرون لايلبث أن يحس بالتباين السابق فى مراكز الاحساس فيبعث بالاستثارة العصبية **المطلوبة** » .

رابعا : « ان الانسان كجهاز سلوكى لديه القدرة ليس فقط على الحركة فى أى اتجاه ، وانما هو قادر أيضا على تحريك أجزاء جسمه المختلفة فى نفس الوقت فى **حركات متكاملة** لا حدود لها ، وتفسر النظرية السيبرنيتية هذا التكامل فى الحركات بأن تفترض أن هناك مستويات مختلفة ــ من التغذية الرجعية الحسية تشترك فى عمليتى الأداء والتعلم ، فهى تفترض وجود ميكانيزم للتغذية الرجعية خاص بالتوازن وآخر بالانتقال ، وثالث بمعالجة الأشياء كما تفترض وجود أجهزة أخرى تساعد على تكامل العناصر المستقلة فى نمط سلوكى موحد » .

« وفى ضوء هذا التفسير لابد أن نعتبر أن كل استجابة تتضمن تكامل التنظيم السيبرنيتى الحاسى مع أجهزة الحركة المتباينة ، وذلك حتى تحدد خطا موحدا للحركة » .

« ويمكن القول بصفة عامة أن المخ ما هو الا جهاز لتبين العلاقات المكانية التى تعتمد عليها التغذية الرجعية الحسية فى **توجيه** حركات الفرد وتنظيم وتحقيق التكامل بين عناصر الحركة مع تباينها » .

ماذا يقصد بالتغذية الرجعية

« ان مفهوم « التغذية الرجعية » يعتبر من أهم المفاهيم التى ظهرت كنتيجة للأبحاث التى عملت عن تدريب الجنود على الآلات الحربية الحديثة أثناء الحرب العالمية الثانية ، على أنه لم ينتشر ويرتبط بالسلوك الانسانى ارتباطا وثيقا الا بعد أن ربط فينر Wiener بين عملية التغذية الرجعية وبين الضبط الذاتى للسلوك » .

« ويمكننا أن نقول ان المصطلح « تغذية رجعية » يستخدم فى نظرية الضبط الذاتى للسلوك لوصف نوع من التفاعل المتبادل بين نوعين أو أكثر من الأحداث ، حيث يستطيع حدث معين (استجابة) أن يبعث نشاطا ثانويا لاحقا (مثيرا نبعث عن الاستجابة) وهذا يؤثر بدوره بطريقة رجعية أو بأثر رجعى على النشاط أو الاستجابة السابقة ، فيعيد توجيهه اذا كان قد حاد عن الهدف » .

وظيفة التغذية الرجعية

« ان للتغذية الرجعية وظائف ثلاثا هى :

أ ـ احداث حركة أو سلوك فى اتجاه هدف معين أو طريق محدد .
ب ـ مقارنة آثار هذه الحركة بالاتجاه الصحيح للحركة وتعيين الخطأ .
جـ ـ استخدام اشارة الخطأ السابقة لاعادة توجيه التنظيم .

« ويلاحظ أن فكرة التغذية الرجعية قد وجدت قبولا كبيرا من علماء النفس بسبب تشابهها مع فكرة معرفة النتائج كمبدأ للكفاية التعليمية ولهذا كان كثير من علماء النفس يستخدمون « التغذية الرجعية » ومعرفة النتائج كأنها شيء واحد . ولما كانت معرفة النتائج تعمل فى العادة كنوع من المكافأة فضلا عما يكتسبه الفرد من معلومات ، لهذا اعتبر كثير من أصحاب نظريات التعلم أن للتغذية الرجعية وظيفة تدعيمية أو تعزيزية ومعنى هذا أن الاستجابة التى يقل فيها الخطأ هى الاستجابة التى تعزز وتتعلم » .

تعقيب :

من العرض الموجز السابق للخطوط العامة لنظرية الضبط الذاتى للسلوك يتبين أنها تنظر الى السلوك الانسانى كعملية نشطة وديناميكية وليست بصفتها عملية جامدة آلية كما هو الحال عند السلوكيين التقليديين كذلك فان هذه النظرية تحاول تفسير التفكير الانسانى بصفته من العمليات المتخصصة ، و« أنه يتطلب مهارة ذات مستوى عال من الكفاية فى تحريك وتوجيه التغير فى أنماط التغذية الرجعية ومايرتبط بها من معلومات خاصة بالعلاقات المكانية أو التتابعية أو الزمنية أو العضلية ، هذا ويختلف التفكير عن الأداء العملى الملموس ، فى أنه يكون محكوما بالتمثيل الرمزى المجرد للأشياء ، مع

استخدام القواعد والعلاقات المرتبطة بتلك الأشياء » .

لهذا كان فهم عملية التفكير والسلوك المعرفى من مشكلات التعلم الاساسية ، وذلك لأن كل السلوك الانسانى الهام يتكامل جزئيا بعمليات التحويل الرمزى ، ويزداد تعقيد النمط الرمزى كلما ارتقت المهارة أو النشاط الابتكارى اللازم لهذا التحويل » .

ومن هنا فان اطار هذه النظرية نرى فيه اطارا ملائما تماما للبعد النفسى لمفهوم الالتزام من حيث كونه مفهوما تتكامل ابعاده المختلفة وبالذات ابعاده الاساسية ولكن يظل البعد النفسى هو « بعد الأبعاد » — ان صح هذا التعبير — فى الالتزام .

كيــف ؟

اذا كان الفرد منذ ولادته ينشأ فى مناخ ثقافى وحضارى معين ويلتقى بمقومات اجتماعية معينة فهل معنى هذا أن الأفراد الذين ينشأون فى نفس الظروف الثقافية والاجتماعية يصبحون نسخا مكررة ؟ تعتقد الكاتبة أن الاجابة هى بـ « لا » . واذن فان الفيصل فى هذه الفروق الفردية الهائلة ليس فقط بين أفراد المجتمع الواحد وابناء الطبقة الاجتماعية الواحدة وانما بين الأخوة بل بين التوائم بل وبين التوائم المتماثلة .

فاذن السؤال لايزال قائما وهو ما الذى يجعل هذه الفروق الفردية الشاسعة بين أناس نشأوا فى حضارة واحدة وثقافة واحدة وربما تقاربت تماما أو توحدت كل العوامل التى من شأنها أن تؤثر فى شكل سلوكهم ووجهته ورغم ذلك نجد فيهم الملتزم بالقيم الانسانية العليا كما نجد فيهم الذى لايلتزم بقيمة أو مبدأ ؟

ان هذه الدراسة تحاول أن تضع يدها على أول الخيط للاجابة على هذا السؤال . وهى من حيث كونها دراسة استطلاعية فانها سوف تنتهى بفروض تجعل من الممكن القيام بدراسات امبريقية متتالية للوصول الى كنه هذا الالتزام على المستوى النفسى . وماهى العوامل والمحددات والتغيرات التى تجعل من هذا الفرد ملتزما وذاك غير ملتزم بما هو ملائم من قيم انسانية .

ونحن نرى أنه اذا كانت قد تعددت جوانب الرؤية فى مفهوم الالتزام فان الجانب النفسى يظل هو الجانب الجدير بالتوقف أمامه ، ومن حيث أن الدراسة الراهنة هى دراسة استطلاعية تشق طريقها وسط ظلمة دامسة فان أقصى ماتهدف اليه هو فك خيوط مفهوم الالتزام وتحديد الأبعاد الداخله فى تكوينه ، دونما تتطلع الى محاولة للتفسير لأن هذا مكانه دراسات امبريقية مقبلة على عينات أكبر وأكثر تنوعا من عينة هذه الدراسة .

ولكن اذا كانت هذه هى حدود البحث الحالى فانه ينبغى القيام بتوضيح أكثر للأسباب التى جعلت الكاتبة ترى فى نظرية الضبط الذاتى أو التحكم الذاتى نظرية ملائمة تماما لمحاولة فهم ظاهرة الالتزام .

وفيما يلى بعض وجهات النظر فى هذا الصدد :

١ ــ تعتقد الكاتبة أن نظرية الضبط الذاتى للسلوك هى النظرية التى تساهم فى فهم ظاهرة الالتزام بشكل أساسى .

٢ ــ ان هذه النظرية تجعل من الظاهرة النفسية ظاهرة تنتج عن تفاعلات دينامية بين الفرد وبين المثيرات التى يواجهها فى مجتمعه بشكل غير ميكانيكى وهى بهذا تختلف كلية عن النظريات التقليدية فى التعلم .

٣ ــ ان هذه النظرية تميط اللثام عن بعض الغموض الذى كان يكتنف طريقة تلقى الفرد للمثيرات الخارجية واستجابته ازاء هذه المثيرات بشكل متفرد قد لايتفق فيه اثنان من الأفراد ، وهى بهذا قد حفظت للفرد انسانيته وتفرده من جهة عن جميع الكائنات الحية ومن جهة أخرى عن الأفراد الآخرين .

٤ ــ لعل فى مفهوم التغذية الرجعية مايفسر الاستجابة المتفردة لكل شخص ازاء نفس المثيرات ، وهو مايفسر التزام بعض الأفراد ببعض القيم وعدم التزام الآخرين بالقيم نفسها .

٥ ــ اذا كانت السيبرنطيقا تعتبر منهجا لتصحيح مسار له أثره فى تعديل السلوك البشرى سواء فى الجانب المعرفى أو الانفعالى أو النفسى ــ حركى ، الا أن مدى دلالته وانطباقه على موضوع بحثنا يرجع فى المقام الأول الى طبيعة مفهوم الالتزام نفسه ، وبصرف النظر عن ظلاله وأبعاده وفئاته ، ذلك أن الالتزام فى جوهره يعلو على التفضيل الذى يعلو بدوره على التقبل . ومن ثم يلعب تصحيح المسار دورا أكبر بكثير فى موضوع الالتزام ، وذلك بحكم شمول مفهوم الالتزام وعموميته ، وأنه يمثل ضبطا ذاتيا للسلوك .

وكأن الضبط الذاتى فى السيبرنطيقا قد تلاحم بالضبط الذاتى المنبثق من مفهوم الالتزام ذاته ... اذا جاز هذا التعبير .

ب ـــ المنظور الاجتماعى :

سوف تتضح أهمية معالجة مفهوم الالتزام من منظور اجتماعى اذا تناولنا علاقة الفرد بالقيم المحيطة به وموقفه منها ، فاذا كان للقيم خصائص معينة نذكر منها على سبيل المثال مايلى :

١ ـــ تهتم القيم بالأهداف البعيدة التى يضعها الانسان لنفسه وليس بالأهداف القريبة .

٢ ـــ ان القيم مرتبة فيما بينها ترتيبا هرميا ، ويعنى هذا أن هناك قيما لها الأولوية فى حياة الفرد عن باقى القيم الأخرى ، فمثلا نجد أن القيم الدينية عند رجل الدين هى القيم التى لها الأولوية ، بينما القيم الاقتصادية تتبوأ المكانة الأولى عند الاقتصادى أما القيم الجمالية فهى القيم ذات الأولوية لدى الفنان .

٣ ـــ صعوبة تغيير القيم لأن جذورها تمتد فى حياة الانسان منذ مولده ومن الصعب استئصالها .

٤ ـــ ارتباط القيم بالمستويات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، أى أن هناك اطارا حضاريا أو ثقافيا لكل مجتمع يدعم ويغذى قيما دون غيرها .

٥ ـــ هناك صلة وثيقة بين القيم والأنا الأعلى لدى بعض علماء النفس التحليلى من أمثال سومرز وفلوجل[١] .

ويتلخص موقف الفرد فى أى مجتمع من القيم السائدة فى هذا المجتمع فى مستويات ثلاثة هى :

١ ـــ « التقبل acceptance وهو المستوى الذى يشار اليه فى التراث السيكلوجى بالمصطلح اعتقاد belief ويعرفه معجم انجلش وانجلش لمصطلحات علم النفس بأنه « تقبل انفعالى لقضية أو مبدأ على أسس يعتبرها الفرد « ضمنيا » اسسا ملائمة . أما من حيث درجة اليقين فان هذا المستوى يقع فى أدنى درجات اليقين » .

٢ ـــ « مستوى التفضيل Preference وهو مستوى يقع فى منزلة بين التقبل والالتزام الكامل ، ويتمثل فى اندماج الفرد فى موضوع القيمة . أما من حيث درجة اليقين فانه فى منزلة متوسطة » .

٣ ـــ « مستوى الالتزام Commitment وفيه توجد أعلى درجات اليقين ـــ وبعبارة أخرى فهو مستوى الاعتقاد بدون شك . أو العقيدة أو الأيديولوجية أو هو « التقبل الصارم لاعتقاد معين على أسس عقلانية »[٢] .

ويمكن التمييز بين المستويات الثلاثة اجرائيا فى ضوء الوقت والجهد الذى يبذله الفرد حول موضوع

---

(١) محمود أبو النيل ، علم النفس الاجتماعى ، الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية ، ١٩٧٥ ، ص ١٥٤ .

(٢) لويس كامل مليكة . قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى الوطن العربى ١٩٧٩ .

القيمة ، (سواء كان شخصا أو ظاهرة أو قضية ما أو مبدأ معين) لأن مقدار الجهد والوقت يتزايد فى كل مستوى عن المستوى السابق ، فهو فى مستوى التفضيل أعلى منه فى مستوى التقبل وأقل منه فى مستوى الالتزام .

وقد أجرى العديد من الدراسات سواء فى الولايات المتحدة وانجلترا وفى مصر والوطن العربى على المستويين الأولين من مستويات موقف الفرد من القيم فى مجتمعه ، وهما مستويات التقبل والتفضيل . أما المستوى الثالث فكما سبقت الاشارة الى هذا فان الدراسة الوحيدة — فيما نعلم — قد اجراها تشارلز كيسلر Charles Kiesler فى عام ١٩٧١ ، أما فى مصر والوطن العربى فان الدراسة الراهنة تعتبر الدراسة الأولى على المستوى الثالث وهو مستوى الالتزام حسب التعريف السابق الاشارة اليه .

واذا كان علم النفس الاجتماعى يهتم أساسا بالعلاقة بين العمليات المعرفية والانفعالات والدوافع من جهة وبين خصائص العالم الاجتماعى للفرد حيث يقول كلينزج أن علم النفس الفردى هو فى الوقت نفسه علم للنفس الاجتماعى بالمعنى الواسع لهذا العلم[١] . كذلك فان علماء النفس العام يسيرون فى نفس الطريق المطابقة بين هذين العلمين »[٢] .

غير أن « هناك فرقا أساسيا بين علم النفس العام وعلم النفس الاجتماعى ، وهو أن علم النفس العام يعتمد على النظرة الجزئية حيث يخضع الادراك والتعلم والتفكير والعمليات النفسية الأخرى للتحليل كل منهما مستقل عن الآخر ، أما فهم السلوك الاجتماعى فهو يتطلب تأكيد التكامل النفسى للفرد . فالفرد يتصرف استجابة للأفراد الآخرين ، أو للمنبهات الاجتماعية ككائن متكامل . فهدف علم النفس الاجتماعى أساسا هو الفرد ككل وليست العمليات السيكلوجية منفصلة »[٣] .

تعقيـــب :

اذا كان فهم السلوك الاجتماعى يتطلب تأكيد التكامل النفسى للفرد ، ويتطلب أيضا بالدرجة نفسها تأكيد أن الانسان ليس « دمية تتحرك بخيوط الظروف الاجتماعية » .

كما أنه أيضا ينبغى رفض المبدأ الجوهرى عند فرويد من أن الانسان ليس سوى ذاتية محضة ، فالانسان لا هو دمية تحركها ظروف اجتماعية ولا هو نظام مغلق زودته الطبيعة بدوافع مشروطة معينة فسيولوجية التناول الصحيح للشخصية الانسانية ينبغى أن يقوم على أساس فهم العلاقة بين الانسان والعالم والآخرين وبالطبيعة وبنفسه . فالانسان كما يراه ايريك فروم « أساسا هو كائن اجتماعى » لا كما افترض فرويد بأنه أولا مكتف بذاته وبأنه ثانيا — بعد هذا — فى احتياج للآخرين .

---

(١) محمود أبو النيل ، ١٩٧٥ ، مرجع سابق ص ٦٤ .
(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها .
(٣) المرجع نفسه ص ٦٥ .

وبهذا فإننا نكاد نقول مع فروم بأنه « لايوجد شيء اسمه علم النفس الفردى ، بل يوجد علم نفس اجتماعى أو بتعبير سوليفان علم نفس العلاقات المتداخلة بين الأشخاص ، بل ان احتياجات ورغبات الفرد تتمركز حول علاقته بالآخرين مثل الحب والكراهية والرقة والتكامل هى ظواهر سيكلوجية اساسا ، بينما هى عند فرويد ليست الا نتائج ثانوية من الاحباطات والاشباعات للاحتياجات الغريزية »[١] .

والذى ينبغى تأكيده هنا هو « أن الشخصية الانسانية ليست نتيجة التكيف السلبى مع الظروف الاجتماعية ، بل هى نتيجة **التكيف الدينامى** على أساس العناصر التى هى إما موروثة بيولوجيا فى الطبيعة الانسانية أو قد أصبحت موروثة نتيجة التطور التاريخى »[٢] .

ونعتقد أنه نتيجة لمفهوم التكيف الدينامى للشخصية الانسانية فانها بهذا الشكل تكون عاملا فعالا فى تطور العملية الاجتماعية واذا كان الدارس غير مهيأ بعد لكشف أبعاد هذا التكيف الدينامى فلابد على الأقل أن يكون مدركا لوجودها .

ولزيادة ايضاح هذه الفكرة نورد الرأى الذى نادى به يوسف مراد كرائد للمنهج التكاملى فى علم النفس فى مصر اذ كان يرى أن « الانسان يترجح خلال نموه النفسى والاجتماعى بين قطبين متطرفين متضادين كلاهما شر : أحدهما هو الانعزال عن المجتمع والانطواء على النفس والآخر هو التطابق الأعمى مع المجموعة الصماء وسيطرة روح القطيع . والقطب الأول يؤدى الى تضخم الانانية والى عبادة الذات . أما القطب الآخر فهو يؤدى الى تلاشى الشخصية الحية والاستعاضة عنها بشخصية مزيفة مستعارة، والى افناء الفرد داخل الجماعة ، بل الى عبادة الجماعة . وليس من مخرج لهذا الترنح غير ظاهرة العلو على المجتمع »[٣] . وهذا هو الذى « يتيح لأبطال الانسانية أن يطوروا المجتمع »[٤] .

---

(١) مراد وهبة . مقالات فلسفية وسياسية ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٧ ، ص ١٨٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٧ .

(٣) المرجع السابق ص ١٩٢ .

(٤) المرجع السابق ص ١٩٥ .

جـ ــ المنظور الفلسفى :

تعتبر مشكلة الحرية « من أقدم المشكلات الفلسفية التى عالجها الفلاسفة والباحثون منذ القدم ، الا أن هذه المشكلة قد اكتسبت أهمية جديدة فى الفلسفة المعاصرة بحيث يمكن اعتبارها « مفتاحا للمشكلات الفلسفية جميعا »(١) .

والواقع أننا لو نظرنا الى الحرية « من الداخل » فسنرى أنها لاتنفصل مطلقا عن التفكير أو التأمل العقلى . بل انها لاتكاد تتميز عن الشعور بالذات . فاذا كان الجسم قد يبدو مجبرا من حيث هو خاضع لعملية فيزيائية تتحكم فى ردود أفعاله ، الا أن سلوكنا لايتوقف بشكل جوهرى على مجرد قوانين علية . لأنه لو كان فى وسع أى شىء خارجى أن يعين أفعالى أو يحدد سلوكى لكنت مجرد شىء أو موضوع . وما أصدق قول ميرلو بونتى فى هذا الصدد « أنه ليس ثمة علة يمكن أن تؤثر من الخارج على الشعور »(٢) . وبعبارة أخرى فانه يمكن القول أن مجرد وجود الذات الشاعرة يتضمن أن فى استطاعة تلك الذات أن تتصور الواقع على نحو مغاير لما هو عليه بالفعل . « لأن الذات تعلو دائما على كل « معطيات » التجربة . ومن هنا يمكن النظر الى التفكير على أنه تجربة روحية فيها تتأمل الذات نفسها »(٣) .

« والواقع أن حرية الانسان ليست مجرد ملكة يتمتع بها الانسان دون أن يساهم فى خلقها وتحقيقها ، فالانسان لايوجد حقا الا اذا اختار نفسه بحرية ، عاملا على خلق ذاته بذاته »(٤) . والانسان فى عالم التجربة ذلك الموجود الوحيد الذى ينحصر وجوده فى حريته ، أما باقى الموجودات فانها خاضعة لجبرية صارمة .

ولكن هل هذه الحرية التى يتفرد بها الانسان عن بقية الكائنات هى حرية مطلقة بعيدة تماما عن معنى الجبر والالزام ؟ هنا يقول سارتر انه اذا كانت الحرية هى صميم الوجود الانسانى نفسه الا أنها تعنى الاختيار . ويرى زعيم الوجودية الفرنسية أن الوسيلة الوحيدة التى يمكننى أن أحقق بها ذلك الاختيار « انما تنحصر فى أن أتخذ لنفسى هذا الموقف المعين بدلا من ذاك »(٥) .

وهنا يبرز مفهوم الالتزام مختلفا تماما عن مفهوم الالزام . لأن فى اختيار الشخص لهذا الموقف المعين تحررا من الالزام الخارجى بفعل الظروف والمعطيات الخارجية . إذن فعنصر الاختيار هنا هو فيما

(١) زكريا ابراهيم ، مشكلة الحرية . ص ١٦٢ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ١٦٢ .
(٣) المرجع نفسه ، ص ١٦٢ .
(٤) المرجع نفسه ، ص ١٦٩ .
(٥) المرجع نفسه ص ١٨١ .

يلتزم به الشخص عنصر على درجة كبيرة من الأهمية .

بل ان عنصر الاختيار الذاتى من جانب الفرد هو ذلك الخط الفاصل بين الالزام والالتزام . فاذا كان الالزام نابعا من معطيات خارجية ، فان الالتزام يكون نابعا من داخل الذات الانسانية .

وفى هذا يقول سارتر « ان الانسان قد ترك لنفسه ووجوده قد أودع بين يديه ، وما حريته سوى تلك المقدرة الذاتية على تكوين نفسه واختيار اسلوبه فى الحياة . واذن فان الحياة الانسانية ليست سوى اختيار مستمر للذات ، وليس ثمة رجاء فى أن يتخلص الانسان من هذه الضرورة التى فرضت عليه فرضا ، لأن الانسان ليس حرا فى أن يتخلى عن حريته »[١] .

بل ان سارتر يذهب الى أبعد من هذا ويرى أن قول الانسان « أنا موجود » مرادف تماما لقوله « أنا حر » .

ولكن هل تعنى الحرية دائما انكار الضرورة كما توهم كثير من فلاسفة الحرية ؟ حقا ان الحرية والضرورة فى الظاهر على طرفى نقيض ، ولكن كلا منهما تفترض الأخرى بحيث أن انكار الواحدة منهما لابد أن يؤدى الى انكار الأخرى .

ولعل فى مفهوم الالتزام مايحقق ذلك « المركب » الذى تأتلف فيه الحرية والجبرية . لأنه لن يكون فى وسعنا أن نتدخل فى مجرى حياتنا النفسية ، لو كانت هذه الحياة خارجة عن كل قانون .

واذا ما عدنا الى التاريخ التكوينى للحرية وجدنا أن حياة الطفل تخضع فى بدايتها للجبرية التى تتحكم فى الحيوان ، لأن مبدأ اللذة هو الذى يقود سلوك الطفل ، حتى اذا ما تفتح ذهن الطفل يوما الى اعتبارات أخرى ، غير اعتبار اللذة الشخصية المباشرة ، فاستطاع أن يقول « لا » لميوله الدنيئة ، كانت هذه لحظة « الحرية » فى تاريخ نموه النفسى والخلقى »[٢] .

وأيضا تتحقق الحرية والالتزام معا فى تاريخ النمو النفسى للطفل حينما يقول « نعم » للفضائل الروحية .

وتبعا لذلك فان الحرية لاتعنى انعدام كل جبرية كما أن الالتزام لايعنى انعدام الالزام — على مابينهما من فارق كبير — ولكن الالتزام يعنى الاستعاضة بجبرية داخلية عن جبرية خارجية اذا جاز هذا التعبير .

بل ان المتفحص لظاهرة الالتزام بشقيها من الحرية والجبرية يجد أنها جهد مستمر من أجل حياة أفضل .

---

(١) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٦٨ .

« وهكذا نجد أن كل من يحاول أن يتجاهل وجود الارادة بدعوى أنها لاتدخل فى نطاق الرياضيات الكونية الشاملة فلن يكون بوسعه أن يفهم من حركات الطبيعة شيئا »(١) .

غير أن ايريك فروم يختلف مع سارتر فى فهمه للاختيار الذاتى الذى ارجعه سارتر الى مفهوم الحرية ، الا أن فروم يرى أن الناس حينما يتخذون القرارات فى حياتهم اليومية انما يتبعون ضغطا أو جبرا باطنيا وخارجيا معا . ويكاد فروم أن يجعل من القرار « الأصيل » النابع من الذات وحدها ظاهرة نادرة — نسبيا — فى المجتمع(٢) . بل ان ايريك فروم يذهب الى أبعد من هذا فيرى أن الفرد وهو محاصر بالشكوك لأنه وهو أساسا انعكاس لتوقع الناس الآخرين عنه قد فقد بشكل ما — ذاتيته ولكى يتغلب على الخطر الناتج عن هذا الفقدان للذاتية فانه يضطر الى التطابق والبحث عن ذاتيته بالاستحسان المستمر والاقرار به من جانب الآخرين .

وبهذا المفهوم يبرز ايريك فروم البعد الاجتماعى لظاهرة الالتزام ، وكيف أنها ليست « نتاجا » فقط لقرار ذاتى باطنى ، بل هى بدرجة ما **نتاج لذلك التواصل بين الفرد والآخرين** . أو هى نتاج لما يمكن أن نسميه بالشخصية الاجتماعية للفرد .

تعقيب :

من استعراضنا السابق للمنظور الفلسفى لمفهوم الالتزام فى أساسياته العامة تتبدى تلك الصلة غير المرئية بين المنظورين السيكلوجى والاجتماعى لظاهرة الالتزام . حينما نجد أن المنظور النفسى يبرز كيفية تكوين هذه الظاهرة نفسيا فى داخل الفرد الا أن هذا التكوين ذاته يدخل فى نطاقه تماما تلك العملية الاجتماعية المتصلة ، ولعل ايريك فروم كان من أبرز الفلاسفة وعلماء النفس الذى استطاع أن يبلور التواصل الواضح بين الجانبين النفسى والاجتماعى للالتزام فى اطار فلسفى شامل . فبينما نجد سارتر يجعل من حرية الانسان مرادفا لوجوده — هو — ذاته — ، فاذا بايريك فروم يؤكد أن ظاهرة الالتزام ليست نتاجا لقرار ذاتى باطنى داخلى فقط ، وانما نتاج لذلك التواصل المستمر والحادث منذ الميلاد بين الفرد والآخرين ، وعندئذ تبرز الشخصية الاجتماعية للانسان .

وعلى هذا فاننا نرى أن هذا التزاوج القائم بين الجانبين النفسى والاجتماعى لمفهوم الالتزام هو تزاوج تقتضيه ضرورة محاولة تحليل المفهوم ، الا أن ممارسة الفرد لما التزم به هى عملية متصلة ومتواصلة بين النفسى والاجتماعى ، بحيث يصعب ايجاد خط فاصل بينهما .

ولعل هذا التزاوج يتضح بجلاء فى مهمة الكاتب أو الأديب « حين تصبح قيمة العمل الأدبى أو مايكتبه الكاتب لاتقاس بالمعيار الجمالى الصرف أو بالمعيار الأخلاقى الصرف ، وانما تقاس أساسا بمدى

---

(١) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(٢) ايريك فروم ، مرجع سابق ، ص ١٦١ .

التفاعل المتبادل بين العمل الفنى والحياة والمجتمع . لأن الفن والأدب هما وسيلة حياة أولا ، لأنه ضرورة من الضرورات الحيوية بالنسبة للانسان ، للفرد والجماعة على السواء « ولن تكون الحياة حياة ، أى لن تكون جميلة الا اذا استوفت كل ضروراتها ، والا اذا نشطت فيها كل الضرورات »(١) .

د ــ المنظور التاريخى :

لمحة تاريخية :

« قبل خمسة وعشرين عاما ، كان يقال كاتب ملتزم وكاتب غير ملتزم ، وكان مفهوم الالتزام عند البعض هو تجنيد كل الطاقة الانسانية فى تحرير الوطن والمواطن والانسان من القيود الاجتماعية والسياسية ، ومن القيم البورجوازية والتقاليد الرجعية الموروثة . وكان الالتزام يبلغ أوجه عندما ينتصر فى صياغاته التعبيرية المختلفة للاشتراكية والطبقية العاملة والانسان ، ضد الرأسمالية والبورجوازية واعداء الانسان وذلك على نحو مطلق تمتزج فيه العقلانية بالمشاعر والحكم الاخلاقية ويتجاهل تماما كل ماهو خارج هذه الدائرة فى الحياة » .

« وهكذا كان مفهوم الالتزام فى الخمسينات يتحدد فى صياغة فكرية ــ سياسية ذات مضمون اشتراكى أخلاقى . وكان الكاتب الملتزم هو التعريف المتواضع عليه للكاتب الاشتراكى أو على الأقل التقدمى ، بمعيار ذلك الوقت . ولم يكن متصورا أن يكون هناك كاتب ملتزم غير اشتراكى أو غير تقدمى . بل وكان غير الاشتراكيين من الكتاب فى السياسة أو الاجتماع أو الفن ، يجاهرون بعدائهم لفكرة الالتزام ، باعتبار أنها النقيض لحرية الانسان فى التعبير . حتى ولو كانوا كتابا فى اللاهوت أو معبرين عن مدارس دينية لها بالضرورة تحديداتها الصارمة » .

« وهكذا حدث التزاوج بين روحية ومواقف المناضل السياسى وبين ابداعات الخلق الفنى والأدبى ، فى ذات الكاتب الملتزم من أبناء جيل الخمسينات ، الذين راحوا يقتحمون ميادين التعبير منذ أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات .

وقد أفرز هذا التزاوج ، ظاهرة خاصة مميزة فى تاريخ الأدب والفن فى مصر ، وهذه الظاهرة كانت سائدة بدرجة أو بأخرى عالميا فى نفس الفترة تقريبا ، وتتجسد هذه الظاهرة فى كون أن غالبية الأدباء والفنانين الذين امتلكوا قوة التأثير فى مجتمعهم نبتوا أول مانبتوا فى حقل العمل والتعبير السياسى النضالى من أجل الحرية والاشتراكية . وكان انتقالهم الى الحقل الأدبى والفنى ، امتدادا ، بوسائل وصياغات أخرى لنفسية المناضل ورؤياه الاجتماعية التى تلزمه بأهداف استراتيجية وقيم كلية ، أملتها مسبقا

(١) محمد غنيمى هلال . مجلة الثقافة .ج العدد ١١ ــ اكتوبر ١٩٦٣ ، ص ١١ .

ايديلوجية محددة جرى اعتناقها وسط ظروف صراع اجتماعى وسياسى تميز ــ وطنيا وعالميا ــ باستقطاب ثنائى حاد بين القوى الرجعية الرأسمالية أو الرجعية أو الاستعمارية (كل ما بات يعرف بالقديم المتهالك) وبين قوى الاشتراكية والتحرر الوطنى والتقدم (أى كل ما بات يعرف بالجديد الصاعد) وذلك فى ظروف الحرب الباردة وبروز مجموعة الدول الاشتراكية وصعود حركة التحرر الوطنى العالمية التى انطلقت فى مصر مع ثورة يوليو ١٩٥٢ » .

وهكذا شهدت الانسانية ــ ومصر جزء منها ــ على المستويات الفلسفية والاجتماعية والأخلاقية والنفسية فى مرحلة تاريخية محددة أى فى الخمسينات والستينات من هذا القرن حروبا باردة وساخنة بين الكتاب الملتزمين (على اختلاف اتجاهاتهم داخل المدارس الثورية والاشتراكية) وبين الكتاب غير الملتزمين على تنوع مدارسهم واتجاهاتهم أيضا » .

تتحدد فى اللمحة التاريخية السابقة . والتى جاءت فى اجابة الكاتب رقم ٨ وهو أحد أفراد العينة ــ نشأة مصطلح الالتزام كما شاع فى أواسط هذا القرن . غير أن ماتعنينا دراسته فى هذا البحث ليس فقط مفهوم الالتزام كما شاع فى هذه الحقبة لأنه فى رأينا مفهوم كان موجودا منذ وعت الانسانية ومنذ أصبح لها من القيم ماتلتزم به ، أيا كانت هذه القيم وأيا كانت تنوعاتها واختلافاتها . ولكن رغم ذلك كان لابد من القاء الضوء على نشأة هذا المصطلح وأبعاده محاولة منا لفهم مايشير اليه سيكلوجيا واجتماعيا وفلسفيا، ولعل فى مواضع أخرى من اجابة الكاتب نفسه مايؤيد ماتذهب اليه الكاتبة. يقول الكاتب نفسه فى موضع آخر من اجابته مانصه : « اعتقد أن اصطلاح الالتزام لم يعد معيارا صالحا للفرز السياسى والاجتماعى والفنى بين الكتاب والمبدعين ، فى واقعنا وعصرنا الراهن . لماذا ؟ لأنه لم يعد الثوريون الاشتراكيون هم وحدهم الذين ينفردون بصفة الالتزام اذا صح التعبير . انما صار كل كاتب من كل مدرسة ومذهب ورؤيةملتزما هو الآخر ، اذا صح التعبير ، بمجموعة من الأفكار والقيم ، قد لاتكون متجانسة تماما » .

وهو يرى « أن الالتزام كمصطلح أفرزته مرحلة الخمسينيات والستينات قد فقد خصوصيته .

وتذهب كاتبة هذه السطور الى أبعد من هذا فترى أن الالتزام قد تحدد كمصطلح بحدود معينة فى فترة زمنية بعينها ولكن ماتعنى هذه الدراسة ببحثه أساسا هو هذا الالتزام بمعناه الانسانى الشامل من زاوية سيكلوجية على زعم منها من أن الزاوية السيكلوجية هى أهم الزوايا فى الالتزام ، لأن الانسان يبدأ من صراعات الواقع والمجال المحيط به وليس من مجرد الاختيار الفكرى المسبق ، وان كان هذا الاختيار الفكرى « يبدعه » الانسان وحده فى ذلك المكان الضيق ــ الرحب أى داخل نفسه هو . لأن الانسان حين يأخذ موقفا انتقائيا من وجهات النظر المختلفة ــ المتاحة للجميع ــ فانه بذلك يؤكد ذاتيته المتفردة عمن حوله ، وهو هنا يكون قد « التزم » بموقف معين دون غيره وان كان لم يخلق موقفا جديدا بمعنى الكلمة .

غير أنه رغم رفضنا لتلك المحددات الاجتماعية أو المذهبية السياسية لاصطلاح الالتزام ، الا أنه لابد من وقفة سريعة أمام هذه المحددات .

يقول لينين فى تعريف شهير له للهدف النهائى للمجتمع الاشتراكى بأنه « ليس سوى خلق ذلك النظام الذى تتكون فى ظله لدى الأفراد **عادة** القيام بواجباتهم الاجتماعية دون حاجة الى أى من أجهزة القمع »(١) .

ومعنى هذه العبارة أن هدف المجتمع الاشتراكى هو أن يجعل أفراد هذا المجتمع « يلتزمون » من داخل أنفسهم بأداء ماعليهم من واجبات دون « الزام » من سلطة أو أجهزة قمع أو أية سلطة خارجية عن الانسان . غير أن لينين لم يقل لنا شيئا عن كيفية تكوين هذه **العادة** ، وهل سيتم ذلك منذ التنشئة الأولى لأفراد هذا المجتمع الاشتراكى أم عن طريق الثواب والعقاب أم فى ازالة ذلك الاغتراب الذى يعد سمة من سمات الانسان فى العالم الرأسمالى ؟

على أية حال ليست هذه قضية يمكن حسمها فى هذه الدراسة ولكن يظل السؤال قائما . وهو اذا كانت الظروف المجتمعية واحدة فما الذى يجعل اناسا يلتزمون بقيم انسانية عليا ويجعل اناسا آخرين لايلتزمون ويضربون عرض الحائط بهذه القيم، وسوف يقول قائل انها التنشئة الأولى ويقول آخر لا بل انها الوراثة ويقول ثالث بل انه الاشباع أى اشباع الحاجات الأساسية للانسان حتى لايشعر الانسان بالضياع ، والعزلة وعدم الفاعلية ، وعدم الانتماء .

ان الهدف من هذه الدراسة هو استطلاع وجهات النظر التى فى ضوئها تتحدد العوامل والمحددات التى تجعل من هذا الفرد « ملتزما » ومن الآخر « غير ملتزم » .

غير أنه فى حدود دراسة استطلاعية كهذه التى نحن بصددها ، يمكن أن نقف فقط على بعض المفاتيح أو بعض المتغيرات التى تدخل ضمن محددات مفهوم الالتزام ، لكى تختبر هذه المتغيرات بعد ذلك فى دراسات امبريقية مقبلة تتعمق كل بعد من الابعاد التى وصلت اليها هذه الدراسة كأبعاد لمفهوم الالتزام من أجل الرصد الكمى لتناقص أو تزايد هذه الأبعاد وأسباب هذا التناقص أو ذاك التزايد ... الخ .

غير أننا ونحن بصدد محاولة معالجة مفهوم الالتزام يجب أن نشير الى أنه اذا كان المفهوم يصطبغ بحداثة تاريخية من حيث بلورته وتسميته ، وهذه الحداثة تساهم — بشكل ما — فى صعوبة دراسته ، الا أن الالتزام كنمط من أنماط السلوك الانسانى ضارب فى القدم . لأن الانسان الحجرى حتى كان يلتزم بقطع الحجر كل صباح لكى يتخذ منه وقودا للتدفئة ، وانسان عصر الصيد كان « يأخذ على عاتقه » أى يلتزم بأن يخرج لكى يصطاد قوته وقوت عياله من أجل البقاء . ولكن اذا كان حب البقاء وحده هو

(١) قدرى حفنى ، مجلة الفكر المعاصر ، العدد ٧٨ ، أغسطس ٧١ ، ص ١٤ .

الذى كان يدفع الانسان فى فجر البشرية الى أن يأخذ على عاتقه بعض المهام أو الأفعال ، فهل هو أيضا حب البقاء هو الذى يدفع الانسان فى العصر الحالى وفى العصور المقبلة الى أن يلتزم بأفكار معينة وبمهام معينة وبأقوال معينة ؟

بل اننا لانذهب بعيدا اذا قلنا أن الالتزام تاريخيا وجد منذ أن وجد الانسان ككائن يفكر .. أى منذ الفكر الانسانى اذا صح هذا التعبير .

ولكن يمكن القول أن مفهوم الالتزام قد تبلور بشكل محدد منذ وجد التجسيد العملى للفكر ... أى الربط بين الفكر وأمور الحياة العملية . ولكن هذا على المستوى الفردى فقط .

أما فيما بعد فقد اتخذ الالتزام — تاريخيا — اشكالا عديدة تجسدت فى الدولة العقائدية ونذكر على سبيل المثال الدولة الدينية كما فى الاسلام مثلا . فمنذ وجدت الدولة الاسلامية تبدى التجسيد العملى لمفهوم الالتزام وليس على مستوى أيديولوجى فقط . فهناك كتاب سماوى ينص على سلوكيات معينة يطالب بها الأفراد ويمكن أن يعودوا اليه اذا اختلفوا فيما بينهم . وفى الدولة الاسلامية وبالذات فى صدر الاسلام تبدت قيمة « العقل والتجربة يبدعان نظم الدول المدنية فى اطار كليات الدين وثوابت الشريعة والوصايا والمثل العليا المنزلة من السماء »[(١)] .

والواقع أننا هنا لسنا بصدد معالجة مفهوم الالتزام من منظور اسلامى فهذا مبحث جدير بأن تفرد له بحوث ودراسات مستقلة . ولكن أرادت الكاتبة فقط أن تشير « كمثال » الى الدولة العقائدية تاريخيا .

غير أن مايعنينا هنا ونحن بصدد الحديث عن الالتزام من منظور تاريخى هو التأكيد على أن بزوغ المصطلح فى أواسط هذا القرن لايعنى أنه قد ولد فى هذه الفترة ، وانما هو مفهوم كان موجودا وينتظر من يحاول فهمه ومعالجته ... ومحاولة الكاتبة اماطة اللثام عن مفهوم الالتزام فى هذه الدراسة لايقف عند مجرد الوقائع المباشرة ، وانما هى محاولة للوصول الى مقومات المفهوم القائم وراء هذه الوقائع المباشرة التى يصطدم بها المرء فى حياته ولايستطيع العثور على الفكرة المجردة التى تضم هذه الوقائع كلها بغرض فهمها . وفى هذا الصدد لنقل مع كيرت ليفين « ان معيار علم النفس العلمى حقا هو فى تخليه عن المفارقة مابين عمومية الماهية المعقولة وخصوصية الواقعة »[(٢)] .

---

(١) محمد عمارة : تيارات الفكر الاسلامى ، كتاب الهلال ، العدد ٣٧٦ ، ص ١٠ .

(٢) حسام الدين محمود عزب ، العلاج السلوكى الحديث ، ملخص رسالة دكتوراه ، ١٩٧٨ ، ص ١٨ .

خلاصــة :

تعرضنا فيما سبق لمفهوم الالتزام على المستوى النظرى من أربع زوايا أو أربعة منظورات هى :

١ ــ المنظور النفسى .
٢ ــ المنظور الاجتماعى .
٣ ــ المنظور الفلسفى .
٤ ــ المنظور التاريخى .

وذلك اعتقادا أن هذه المنظورات أو المنطلقات الأربعة هى منطلقات أساسية فى معالجة مفهوم الالتزام . وسوف نعود مرة أخرى الى بعض المعانى التى تعرضت لها خلال تناول كل منظور فى الفصل الرابع والأخير من الدراسة لكى نكمل الرؤية التى سوف تتضح من تفسير النتائج ومناقشتها فى ضوء هذه المنطلقات .

وفى الجزء الأخير من الاطار النظرى للدراسة سوف نتناول معنى اساسيا فى مفهوم الالتزام نتصور أنه من الضرورى تناوله بشكل تفصيلى وهو معنى السواء فى الالتزام .

معنى السواء فى مفهوم الالتزام

نحن نعتقد أنه من المهم ونحن بصدد الاطار النظرى للبحث تناول « معنى السواء » فى مفهوم الالتزام ، ونرى أن هذا المعنى لن يتضح الا فى ضوء استعراض سريع لبعض المفاهيم السيكلوجية الأخرى التى قد تختلط فى أذهان البعض بمفهوم الالتزام . وهذه المفاهيم الأخرى هى :

١ ــ مفهوم التصلب Rigidity

٢ ــ مفهوم التعصب Prejudice

٣ ــ مفهوم التطرف Extremity

أولا : مفهوم التصلب :

يشير مفهوم التصلب بوجه عام الى « العجز النسبى عن تغيير المرء لتصرفاته واتجاهاته عندما تتطلب الظروف الموضوعية ذلك »[١] .

والشخص المتصلب هو الذى لايستطيع التكيف مع المواقف الاجتماعية الجديدة . وهذا العجز عن التكيف يجعل الشخص المتصلب فى صراع مع نفسه أو مع المجتمع ، فلا هو متمثل لتلك التغيرات التى تجرى من حوله متقبل لها ولا هو بمنجاة عنها »[٢] .

والتصلب أساسا سمة تدخل فى كثير من مواقف الحياة لتعوق الاتصال الاجتماعى القائم على أساس من الفهم والادراك الواقعين . « ولاشك أن هذا الانحراف فى الادراك يؤثر بدوره على السلوك الاجتماعى ، ويؤدى الى جعل هذا السلوك الاجتماعى بعيدا عن أن يكون مناسبا فى تناول المواقف وتحقيق الأهداف »[٣] .

وأهم مايميز مفهوم التصلب هو الصلة الوثيقة بينه وبين النزعة العدوانية والتسلط وعدم التسامح من جهة ، وبين الحب والفهم وتقبل الذات من جهة أخرى .

ويعرف كيرت ليفين K.Lewin التصلب بأنه « حالة خاصة لحاجز وظيفى يعوق الاتصال بين المناطق المتجاورة .

ويعرفه وزلى Wesely بأنه « يمكن تصوره على أنه ميل للاستمرار فى استجابات ربما كانت من قبل ملائمة فى موقف أو آخر ، ولكنها لم تعد تبدو كافية لتحقيق الأهداف الحالية ومن التعريفات الاجرائية للتصلب تعريف طومسون بأنه « الميل الى التمسك بطريقة من طرق حل المشكلة التى كانت

---

(١) محمد فرغلى فرج . مرضى النفس فى تطرفهم واعتدالهم .

(٢) المرجع نفسه. الصفحة نفسها .

(٣) المرجع نفسه ص ١١ .

ناجحة من قبل ، فى وقت لم تعد هذه الطريقة تهيىء اكثر الوسائل مباشرة وكفاءة فى حل المشكلة »[١] .

وقد توصل كل من ليفين وكونين Lewin and Kounin الى نتيجتين :

أ ــ ان التصلب دالة مطردة للعمر الزمنى بمعنى أنه كلما تقدم الشخص فى العمر كلما زادت درجة تصلبه .

ب ــ ان التصلب دالة مطردة لدرجة الضعف العقلى فكلما زادت درجة الضعف العقلى كلما زاد التصلب لدى الشخص .

ويتضح من التناول الموجز السابق لتعريفات التصلب نتبين مايلى :

١ ــ ان مفهوم التصلب يعنى العجز .

٢ ــ ان التصلب يعوق التكيف مع المواقف الاجتماعية الجديدة .

٣ ــ التصلب دالة على الضعف العقلى[٢] .

ومن النقاط الثلاث السابقة التى تميز مفهوم التصلب يتبين الفرق بينه وبين مفهوم الالتزام الذى تتناوله هذه الدراسة . ذلك لأنه اذا كان التصلب يعنى العجز عن مواجهة المواقف الاجتماعية الجديدة فان الالتزام يحقق درجة عالية من الكفاءة فى مواجهة المواقف الاجتماعية الجديدة ، ويتضح ذلك فى ضوء تناولنا للبعد الاجتماعى للالتزام ، والذى يشير الى أن مستوى الالتزام كمستوى من مستويات موقف الفرد من القيم الاجتماعية هو نوع من الاختيار العقلانى « لأحد المواقف التى يواجهها الفرد بوعى وليس بالقهر ، فاذا كان تعريف مستوى الالتزام ازاء القيم الاجتماعية يقول « انه تقبل صارم لاعتقاد معين على أسس عقلية » . فانه بهذا يختلف كلية عن التصلب الذى يعنى فى أحد تعريفاته أنه يعنى ضعفا عقليا . ولذا فان عنصر الاختيار فى الالتزام هو الذى يجعله مختلفا تماما عن التصلب الذى نجد فيه عنصر الاجبار القهرى الذى لايستطيع الفرد منه فكاكا، بل انه لم يختره اختيارا واعيا .

اذن يرجع اختلاف الالتزام عن التصلب الى مايأتى :

١ ــ اذا كان مفهوم التصلب يعنى العجز فان مفهوم الالتزام يعنى القدرة والفاعلية والاقدام .

٢ ــ اذا كان التصلب يعوق التكيف مع المواقف الاجتماعية الجديدة فان الالتزام ــ فى بعده الاجتماعى ــ يعنى مواجهة المواقف الاجتماعية الجديدة واستيعابها ــ بشكل عقلانى ــ ثم اختيار الملائم منها من وجهة نظر الفرد نفسه مما يبعد عنصر الاعاقة القائم فى حالة التصلب .

٣ ــ اذا كان التصلب دالة على الضعف العقلى فان الالتزام فى بعده الفلسفى يعنى درجة عالية من

---

(١) المرجع نفسه ص ١٨ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٩ .

الفهم والوعي لدى الفرد وهو يدحض بهذا وجود أى ضعف عقلى لدى الانسان الملتزم .

وعلى ذلك فانه اذا كان الشخص المتصلب عاجزاً عقليا ومعوقا اجتماعيا ومقهورا فان الشخص الملتزم على درجة عالية من العقلانية وهو غير معوق اجتماعيا وهو حر فى اختيار مايرى وليس هناك قهر فى سلوكه .

أما المفهوم الثانى فهو مفهوم التعصب :

تتضح أبعاد مفهوم التعصب حينما تشير أدبيات علم النفس الى أن الشخص المتعصب يحتقر فئة معينة أو يتحامل عليها . صحيح أن هذا التحامل ينطوى ضمنا على اعتقاد بأن الشخص أرفع من تلك الفئة التى يتحامل عليها ، أو هو برىء من نقائصها ، ولكن هذا لايعدو أن يكون اعتقادا مضمرا فحسب ، وفضلا عن ذلك فكثيرا مايكون سبب التحامل على الآخرين هو نوع من الحقد الخفى الدفين عليهم ، أو الاعتقاد بأنهم يتمتعون بمزايا يعجز المرء عن بلوغها »(1) .

ولذا فان كراهية الآخرين هى الصفة الغالبة على مفهوم التعصب ، فهو أساسا « نظرة سلبية للغير » . والمتعصب أحيانا يتجه بتفكيره اساسا الى الآخرين فى حقد أو حسد أو احتقار ، وهو يميل الى الحاق الضرر بالغير أكثر مما يميل الى تأكيد مزاياه الشخصية أو كسب منفعة ذاتية .

وعلى ذلك فان استعلاء الذات لايمثل جوهر التعصب وانما جوهره فى تلك النظرية السلبية الى الآخرين ، فمثلا الحكم على الأقلية الزنجية بالشر الكامن لايجاد مبرر للتفرقة العنصرية التى تمارس ضدهم من جانب الأغلبية البيضاء هو نوع من التعصب .

ويرى ج . اولبورت G.Allport فى كتابه « كنه التعصب » The nature of prejudice ان كلمة التعصب Prejudice المشتقة من الاسم اللاتينى prejudicium قد تعرضت مثلها فى ذلك مثل العديد من الكلمات والمصطلحات الى تغير فى المعنى منذ العصور الكلاسيكية . وهناك مراحل ثلاث لهذا التغير :

أولا : بالنسبة للقدماء كانت الكلمة تعنى حكما يعتمد على الخبرات والقرارات السابقة .
ثانيا : ثم بعد ذلك اكتسب اللفظ فى اللغة الانجليزية معنى الحكم الذى يكون قبل اجراء الفحص والدراسات الواجبة للوقائع ، أى « اصدار حكم متسرع أو غير ناضج » .
ثالثا : وأخيرا اكتسب اللفظ أيضا السمة الانفعالية الراهنة للمحاباة مع أو ضد التى تقترن باصدار حكم مسبق غير مدعم .(2)

---

(1) احمد فائق ، مجلة الفكر المعاصر ، العدد ٧٤ ، ١٩٧١ ، ص ٢٠ .
(2) Allport, G. The nature of prejudice-first edition. 1954. pp.6-9.

وربما يكون من أبلغ التعريفات وأكثرها اختصارا لمفهوم التعصب هو التعريف التالى : « هو الاعتقاد السيء فى الغير بدون توفر المبرر الكافى لذلك » .(١)

وقد يتضمن هذا التعريف المكونين الاساسيين لجميع التعريفات وهما الاشارة الى **حكم غير مبرر** ثم السمة الانفعالية التى تقترن به . لأن جملة الاعتقاد السيء فى الآخرين هذه ينبغى أن تفهم على أنها تشتمل على مشاعر الاحتقار أو الكراهية ، وعلى الخوف والنفور ، وكذلك على العديد من صور البغض التى تتمثل فى استخدام التفرقة فى مواجهة الغير أو فى التهجم عليهم بقسوة .

غير أن هناك محكا يساعدنا على التمييز بين الأخطاء العادية التى تفضى الى الأحكام المسبقة وبين التعصب . فاذا استطاع المرء أن يصحح أحكامه الخاطئة على ضوء الأدلة الجديدة فهو ليس متعصبا ، لأن الأحكام المسبقة ــ فى رأى « أولبورت » ــ تصبح فقط تعصبا فى حالة عدم الرجوع عنها حتى لو ادحضت بمعلومات جديدة . فالمتعصب لدى « أولبورت » يقاوم ويرفض كل الأدلة التى من شأنها أن تقوضه ، وينزع الى الانفعال عندما يواجه تعصبه بالتناقضات .

وهكذا فان الاختلاف القائم بين الأحكام المسبقة العادية وبين التعصب ــ كما يراه « أولبورت » ــ يتمثل فى أن المرء يمكنه مناقشة الحكم المسبق وتصحيحه بدون أية مقاومة انفعالية وذلك عكس الحال فى التعصب الذى يقاوم أى تصحيح بل انه يقترن بمقاومة انفعالية .

ويرى « اولبورت » أن التعصب قد يوجه ضد مجموعة أو الى فرد باعتباره ينتمى الى هذه المجموعة . ومن ثم فان خلاصة تأثير التعصب طبقا لرؤية « أولبورت » هذه هى فى وضع الشخص المتعصب فى موقف سلبى ليس له مايبرره .

ويضرب « أولبورت » مثلا على التعصب بما يسميه « بالتعصب السلالى » الذى هو نفور من سلالة أو جنس معين يرتكز على تعميم خاطىء غير مرن وغير قابل للتبرير العقلانى .

ويحدد مصطفى زيور التعصب فى عدة نقاط نوجزها فيما يلى :

١ ــ التعصب رد فعل حيث يكون رد الفعل هو التخلى عن الأنانية .
٢ ــ التعصب هو نقل عدوانية الأفراد نتيجة التخلى عن الأنانية الى خارجهم .
٣ ــ التعصب يعيد للفرد أنانيته بشكل آخر حيث يؤدى الى طرح كل مايكرهه فى ذاته على ما يتعصب ضده ليبقى لنفسه ولرفاقه كل مايرضاه عن ذاته ، بل وكل مايمكن أن يجد طيبا فيمن يتعصب ضدهم .
٤ ــ التعصب دفاع نفسى ضد رغبة فى الأنانية اضطر الفرد الى كبتها .
٥ ــ « التعصب توجه ذاتى بالوفاق عن طريق التنازل عن الذات الانانية واحلال ذات مشتركة بينه وبينهم بدلا منه » (٢).

---

(١) احمد فائق . مجلة الفكر المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٢١ .
(٢) المرجع نفسه ص ٢٨ .

ويترتب على هذا اننا سوف نجد من المستحيل استمرار التماسك الاجتماعى بفعل قوة التعصب ، بل ان التعصب يعد خطرا على البناء الاجتماعى اذا ظل هو القوة الرئيسية فيه .

ومما سبق يتضح أن التعصب مفهوم مرضى يعوق التكيف الاجتماعى للفرد ، كما يعوق التماسك الاجتماعى فى حين أن مفهوم الالتزام ـــ وبالذات فى بعده الاجتماعى ـــ هو مفهوم يساعد الفرد على أن يقف موقفا محددا من القيم السائدة فى مجتمعه وهذا الموقف للانسان الملتزم ليس « موقفا رافضا » وانما هو موقف انتقائى ومن هنا فهو موقف صحى لأنه ليس موجها الى جماعة أو طائفة أو فئة بعينها من الجماعات أو الطوائف أو الفئات التى يفضلها المجتمع الذى يعيش فيه الفرد .

واذا كان التعصب هو رد فعل مرضى فان الالتزام هو فعل وهو مبادأة من جانب الفرد بل هو « قرار » اذا صح هذا التعبير . كذلك فان معنى العدوانية المتضمن فى مفهوم التعصب لانجده فى مفهوم الالتزام وذلك ترتيبا على أن الالتزام انما هو موجه ازاء القيم وليس الى أفراد .

كذلك اذا كان التعصب يتضمن اعادة الفرد لانانيته بشكل آخر حيث يؤدى الى طرح كل مايكرهه فى ذاته على مايتعصب ضده ، فان معنى الأنانية فى الالتزام غير موجود لأن الشخص حينما يلتزم بقيمة من القيم لايعنى تأكيدا لأنانية وانما يعنى أساسا نوعا من التوحد أو الارتباط بقيمة مايجدها الفرد ـــ على أسس عقلانية ـــ أكثر ملاءمة له .

وترتيبا على ماسبق يتأكد أيضا معنى السواء فى مفهوم الالتزام لأنه لايتضمن أيا من المعانى السلبية الموجودة لا فى التصلب ولا فى التعصب .

أما المفهوم الثالث فهو مفهوم التطرف :

يتضمن مفهوم الاستجابة المتطرفة معنى السلوك المتصلب ، ولكنها تتميز بالانحراف عما هو شائع . وفى هذه النقطة بالذات يمكن أن تقوم وجهة نظر خلافية وهى تتحدد فى السؤال التالى :

هل كل استجابة متطرفة ـــ أى خروج عن الشائع ـــ تعنى أنها استجابة مرضية تنحرف بالفرد عن مفهوم السواء النفسى ؟ هل الخروج عن حدود المألوف والشائع ان سلبا أو ايجابا يعنى عدم السواء ؟ .

الواقع أن هناك فرقا جوهريا بين التصلب والتطرف . فبينما يعوق التصلب تكيف الشخص مع المجتمع ، الا أن التطرف لايعوق الشخص عن هذا التكيف . غير أن التطرف يعنى عدم النضج الوجدانى ، ولكن لايعنى قط ـــ كما هو الحال فى التصلب ـــ الضعف العقلى لدى الشخص .

كذلك فقد دلت الدراسات التى أجريت على الاستجابات المتطرفة سواء فى الخارج أو فى مصر أن الاكتئاب السوداوى أعلى فى الاستجابة المتطرفة من الأسوياء .

وينبغى الاشارة فى هذا الصدد الى الدراسة التى أجراها سمير،نعيم كذلك فى دراسة أجراها ستركى ثم الربط بين تطرف الاستجابة وعدم النضج الوجدانى . وقد انتهى برنجمان فى بحوثه على الاستجابات المتطرفة الى النتائج التالية :

١ ـــ الاستجابة المتطرفة الايجابية اكثر لدى الفصاميين عنها لدى الأسوياء .
٢ ـــ الاستجابة المتطرفة السالبة أقل لدى الفصاميين عنها لدى العصابيين .
٣ ـــ تتميز الشخصية المتقلبة بتطرف الاستجابة .
٤ ـــ ميزت اختبارات التصلب وتطرف الاستجابة بين الأسوياء وكل من الفصاميين والعصابيين .

ويتبين من هذا العرض الموجز لمفهوم التطرف أنه مفهوم مرضى يعنى عدم النضج الوجدانى .

على أن مايهمنا هنا هو التأكيد على أن مفهوم التطرف اذا كان أساسا هو الخروج عن المألوف فان مجرد الخروج عن هذا المألوف لايعنى المرض . والا كان الأنبياء والمفكرون والمبدعون من المرضى لأنهم يخرجون عن المألوف وهو مالاتقر به الكاتبة . غير أن حسم هذه النقطة لايدخل فى نطاق هذه الدراسة .

ولكن مايهمنا فى هذه الدراسة هو الاختلاف القائم بين مفهوم التطرف هذا ومفهوم الالتزام الذى تتناوله الدراسة الراهنة . لأنه اذا كان التطرف يعنى عدم النضج الوجدانى فان الالتزام يعنى نضجا وجدانيا على أسس عقلانية ويحقق للفرد « رضاء عن نفسه » ولعل عنصر العقلانية الموجود فى مفهوم الالتزام بشكل أساسى هو الذى يؤكد أنه مفهوم يختلف كلية عن المفاهيم الثلاثة السابقة وليس التصلب والتعصب والتطرف . وذلك لما يلى :

١ ـــ ان الالتزام هو تقبل صارم لقيم معينة على أسس وليس بفعل قوة جبرية ، كما هو الحال فى الالزام ، وهو لاينبع من الرغبة فى الاصرار على تبنى مواقف سابقة حتى لو ثبت خطؤها كما هو الحال فى التصلب ، وهو يفيد الآخرين ولايسىء اليهم كما هو الحال فى التعصب ، وهو أخيرا لايشتط من أجل الشطط كما هو الحال فى التطرف .
٢ ـــ ان البعد الفلسفى فى مفهوم الالتزام يشير الى عنصر الحرية والاختيار وهو عنصر متوفر لا فى التصلب ولا فى التعصب ولا فى التطرف ، لان الفرد يتصلب أو يتعصب أو يتطرف بغير اختيار ولعل فى رؤية كيسلر للالتزام مايؤكد هذا المعنى ، وهى الرؤية التى سبق الاشارة اليها والتى ترى فى الالتزام « أن الفرد يأخذ على عاتقه أو يتعهد أمام نفسه باتيان عمل ما أو بطريقة معينة أو بسبيل معين فى الأداء » . فهو قرار واع من الفرد بأن يسلك بهذا الشكل أو ذاك وعلى أسس عقلانية .

الفصل الثالث

المنهج المستخدم واجراءات الدراسة

١ ــ مقدمة

سوف نتناول فى هذا الفصل الخطوات التى انتهجتها الكاتبة حتى توصلت الى « مادة الاتصال » موضوع تحليل المضمون فى هذه الدراسة .

وسوف نتعرض أولا لخصائص العينة المختارة ودورها فى المجتمع وكيفية اختيارها ، وثانيا سنقدم وصفا للسؤال الذى وجهته الى أفراد العينة والأسلوب الذى استخدمته فى مقابلة أفراد العينة ، وثالثا سنتناول كيف تدربنا على خطوات منهج « تحليل المضمون » وهو المنهج المستخدم فى الدراسة ، ورابعا سوف نقوم بتعريف كل فئة تم التوصل اليها وأمثلة عليها .

وفى صفحات هذا الفصل سوف نستعرض كل خطوة من الخطوات السابقة الواحدة تلو الأخرى بالترتيب نفسه الذى انتهجناه فى الدراسة .

٢ ــ عينة البحث

تتألف عينة الدراسة من ٣٠ كاتبا ومثقفا تختلف اتجاهاتهم الفكرية طبقا لما يظهر فى معظم انتاجهم الفكرى والأدبى ، وقد روعى اختلاف الاتجاهات الفكرية للكتاب حتى يتحقق أمران أو عنصران :

العنصر الأول :

تجنب امكانية وصف العينة بالتحيز مما قد ينعكس على فهمها لمعنى الالتزام . أى أن العينة اذا كانت تتألف من كتاب ومثقفين يمثلون اتجاها فكريا واحدا وليكن الاتجاه « العربى الاسلامى » مثلا فان اجابتهم على سؤال البحث بشأن مفهوم الالتزام سوف تكون مصبوغة بصبغة واحدة ، وهذا بالطبع من

شأنه أن يجعل الاجابة متشابهة بل وأحادية الجانب . ولذا فقد روعى أن تمثل مجموعة الكتاب ــ أفراد العينة ــ أكثر من اتجاه فكرى .

ولما كانت المكتبة العربية تخلو تماما من أية دراسة ــ فيما نعلم ــ تصنف الكتاب طبقا لاتجاهاتهم الفكرية ، فقد حرصنا عند اختيار اسماء الكتاب والمثقفين أن تكون اتجاهاتهم الفكرية يصعب أن يختلف اثنان بشأن شيوعها فى كتابات الكاتب وفى انتاجه الفكرى . وسوف تتضح هذه النقطة حينما نتساءل : هل يمكن أن يختلف اثنان مثلا على أن الكاتب والأديب نجيب محفوظ له اتجاه اجتماعى فى معظم ــ ان لم يكن كل ــ كتاباته ؟ هل يمكن أن تنشأ مناقشة بين اثنين من القراء بشأن الاتجاه الفكرى التقدمى للأديب يوسف ادريس فيما يكتبه سواء فى رواياته أو مقالاته أو فى أحاديثه فى أجهزة الاعلام ؟

العنصر الثانى :

لقد روعى اختلاف الاتجاهات الفكرية للكتاب حتى يمكن التوصل الى نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف والظلال بينهما بين هؤلاء الكتاب بشأن مفهوم الالتزام ، مما يؤدى الى التوصل الى المعالم الرئيسية للمعنى الضمنى لهذا المفهوم بكل مافيه من خصوبة وثراء . مما يؤكد وجهة نظرنا من أن هذا المفهوم قمين بالدراسة ، النفسية ــ الاجتماعية .

وقد يثار هنا تساؤل حول السبب الذى من أجله اختيرت عينة الدراسة من شريحة الكتاب والمثقفين دون الشرائح الأخرى فى المجتمع ؟

والاجابة على هذا التساؤل تتحدد فى نقطتين :

(أ) يتبوأ الكتاب والمثقفون مكانة فى المجتمع تجعلهم روادا للوعى فى مجتمعهم وقادة للرأى فيه . ويكاد لايختلف على الدور الذى لعبه كل من مونتسكيو وفولتير فى فرنسا فى أحداث الارهاصات التى مهدت للثورة الفرنسية وهل يمكن أن ينكر أحد أيضا الدور الذى لعبه الامام الشيخ محمد عبده بكتاباته للتقديم لثورة ١٩١٩ ، ثم هناك كتابات توفيق الحكيم وبالذات « عودة الروح » قبيل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . بل ان « دانتى » يرى فى الكاتب أنه الرجل الذى يمسك بمصباح لكى ينير الطريق أمام مجتمعه ..

(ب) ان انتاج الكتاب والمثقفين يندرج تحت « الانتاج اللفظى » وهو ذلك النوع من التعبير الانسانى الذى يعكس انفعالات الشخص وأفكاره بل وأمراضه النفسية ، وفهمه لمجتمعه وثقافته ، هذا بالاضافة الى أن التراكيب اللغوية تعكس الكثير من المعانى ذات الدلالة السيكلوجية ، لأن وظيفة اللفظ أساسا « وظيفة تعبيرية تظهر فيها ذات القائل »(١) . ويذهب سارتر فى مؤلفه « ما الأدب » الى أنه

---

(١) مجلة عالم الفكر ، عدد خاص عن سارتر . المجلد ١٢ ، ١٩٨١ ، ص ٦٤ .

على الكاتب أن يتضامن مع العصر التاريخى والاجتماعى الموجود فيه . ولايجب الارتباط بشىء غير ذلك . وهو يقول فى مجلة « الأزمنة المعاصرة » لكل كاتب موقف محدد فى عصره ، ولكل كلمة من كلماته صدى ، ولكل صمت أيضا(١) .

بل ان سارتر قد أدان موقف بعض الكتاب مثل جونكور وفلوبير اثناء الثورة الفرنسية المعروفة باسم حكومة باريس الاشتراكية التى قامت فى عام ١٨٧١ ، لأنه اعتبر هؤلاء الكتاب مسئولين عن فترة القمع التى أعقبت الثورة أنهم مسئولون لأنهم لم يكتبوا سطرا واحدا لمنعها »(٢) .

ومما تقدم تتضح أهمية اختيار العينة من شريحة الكتاب والمثقفين لأن موقف هؤلاء من عصرهم ومن الأحداث التى يعاصرونها يمكن أن يغير من تاريخ مجتمعهم بل وحتى عصورهم ككل .

ولعل فى العبارة التالية لسارتر تأكيدا لأهمية الكاتب فى مجتمعه وفى عصره بل ومسئوليته عنهما اذ يقول « اننا لانريد أن يفوتنا شىء فى عصرنا ، ربما تواجدت أزمنة أفضل فى الماضى ، ولكن هذا الوقت هو وقتنا نحن وليس لدينا حياة أخرى نحياها »(٣) .

وربما لانجد أفضل مانختم به تناولنا لأسباب اختيار العينة من الكتاب والمثقفين هو ماكتبه ج . لوكليزيو Leclezio عن سارتر فى بحث نشر فى مجلة « لارك » عام ١٩٦٦ تحت عنوان « رجل مثالى » مانصه : « ان الذى بحث عنه سارتر ونجح فى التوصل اليه قد أصبح بالنسبة لنا أكثر من مؤشر ، اذ أنه مجموعة أمثلة . فقد كانت مغامرة سارتر حقيقية . هو فيها الانسان ، وهو المحور الذى يشبه البطل ، وهو بطل مرتين ، لأنه أولا استطاع أن يجسد هذا القرن وإن يتألم لهذا القرن ، وأن يعمل جاهدا فى هذا القرن وأن يعبر أيضا عن هذا القرن . لقد قال لجيلنا ماكان يجب أن يقال وكتب الكلمات التى كان يجب أن تكتب والتى كان الجميع ينتظرونها »(٤) .

واذا كان مما تقدم يتبين الأسباب التى دعت الى اختيار العينة من الكتاب والمثقفين فانه فيما يلى مزيد من الأسباب ولكنها أسباب نشأت من طبيعة المفهوم نفسه موضوع الدراسة وأعنى به مفهوم الالتزام .

كيـــف ؟

فى الجزء الخاص بتحديد المشكلة أشرنا الى أن مفهوم الالتزام مفهوم مركب وبالغ الخصوبة والثراء ، ومن هنا فان اختيار العينة من شريحة هى الأخرى ذات طبيعة مركبة وخصبة وثرية يجعل من

---

(١) المرجع السابق .
(٢) محمود محمود ، اضواء جديدة على قضية الالتزام ، مجلة الفكر المعاصر ١٩٦٨ ، العدد ٣٩ ، ص ٦٤ .
(٣) مجلة عالم الفكر ، ١٩٨١ ، مرجع سابق ، ص ٧٥ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٧٦ .

السهل توفر مايمكن تسميته « باللغة المشتركة » بين الباحث والعينة وموضوع البحث .

فهل كان يمكن مثلا ونحن بصدد دراسة استطلاعية تحاول أن تميط اللثام عن موضوع « مجهل » تماما أن نتخذ شريحة الحرفيين مثلا لكى نسألها عن مفهوم الالتزام ؟ ما الذى كان يمكن أن تعطيه لنا هذه الشريحة — مع احترامنا لدورها فى المجتمع — ازاء ظاهرة أو مفهوم كالالتزام ؟ وهل كان يمكن أن نتوجه بالسؤال عن الالتزام مثلا الى عينة من المراهقين أو الطلاب ؟ قد تكون هذه الشرائح مفيدة فى الأبحاث الأمبريقية اللاحقة على هذه الدراسة حينما لاتكون الأرض جرداء كما هى الآن بشأن مفهوم الالتزام .

ولكن اذا كانت الدراسة الراهنة هى احدى اللبنات الأولى فى محاولة الظاهرة التى نحن بصددها فلابد من التوجه الى شريحة هى بطبيعتها وبطبيعة دورها فى المجتمع تعتبر منهلا خصبا فى هذا الصدد . لأن موضوع البحث أو الدراسة الراهنة موضوع مركب من مجموعة من الأفكار ، والكتاب والمثقفون اناس بضاعتهم الأفكار اذا صح هذا التعبير.

أسماء أفراد العينة :

سوف نحاول أن نشرح طريقة ايراد اسماء الكتاب بشىء من التفصيل عند الحديث عن الاطار المنهجى للدراسة . هذا من جهة ومن جهة أخرى فان ذكر أسماء الكتاب والمثقفين الذين تم تطبيق البحث عليهم يتيح مايسمى بالقابلية للتكرار repeatability وهى واحدة من أهم شروط البحث العلمى .

أما لماذا حرصنا على تقديم نبذة عن كل كاتب وعن أهم مؤلفاته فيرجع أساسا الى محاولة التدليل على أن اختيار أفراد العينة كان من بين الذين لهم انتاج فكرى وأدبى استغرق ردحا طويلا من حياتهم ، بحيث لايمكن أن يختلف اثنان على أنهم من الكتاب والمثقفين ، ولعل المزاوجة بين كلمة « كتاب ومثقفين » انما ترجع الى وجهة النظر التالية :

اذا كان المثقف يحمل على كاهله هموم مجتمعه ومشاكله وآماله وتطلعاته نحو الغد الأفضل ، وهو الذى ينقل التراث من السلف الى الخلف ، وهو الذى يواكب العصر فى متغيراته الحضارية الأولى يكون الكاتب الذى يعبر عن هذه الثقافة فكرا وانتاجا هو بالقطع من المثقفين فى المجتمع ، لأنه عندئذ يكون مثقفا متذوقا لصنوف الثقافة ، وهو مبدع لها فى الوقت نفسه. ولمزيد من توضيح وجهة نظرنا فى هذا الصدد فاننا سوف نورد التصنيف الذى أخذنا به الفئات المثقفين وهو كالتالى وكما ورد فى مجلة « الخفجى » وهى احدى المجلات الثقافية فى العالم العربى :

١ — المثقفون الملتزمون — أى أولئك الذين يتطابق عندهم الفكر والممارسة بحيث لايمكن التفريق بين حياتهم الخاصة وحياتهم العامة ، فهؤلاء يقدمون حياتهم الى قضية أو الى هدف اجتماعى فيصبح مصيرهم ومصير قضيتهم مصيرا واحدا .

وتشكل هذه الفئة فى مجتمعنا وفى كل مجتمع اقلية ضئيلة بين المثقفين الا أنها الطليعة المسئولة عن التغيرات الأساسية التى تحدث فى المجتمع ، وتشكل أداة انتقاله من مستوى الى مستوى أعلى .

٢ ـــ أهل القلم : من الأدباء والكتاب والمفكرين والصحفيين العاملين بالكلمة بالممارسة المباشرة ، ويعتمد دور هذه الفئة فى عملية التغيير الاجتماعى على تأثيرها فى الرأى العام وقدرتها على تغيير الوعى الاجتماعى ودفعه نحو آفاق جديدة . وهذا التأثير لايظهر الا فى المدى الطويل اذ أن العمل الفكرى لايشكل عملا الا عندما يصبح قوة مادية تفعل فى المجتمع الشيء الكثير وتغيره ماديا . الا أن هذا التغيير يأخذ وقتا طويلا .

٣ ـــ العاملون فى حقل التثقيف والتعليم من الأساتذة والمعلمين وتأثيرهم فى العمل الاجتماعى هو نتيجة عملية التعليم المباشر التى يمارسونها ، وهو كتأثير الفئة الثانية طويل المدى ، يرتبط بحياة الجيل الصاعد والتزام هذه الفئة من الأساتذة والمعلمين هو التزام فكرى ومعنوى . فهم كالكتاب والأدباء يمارسون العمل الاجتماعى دون الانخراط المباشر فى صراعات المجتمع وأنها كافة . ولكن رغم ذلك فانهم أى المعلمون والأساتذة يلعبون دورا مهما فى تكوين القوى الطليعية وتحريكها .

٤ ـــ المهنيون من الاختصاصين والتكنوقراطيين العاملين فى الحقول العلمية والصناعية والادارية المختلفة وهذه الفئة تشكل فى كل المجتمعات الفئة الأكثر بعدا عن الوعى الأيديولوجى والسياسى ، وتأثيرها فى المجتمع ينبع من ممارساتها المهنية ونتائج عملها فى حقوق اختصاصها ، والتزام هذه الفئة التزام مهنى محض لايتجاوزه الا فى حالات استثنائية . وتأثير هذه الفئة على المدى الطويل جذرى وعميق . ذلك أن التغيير المنبثق من العلم والتكنولوجيا يؤدى الى تحول جذرى فى بنيان المجتمع المادى وفى علاقاته الاجتماعية .

وتجدر الاشارة الى أن عينة الدراسة الحالية تتألف من الشريحتين الأوليين فى التقسيم السابق نظرا لعنوان الدراسة وحدودها ، ونأمل أن تتناول دراسات مقبلة الشريحتين الثالثة والرابعة .

أسماء الكتاب والمثقفين
مع نبذة عن أهم أعمالهم الفكرية

احسان عبد القدوس (٦٤ سنة)

كاتب وأديب متنوع الانتاج . له عشرات الكتب والمؤلفات . ومن أشهر أعماله : أنا حرة . أنف وثلاث عيون . بعيدا عن الأرض . بئر الحرمان . ثقوب فى الثوب الأسود . الرصاصة لاتزال فى جيبى . الطريق المسدود . فى بيتنا رجل ، لاشيء يهم ، لاتطفىء الشمس . النظارة السوداء .

أحمد بهاء الدين (٥٥ سنة)

كاتب سياسى . ومن أحد أبرز كتاب الأعمدة فى الصحافة المصرية . له عدة مؤلفات من أبرزها : الاستعمار الأمريكى الجديد . ابعاد فى المواجهة العربية — الاسرائيلية . اسرائيليات . أفكار معاصرة . اقتراح دولة فلسطين ومادار حوله من مناقشات . أيام لها تاريخ . وتحطمت الأسطورة عند الظهر .

أحمد بهجت (٥٠ سنة)

كاتب متنوع الانتاج . من كتاب الأبواب الدائمة فى جريدة الأهرام . له عدة مؤلفات من أهمها : بحار الحب عند الصوفية . فى رحاب الله . قصص الحيوان فى القرآن . الله فى العقيدة الاسلامية . أنبياء الله . صندوق الدنيا . قناة السويس شريان من دم المصريين . مذكرات صائم . الوقوع فى هوى الكعبة . صائمون والله أعلم . حراس الحقيقة .

توفيق الحكيم (٨٠ سنة)

كاتب وأديب ومؤلف مسرحى له عشرات المؤلفات والمسرحيات ويعتبر أحد معالم الحركة الثقافية فى مصر المعاصرة . من أهم أعماله أدب الحياة . ارنى الله . أشعب : أمير الطفيليين . أنا والقانون والفن . أهل الكهف . ايزيس . بجماليون . ياطالع الشجرة . بنك القلق . تأملات فى السياسة . تحت شمس الفكر . التعادلية . راقصة المعبد . السلطان الحائر . زهرة العمر . عودة الروح . عصفور من الشرق . محمد . يوميات نائب فى الأرياف .

ثروت أباظة (٥٧ سنة)

كاتب وأديب . كتب العديد من الروايات والمؤلفات من أهمها : الأيام الخضراء . ثم تشرق الشمس . السرد القصصى فى القرآن . شعاع من طه حسين . شىء من الخوف . هارب من الأيام . هذه اللعبة .

جلال الدين الحمامصى (٦٨ سنة)

أحد الكتاب المخضرمين فى مؤسسة أخبار اليوم وله مدرسة صحفية فى تاريخ الصحافة المصرية ، دفع الكثير من حريته من أجل ايمانه بالحرية والديمقراطية . له العديد من المؤلفات من أبرزها : القربة المقطوعة . ماذا فى السودان . حوار وراء الأسوار . من الخبر الى الموضوع الصحفى . هذه صحافتنا بين الأمس واليوم .

د.جلال أمين (٤٧ سنة)

مفكر وكاتب له العديد من البحوث العلمية والمؤلفات من أبرزها : نقد الماركسية . تمدين الفقر . الشرق العربى والغرب . محنة الاقتصاد والثقافة فى مصر . تنمية أم تبعية اقتصادية وثقافية .

د.رشاد رشدى (٦٨ سنة)

كاتب وأديب ومثقف ، من أبرز أعماله : اتفرج ياسلام . بلدى يابلدى . تأملات حول مصر . الحب فى حياتى ورحلة قطار . حبيبتى شامينا . رحلة خارج السور . الفراشة . فن القصة القصيرة . لعبة الحب . ماهو الأدب . نظرية الدراما . نور الظلام .

د. رفعت السعيد (٤٨ سنة)

كاتب بجريدة الأهرام ، وكان من بين الكتاب الدائمين لمجلة الطليعة حتى اغلاقها . له العديد من المؤلفات من أشهرها : أحمد حسين : كلمات ومواقف . الاساس الاجتماعى للثورة العرابية . أوراق ناصرية فى ملف سرى للغاية . تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر . حسن البنا : متى كيف . ولماذا ؟ سعد زغلول بين اليمين واليسار . السكن فى الأدوار العليا . الصحافة اليسارية فى مصر . كتابات فى التاريخ . قادة العمل السياسى فى مصر .

د. زكى نجيب محمود (٧٧ سنة)

كاتب ومفكر وعالم وفيلسوف . يعتبر من أساطين الثقافة المصرية فى القرن العشرين . من أهم مؤلفاته : أيام فى أمريكا . برتراند رسل . تجديد الفكر العربى . ثقافتنا فى مواجهة العصر . جابر بن حيان . خرافة الميتافيزيقا . الشرق الفنان . قشور ولباب . فى فلسفة النقد . المعقول واللامعقول . قصة الفلسفة الحديثة . قصة الفلسفة اليونانية . هموم المثقفين . نحو فلسفة علمية .

طارق البشرى (٥٠ سنة)

كاتب ومفكر . له اسهامات عديدة فى الحياة الثقافية المصرية . شارك بالعديد من البحوث فى عدة مؤتمرات وندوات مصرية وعربية . من أهم مؤلفاته : سعد زغلول يفاوض الاستعمار . تاريخ الحركة الوطنية فى مصر . المسلمون والأقباط . الديمقراطية والناصرية .

عادل حسين (٥٠ سنة)

كاتب ومفكر ومناضل ، دفع من حريته الكثير من أجل مايؤمن به من مبادىء الاشتراكية والعدالة الاجتماعية . كان من الكتاب الدائمين لمجلة الطليعة حتى اغلاقها . من أشهر مؤلفاته : النفط والثروة . الاقتصاد المصرى من الاستقلال الى التبعية .

د. عبد العظيم أنيس (٦٠ سنة)

مفكر وكاتب . عانى كثيرا من أجل مايؤمن به من مبادىء العدالة والاشتراكية . من أبرز أعماله : رسائل الحب والحزن والثورة . فى الثقافة المصرية . العلم والحضارة . علماء وأدباء . هذا بالاضافة الى العديد من البحوث العلمية التى قدمت فى كثير من الندوات والمؤتمرات العلمية المتخصصة .

عمر التلمسانى (٨٠ سنة)

كاتب اسلامى . دفع الكثير من حريته واستقراره من أجل المبادىء التى يؤمن بها . عمل رئيسا لتحرير مجلة « الدعوة » الاسلامية وحتى اغلاقها فى عام ١٩٨١ . من أبرز مؤلفاته : شهيد المحراب ، عمر بن الخطاب . قال الناس ولم أقل فى حكم عبد الناصر . الملهم الموهوب .

فتحى رضوان (٧٢ سنة)

كاتب ومفكر ومجاهد فى حركة النضال الوطنى المصرى . سجن وعذب وشرد سنوات طويلة من حياته من أجل ما يؤمن به من قضايا العدل والحرية له العديد من المؤلفات من أبرزها : أخى المواطن . الاسلام والانسان المعاصر . الاسلام والمذاهب الحديثة . الاسلام ومشكلات الفكر . أفكار الكبار . اله رغم أنفه . الحائرون . الحرب مع اسرائيل . الخليج العاشق . دموع ابليس . السارق والمسروق . « محمد » . مشهورون منسيون . مصطفى كامل . من فلسفة التشريع الاسلامى . المهاتما غاندى : حياته وجهاده . هذا الشرق العربى .

فتحى غانم (٥٥ سنة)

كاتب وأديب . له اسهامات عديدة فى الحياة الثقافية فى مصر . كتب العشرات من الروايات ومن أبرزها : الأفيال . الجبل . الرجل الذى فقد ظله . زينب والعرش . الساخن والبارد . الغبى . الفن فى حياتنا . المطلقة .

فيليب جلاب (٤٩ سنة)

كاتب بمؤسسة روز اليوسف وجريدة الأهالى . دفع الكثير من حريته واستقراره من أجل ما يؤمن به من مبادىء الاشتراكية والعدالة الاجتماعية . من أبرز مؤلفاته : هل نهدم السد العالى ؟ قصة مصر والسوفييت . معالجة المتناقضات فى صفوف الشعب .

كامل زهيرى (٥٥ سنة)

كاتب وأديب ، له اسهامات بارزة فى مجال الثقافة والأدب . وله العديد من المؤلفات والكتب من أهمها : العالم من ثقب الباب . الغاضبون . مزاعم بيجن . مواقف ومنازعات فى الديمقراطية والاشتراكية . النيل فى خطر .

لطفى الخولى (٥٥ سنة)

كاتب ومفكر وأديب . دفع من حريته الكثير من أجل مايؤمن به من مبادىء الاشتراكية والعدل . ساهم فى الحياة الثقافية المصرية اسهامات بارزة . من أشهر مؤلفاته الأرانب . حوار مع

برتراندرسل وجان بول سارتر . الحقيقة والمستقبل . دراسات فى الواقع المصرى المعاصر . رجال وحديد . عام الانكسار فى العالم الثالث . عن الثورة فى الثورة ، وبالثورة . قهوة الملوك . ياقوت مطحون .

د.لويس عوض (٦٨ سنة)

كاتب ومفكر من أشهر مؤلفاته : أجا ممنون . اسطورة أوريست والملاحم العربية . أقنعة الناصرية السبعة . البحث عن شكسبير . ثقافتنا فى مفترق الطرق . الحرية ونقد الحرية . مقدمة فى فقه اللغة .

مصطفى أمين (٦٥ سنة)

كاتب وصاحب مدرسة صحفية تخرج على يديه العديد من الكتاب والصحفيين فى مصر . له العديد من المؤلفات من أبرزها : أمريكا الضاحكة . تحيا الديمقراطية . ست الحسن . سنة أولى حب . سنة أولى سجن . سنة ثانية سجن . سنة ثالثة سجن . سنة رابعة سجن . صاحب الجلالة فى الزنزانة . الكتاب الممنوع . الـ ٢٠٠ فكرة . وماذا بعد حرب أكتوبر .

مصطفى بهجت بدوى (٦١ سنة)

كاتب وأديب له اتجاهات اشتراكية ودينية . من أبرز مؤلفاته : أوراق من قضية العمر الحالم . رحلات جادة مرحة . كلام عنا وعن اسرائيل . لن نخون فلسطين . من مذكرات رئيس التحرير . وجاء العيد بعد العاشر من رمضان .

محمد خلف الله (٧٨ سنة)

مفكر وكاتب اسلامى من أهم أعماله : الطفل من المهد إلى اللحد . احمد فارس الشدياق . دراسات فى النظم والتشريعات الاسلامية . عبد الله النديم . على مبارك وآثاره . القرآن والثورة الثقافية .

محمد صبيح (٧٠ سنة)

كاتب ومؤرخ وعالم ومحقق للتراث من أشهر أعماله : أبو بكر الصديق . أيام وأيام . خالد بن

الوليد . طارق بن زياد وأبو مسلم الخراسانى . على وعثمان . عمر بن عبد العزيز . عمرو بن العاص . عن القرآن . قواعد الاسلام خمس .. وخمس .

محمد سيد أحمد (٥٣ سنة)

مفكر وكاتب بمؤسسة الأهرام . له اسهامات عديدة فى الحياة الفكرية والثقافية فى مصر . ارتفع على مصالح طبقته التى ينتمى اليها بالمولد وانضم الى صفوف الكادحين والطبقات العريضة . زاهد فى أى مطمع شخصى . ودفع الكثير من حريته من أجل ما يؤمن به من مبادىء الاشتراكية ومن أجل مستقبل أفضل لشعب مصر . من أهم مؤلفاته : مصر بعد المعاهدة . بعد أن تسكت المدافع . مشروع ايزنهاور .

د. محمد عمارة (٥٥ سنة)

كاتب ومفكر وعالم اسلامى . له العديد من المؤلفات والكتب المحققة من أبرزها : الاسلام والثورة . الاسلام والسلطة الدينية . الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى . الأمة العربية وقضية التوحيد . تجديد الفكر الاسلامى . التراث فى ضوء العقل . الجامعة الاسلامية والفكرة القومية عند مصطفى كامل . رسائل العدل والتوحيد . مسلمون ثوار . قاسم أمين وتحرير المرأة . نظرية الخلافة الاسلامية .

نجيب محفوظ (٦٥ سنة)

كاتب وروائى وأديب . يعتبر أحد معالم الحركة الأدبية فى مصر . له عشرات المؤلفات والروايات من أبرزها : أفراح القبة . بداية ونهاية . بيت سىء السمعة . بين القصرين . تحت المظلة . الحب تحت المطر . خان الخليلى . خمارة القط الأسود . دنيا الله . رادوبيس . السراب . السكرية . الشحاذ . شهر العسل . الشيطان يعظ . الطريق . الكرنك . ميرامار . اللص والكلاب . ثرثرة فوق النيل .

نعمان عاشور (٦٣ سنة)

كاتب وأديب ومثقف له العديد من المؤلفات والمسرحيات من أبرزها : برج المدابغ . بلاد برة . الناس اللى فوق . الناس اللى تحت . جنس الحريم . الجيل الطالع . حواديت عم فرج . رفاعة

الطهطاوى . سر الكون . شعب مصر . صور من البطولة والأبطال . عائلة الدوغرى . فوانيس . لعبة الزمن . المسرح حياتى . وابور الطحين . وياحلم يامصر .

يحيى حقى (٧٥ سنة)

كاتب وأديب ، يعتبر انتاجه الأدبى أحد المعالم الرئيسية للحياة الأدبية والثقافية فى مصر . ومن أهم أعماله : فجر القصة القصيرة . قنديل أم هاشم . فكرة فابتسامة . خليها على الله . حقيبة فى يد مسافر . خطوات فى النقد . دماء وطين . عنتر وجولييت . قصص ولوحات . صح النوم . عطر الأحباب .

د. يوسف أدريس (٥٥ سنة)

كاتب وأديب . يعتبر رائدا للقصة القصيرة فى مصر . له اسهامات عديدة فى الحياة الفكرية والثقافية المصرية . متنوع المواهب . يكتب المقال والقصة القصيرة والرواية والمسرحية . من أهم مؤلفاته : ارخص ليالى . جمهورية فرحات . البيضاء . الجنس الثالث . الفرافير . المخططين . حادثة شرف . بصراحة غير مطلقة . الحرام . رجال وثيران . العسكرى الأسود . العيب . قاع المدينة . اللحظة الحرجة . النداهة .

ملاحظات عامة على أفراد العينة

أوردنا فى الصفحات القليلة السابقة أسماء أفراد العينة من الكتاب والمثقفين مقرونة بعمر كل كاتب ومثقف ، مع نبذة عن أهم أعمال كل منهم استقيناها من الرصد الموجود فى مكتبة الجامعة الأمريكية ، ويلاحظ مما تقدم مايلى :

(١) تنوع واختلاف عمر أفراد العينة مما جعل المدى العمرى لأفراد العينة يبلغ ٣١ عاما (اصغر أفراد العينة سنا يبلغ ٤٩ عاما وأكبرها يبلغ ٨٠ عاما) وعلى الرغم من أن عامل السن ليس من العوامل التى يتناولها التصميم الاساسى للدراسة ، الا أننا نرى أن هذا التنوع والاختلاف فى عمر أفراد العينة ساعد على ابراز نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف بين أفراد العينة فى اجابتهم على السؤال المفتوح الذى وجهته الكاتبة لهم، مما ساعد على ابراز الكثير من الظلال وظلال الظلال بشأن مفهوم الالتزام . ونأمل أن تتسع بحوث مقبلة لتناول عامل السن كأحد العوامل الأساسية فى تكوين الالتزام وتوليده .

(٢) روعى عند اختيار أفراد العينة أن تتنوع مكانة الكتاب داخل الاتجاه الفكرى الواحد . فمثلا حاولنا قدر ما استطعنا ألا يكون الكتاب الذين يمكن ادراجهم تحت اتجاه فكرى واحد صورا مكررة من بعضهم البعض ، أو أن يكونوا فى مدى عمرى واحد . ولمزيد من ايضاح هذه النقطة ، فقد تضمن الاتجاه العربى الاسلامى (كاتجاه أشمل) كتابا ومثقفين منهم الذى يرى الاسلام أنه مجموعة من النصوص المقدسة التى يجب أن تؤخذ كما هى ، ومنهم أيضا من يندرج فكره تحت هذا الاتجاه ، ولكنه يرى أن الاسلام دين ودنيا وأنه يتسع لاجتهادات المسلمين جميعا . وكان الغرض من محاولة توفير هذا العنصر هو أن نبتعد عن أن يكون أصحاب الاتجاه الفكرى الواحد من ذوى الرؤية المتكررة فيما بينهم ، وذلك لتوفير اكبر درجة ممكنة من التنوع والثراء لأفراد العينة .

(٣) اذا كانت الكاتبة قد رغبت رغبة شديدة فى دراسة موضوع الالتزام فقد كان عليها ــ مختارة ــ أن تتحمل كل الصعوبات التى واجهتها فى التعامل مع أفراد العينة فبقدر ثراء وخصوبة الكتاب والمثقفين وخطورة دورهم فى المجتمع ، بقدر ما واجهت العديد من الصعوبات التى كان يمكن أن ينوء بها كاهلها لولا ايمانها الراسخ بأهمية بحث « مشكلة الالتزام » على المستوى السيكلوجى اذا صح هذا التعبير . وقد كانت تتلخص هذه الصعوبات فيما يلى :

أ ــ كثرة المهام والارتباطات الملقاه على عاتق الكاتب والمثقف وبخاصة المشهور منهم مما جعل تدبير عدة لقاءات بينه وبين الكاتبة يستغرق من الوقت والجهد الكثير .

ب ــ محاولة « استكتاب » المثقف أو الكاتب فى موضوع بعينه وهو الذى تعود أن يكتب حينما يريد وفيما يريد ، كان من أهم الصعوبات التى واجهناها فى التعامل مع أفراد العينة .

جـ ــ كان مرض أو شيخوخة الكاتب أو المفكر تحول أحيانا بيننا وبينه أما لضعف فى السمع ، أو لضعف فى الذاكرة مما كان يستتبع تحديد أكثر من موعد .

د ـــ عدم وجود مكان أو عدة أماكن أو مؤسسات يتجمع فيها الكتاب والمفكرون ، أدى الى أن نجوب فى أماكن عديدة من العاصمة وغير العاصمة للوصول الى أحد أفراد العينة إما فى منزله أو فى مكتبه كل على حدة .

هـ ـــ بقدر ما كان أفراد العينة من « عمالقه » الفكر بقدر ماكان عصيا علينا أن نخضع هذا « العملاق » لعملية البحث العلمى ، غير أننا كنا نحرص على ابراز أهمية الدراسة فى مجال علم النفس الاجتماعى وكيف أنها دراسة رائدة فى هذا المجال ، مما كان يساعد على « استجابة الكاتب أو المثقف للمقابلة والأجابة على السؤال المطروح » .

ولانريد أن نطنب أكثر من هذا فيما واجهناه فى التعامل مع أفراد العينة ، لأنه بقدر هذا العناء بقدر ما كان لها شرف اللقاء الشخصى والتعامل مع هؤلاء المفكرين الذين تعتز بهم مصر كثروة قومية وكمعالم أساسية من معالم تاريخها الثقافى والأدبى .

المنهج المستخدم

مقدمة فى الاطار المنهجى

قد يكون من الضرورى بعد تناول الاطار النظرى للدراسة أن نشير فى ايجاز الى الاطار المنهجى الذى انطلقت منه لتنفيذ اجراءات الدراسة .

اللغة كوسيلة للتفاهم والاتصال الانسانى :

« يولد الطفل وهو مزود بالقدرة على التعبير ، الا أنه لايستطيع القيام بهذه الوظيفة فعلا الا بعد أن تصل الأجهزة الداخلية الخاصة بالكلام الى درجة معينة من النضج ، حيث تعتبر هذه الأجهزة هى المسئولة عن نمط استجابى معين ، يحقق وظيفة معينة للفرد وهى عملية الكلام نفسها »[1] .

« اذن فالنضج شرط ضرورى وهو يتعلق بالنمو ، بينما التدريب يتعلق بالتعلم ، وكلاهما متلازمان حيث أنه لايمكن الفصل بينهما فى أساليب النشاط المتباينة التى يؤديها الفرد والتى هى فى الحقيقة نتيجة التفاعل بين كل من النضج والتعلم » .

« واللغة تكتسب وتتعلم لاأثر للوراثة فيها : فالطفل الذى يولد من أبوين مصريين وينشأ بعيدا عنهما فى بيئة أخرى ولتكن فرنسية مثلا ، أو المانيا ، فانه حتما سينطق لغة هاتين البيئتين بطلاقة واضحة وكأنه ولد من أبوين أجنبيين فعلا»[2] .

(١) نوال عطية : مرجع سابق ، ص ٢٥ .

(٢) المرجع نفسه ص ٢٦ .

« واذا كانت بعض الأبحاث تؤكد ضرورة وجود اللغة لحدوث العمليات المعرفية لدى الطفل ، الا أنه لايمكن الجزم بعدم امكانية حدوث تلك العمليات بدون اللغة ، حيث ذكر هيدر وهيدر Heider & Heider فى دائرة المعارف (١٩٦٠) أن الطفل الأصم يمكنه تنظيم عالم خبراته بدون لغة ما ، متفقا فى ذلك الى حد كبير مع نفس الطريقة التى ينظم بها الطفل غير الأصم عالم خبراته »[١] .

واذا كان السلوك اللغوى هو الذى يميز الانسان عن غيره من الكائنات الأخرى ، فاللغة هى أداة التعبير عما يدور فى ذهن الفرد ، وهى الوسيلة الاجتماعية الأكثر أهمية بالنسبة له من أى وسيلة أخرى ، لأنها هى الوسيلة لاشباع رغبات الفرد والتعبير عن أفكاره واحساساته للآخرين . وما اللغة الا عبارة عن نظام اجتماعى معين تتخذه جماعة معينة فى مجتمع ما للتحدث والتفاهم به ، ويتأثر هذا النظام بباقى النظم فى المجتمع سواء منها الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو الدينية[٢] .

« وفى الواقع فان الانسان لايمكنه الاستمرار فى الحياة بدون اللغة ، فكما أن الغذاء والهواء ضروريان لحفظ بقاء الكائن الحى ، فاللغة أيضا لاتقل عنهما أهمية بالنسبة لاستمرار وبناء الحياة الاجتماعية والاتصال الاجتماعى بين الأفراد والجماعات »[٣] .

ونظرا للأهمية القصوى للغة كوسيلة للتعبير عن أفكار الانسان ومشاعره وأحاسيسه سواء أكانت منطوقة أم مكتوبة ، فانه كان من الضرورى ابتكار منهج معين لتحليل هذه اللغة من أجل الوقوف على أفكار ومشاعر وأحاسيس الأفراد والجماعات ، وكذلك للوقوف على قيمهم فى الاطار الحضارى والثقافى الذى يحيط بهم . ولذا فقد توصل العلماء الى منهج من أهم المناهج فى علم النفس خاصة وفى العلوم الاجتماعية بصفة عامة ذلك هو منهج تحليل المضمون أو تحليل المحتوى .

وفيما يلى سوف نورد نبذة قصيرة عن هذا المنهج نظرا لأهميته البالغة فى البحوث النفسية والنفسية الاجتماعية بعامة ولأنه هو المنهج الذى استخدمناه فى الدراسة الحالية عن مفهوم الالتزام بخاصة .

تعريف تحليل المضمون :

يخلص برلسون (١٩٥٢) الى التعريف التالى : « تحليل المضمون هو أسلوب للبحث من أجل الوصف الموضوعى المنتظم الكمى للمضمون الظاهر للاتصال » .

وكما يرى برلسون فان محتوى الاتصال يشمل كل المعانى التى تنتقل عن طريق الرموز (اللفظية والموسيقية والمصورة والحركية ... الخ) التى تكون مادة الاتصال نفسها . والتحليل بهذه الصورة يشمل موضوعات متنوعة مثل : تحليل الشعارات التى تستخدم فى مناسبة قومية معينة أو النماذج الرئيسية فى

---

(١) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(٢) المرجع نفسه .
(٣) المرجع نفسه . ص ٤٦ .

تمثيليات شكسبير، مقارنة بين القيم فى المواد الأدبية فى ثقافتين مختلفتين فى الفترة نفسها أو مقارنة بين الجرائد والأفلام فى معالجة الجريمة ، تحليل دعايات الاعداء ، تحليل شخصية الكاتب كما تنعكس فيما يكتب ... الخ » .

* ويقصد **بالموضوعية** امكان التوصل الى النتائج نفسها اذا ما حاول أكثر من باحث أن يحلل المضمون نفسه بنفس الطريقة التى استخدمها الباحث الأول . أى مايسمى بالقابلية للتكرار repeatability .

أما **الوصف المنظم** فيعنى أنه يتوخى قواعد محددة من حيث تحديده للفروض والمفاهيم ، ومن حيث اختياره للعينة ولرموز التحليل المستخدمة ، مع مراعاة شروط الثبات والصدق وفيما يتعلق بالوصف الكمى أو **التكميم** quantification فهو يعنى أن يقوم الباحث بحساب أفكار معينة يتكرر ظهورها فى المحتوى أو المضمون .

وهناك ثلاثة افتراضات أساسية يقوم عليها منهج تحليل المضمون نجملها فيما يلى :

١ ـــ أن هناك علاقة بين « المضمون » وبين التفسير الذى يترتب عليه . أى أن التفسير الذى يصل اليه الباحث يكون هو التفسير الممكن الوحيد . وتوجه انتقادات عديدة لهذا الافتراض .

٢ ـــ ان المضمون (موضوع التحليل) له معنى واحد مشترك يقصده الكاتب أو صاحب الرسالة ، ولدى من يتلقون هذه الرسالة أيضا ، وأخيرا لدى الباحث نفسه الذى يقوم بالتحليل .

٣ ـــ ان الرموز المعبر عنها عن هذا المضمون هى اللغة المشتركة بين الثلاثة (أى بين صاحب المضمون ومستقبل الرسالة والباحث الذى يقوم بالتحليل) .

رموز التحليل :

تقوم عملية التحليل على تحديد الرموز وعلى نظام الترقيم أو العد المستخدم .

وتنقسم رموز التحليل الى نوعين :

أ ـــ فئات التحليل Categories

ب ـــ وحدات التحليل Units

وسنتناول كل نوع من هذه الرموز بشىء من الايجاز :

---

* استعانت الكاتبة فى كتابة الجزء الخاص بمنهج تحليل المضمون بما ورد فى رسالة الدكتوراه المنشورة لمحمد سلامة آدم وهى بعنوان « المرأة بين البيت والعمل » دار المعارف . القاهرة ١٩٨٢ ، ص ص ٢١١ ـــ ٢١٤ .

١ ــ فئات التحليل :

تعتبر الفئات وتحديدها إحدى المشكلات الكبرى التى يواجهها الباحث الذى يستخدم منهج تحليل المضمون . لأن هذه الفئات تعتبر بمثابة « الخانات » التى ستوضع فيها وحدات التحليل . وهذه الفئات تتحدد طبقا لاغراض البحث ، كما أنها تعكس نوع المشكلة الذى يود الباحث معالجتها .

وهناك أربعة نماذج لهذه الفئات :

(١) **فئات الموضوع** : وهى أكثر النماذج شيوعا وهى تجيب على ماهية الموضوع الذى تدور حوله مادة الاتصال .

(٢) **فئات المعيار** : وهى تستخدم فى الدراسات المقارنة حيث يختار عمل ما ، كمعيار يقاس عليه ، أو تنسب اليه الأعمال الأخرى ، فى نفس المجال المراد دراسته . ويصنف مضمون الاتصال فى هذه الأعمال وفقا للمعيار المستخدم .

(٣) **فئات القيم** : وهى من الفئات التى يشيع أيضا استخدامها وهى تبحث عن الأهداف التى يسعى اليها المضمون .

(٤) فئات الاتجاه : وتستخدم لتحديد طريقة معالجة موضوعات المحتوى . وهى تنحصر جميعا فى متصل (التأييد / عدم التأييد) فقد نقول
أ) اتجاه ايجابى / فى مقابل / اتجاه سلبى .
ب) اتجاه قوى / فى مقابل / اتجاه ضعيف .
ج) اتجاه نشط فعال / فى مقابل / اتجاه غير نشط .

٢ ــ وحدات التحليل :

وهى بايجاز تعنى « المفردات » التى ستوضع أو التى ستندرج تحت الفئات ، ومن ثم فهى التى يجرى عليها حساب تكرارات ظهورها . وقد تكون وحدات التحليل ــ فى حالة المضمون اللفظى ــ أما الكلمة أو الجملة التى تحمل فكرة ــ وقد تكون الجملة قصيرة مقتضبة أو طويلة مسهبة وقد تصل مثلا الى فقرة بأكملها .

وتجدر الاشارة الى أنه كلما كانت وحدات التحليل بسيطة ، كلما كانت عملية التحليل أدق وبالتالى كانت المعالجة الاحصائية أيسر وتصبح الموضوعية ممكنة . فمثلا تعتبر وحدة الكلمة أكثر موضوعية ودقة من الجملة . وأحيانا ماتؤخذ الجملة كوحدة تحليل ثم ترد الى كلمات ، ثم ترد الكلمات الى جمل ، مرة أخرى ، وذلك لكى يتدرب الباحث ويتغلب على صعوبة التحليل بالبدء بالجملة .

تلك هى نبذة قصيرة عن تحليل المضمون كمنهج ، ولكن هناك بعض المحاذير التى تجعل

الوصول الى تعميمات من النتائج المستخلصة من هذا المنهج أمرا صعبا . وهذه المحاذير تتلخص فيما يلى :

١ ـــ الثبات (ثبات المحللين) .
٢ ـــ الصدق (صدق فئات التحليل) .
٣ ـــ العينة (مادة الاتصال نفسها) .
٤ ـــ أسلوب تفسير النتائج .

ولكن يمكن التغلب أو معالجة هذه المحاذير اذا عمد الباحث الى تعريف فئات التحليل ووحداته تعريفا اجرائيا دقيقا . وهو مايجعل الاقتراب من مستويات الموضوعية المنشودة أمرا ممكنا .

ويهمنا فى هذا الصدد أن نشير الى الاطار النظرى لموقفنا من تحليل المضمون فى هذه الدراسة قبل أن نتعرض للخطوات التى انتهجت سواء فى جمع مادة الاتصال نفسها أو فى كيفية اجرائنا للتحليل ذاته .

تمهيـــد :

يرى برلسون أن هناك « موقفين » رئيسيين يمكن أن ينتهجهما الباحث الذى يستخدم منهج تحليل المضمون لمعالجة أى مادة اتصال سواء أكانت لفظية (منطوقة أو مكتوبة) أو غير لفظية . وهذان الموقفان يتحددان فيما يلى :

أ) أن يكون للباحث منظور نظرى يعتبره هو خط البداية قبل البدء فى عملية التحليل . وهذا المنظور يتحدد فى : **فيما يبحث** . وعن **أى شىء يبحث** . لأن هذا الاطار هو الذى سوف يحدد فيما بعد كنه الموضوعية التى ينشدها الباحث . ولكن هذا قد يسلم الى موقف متحيز من جانب الباحث .

ب) أن يكون الباحث خلوا من أى موقف نظرى قبل البدء فى عملية التحليل ، لأنه يترك للنص نفسه أو للاستجابات نفسها أن تحدد له كل مايتعلق بطريقة التحليل . على زعم بأن المضمون نفسه هو السيد فى عملية التحليل ، وهذه مقولة تسلم الى نوع من الامبريقية المتطرفة .

اذن هناك موقفان فى عملية تحليل المضمون :

١ ـــ موقف متحيز ينطلق من أن هناك اتجاها نظريا بحتا وهو الموقف السيد فى تحليل المضمون .
٢ ـــ موقف مغرق فى الامبريقية يرى أن المضمون الذى يحلله الباحث هو السيد فى عملية المضمون .

ولعل الأخذ بواحد فقط من الموقفين السابقين يوقع الباحث فى محاذير عدم الدقة وعدم الموضوعية، ومن ثم تتعذر عملية التكميم التى تعتبر أحد الأهداف الأساسية لمنهج تحليل المضمون غير أن الموقف الأفضل الذى ينبغى أن يتخذه الباحث وهو مااتخذ فى هذه الدراسة وهو يتحدد فى التالى :

أن هناك تفاعلا ديناميا بين الاطار النظرى كخط بداية للباحث وبين المضمون الفعلى وأبعاده .
واذن فان التحليل المضمون الأمثل هو الذى يجمع بين :

أ) الرؤية النظرية ولكنها ليست نهائية وهى لاتعمى الباحث عن المضمون الفعلى .
ب) المضمون ذاته الذى يمكن أن يعدل الرؤية النظرية .

ولعل اتخاذ الموقف الأفضل الذى يفترض « دينامية » بين الرؤية النظرية من جهة وبين معطيات المضمون من جهة أخرى هو الذى يجعل من الممكن تكرار عملية التحليل لكى تؤتى نفس النتائج اذا ماتمت تحت نفس أو ذات الشروط .

وطبقا لما تقدم فان كاتبة هذه السطور قد أقبلت على عملية تحليل المضمون وفى ذهنها التالى :

أ) الأهداف العامة والخاصة للدراسة طبقا لما ورد فى الفصل الأول عن منطلقات الدراسة وأهدافها .
ب) ان هذه الأهداف قابلة للتعديل وتتصف بشىء من المرونة اذا ما اقتضى المضمون نفسه هذا التعديل .

وبدون النقطتين السابقتين تصبح عملية تحليل المضمون اما اغراق فى الاتجاه النظرى البحت ويصبح التعسف هو طابع النتائج الذى يتم التوصل لها عن هذا الطريق أو اغراق الباحث أيضا فى الاعتقاد بأن المضمون هو السيد مما يجعل الدارس « يتوه » بين تضاعيف هذا المضمون لأنه غير مسلح باطار نظرى يحميه من هذا التيه .

خلاصـــة :

فيما تقدم استعرضنا أهم الملامح الأساسية لمنهج تحليل المضمون بصفة عامة ، ثم انتقلت بعد هذا الى تناول الاطار الأساسى الذى اتخذته منطلقا لها فى عملية تحليل مضمون اتجاهات عينة البحث (وهم الكتاب والمثقفون الثلاثون) الذى تم اختيارهم طبقا للاعتبارات التى وردت فى الجزء الخاص بعينة البحث وسماتها .

وسوف نستعرض فيما بعد ــ أى فى الصفحات المقبلة الأساليب المستخدمة فى جمع مادة الاتصال ــ موضوع التحليل ــ ثم ننتقل بعد ذلك للحديث عن الخطوات التى انتهجت فى تحليل مضمون مادة الاتصال هذه .

الأساليب المستخدمة فى جمع مادة الاتصال

بعد العرض الموجز السابق للاطار المنهجى الذى اتخذناه فى هذه الدراسة ينبغى تناول الأساليب التى استخدمت فى تجمع « مادة الاتصال » وهى اجابة مجموعة الكتاب والمثقفين لأفراد العينة على السؤال المفتوح الذى وجهناه لكل منهم وفيما يلى الخطوات التى تمت فى هذا الصدد :

١ ــ تم الاتصال بكل كاتب من أفراد العينة وأعطى فكرة جوهرية عن موضوع الدراسة وأهميتها كأول دراسة لمفهوم الالتزام على المستوى السيكولوجى .

٢ ــ التقت الكاتبة بكل كاتب من أفراد العينة على حدة وكان يتم توجيه السؤال المفتوح الى الكاتب بعد تدوين اسمه وسنه على الاستمارة المكتوب بها السؤال .

٣ ــ كان السؤال المفتوح الذى تم توجيهه للكاتب هو التالى : (كثر الكلام عن الالتزام . نرجو أن تكتب لنا من نصف صفحة الى صفحة حول هذا المفهوم وأبعاده) .

٤ ــ كان بعض أفراد العينة من الكتاب يفضلون الأجابة على السؤال كتابة بخطهم هم ، ومنهم من كان يفضل الاجابة الشفهية يمليها على الكاتبة لتكتبها هى (ولم يكن هذا يؤثر على شكل الاستجابة لدى الكاتب . فان هذا الاختلاف فى طريقة اجابة الكاتب على السؤال لم يكن له أية دلالة) ولعل ذلك يرجع الى اختلاف فى العادات الشخصية للكاتب أو لوجود مانع صحى لديه يمنعه من الكتابة بنفسه لضعف البصر مثلا نظرا لكبر السن ، أو لأنه يفضل الحديث الشفهى عن الكتابة فى وقت المقابلة ، وبخاصة الأدباء الذين تعودوا على الامساك بالقلم لحظة الابداع فقط ، وليس بناء على « استكتاب من دارسة فى علم النفس » .

٥ ــ التزم بعض أفراد العينة بالقدر الذى حدده السؤال للأجابة عليه وهو من نصف صفحة الى صفحة كاملة ، الا أن هؤلاء كانوا قلة ، بينما فضل معظم أفراد العينة الأجابة فى حيز وصل فى بعض الأحيان الى أربع صفحات . وقد رأينا فى هذا دليلا على ثراء المفهوم وعلى نجاح فى اجتذاب الكاتب لموضوع الدراسة .

٦ ــ كنا نقوم بتحليل مضمون الاجابات مهما كان طولها نظرا لأنها جميعا كانت فى « الموضوع » وليس خارجه ومن جهة أخرى فان ثراء الاجابة كان يعنى اثراء للبحث ذاته ، ومساهمة من الكاتب أو الأديب فى القاء بؤر ضوئية على مفهوم الالتزام كما يراه هو وكما عايشه فى حياته بغض النظر عن مضمون هذا الالتزام أو موضوعه .

وسوف نتناول فى الصفحات التالية الخطوات التى التزمنا بها فى تحليل مضمون الاجابات التى حصلنا عليها من أفراد العينة (٣٠ كاتبا ومثقفا) كما سبق الاشارة عند الحديث عن عينة الدراسة .

خطوات تحليل المضمون

بعد أن تم التدريب تدريبا كافيا على كيفية تطبيق منهج تحليل المضمون على الاجابات ، تم انتهاج الخطوات التالية :

١ ــ لما كانت وحدة التحليل هى « الفكرة » أو « المعنى » كما سبقت الاشارة الى ذلك عند الحديث عن الاطار المنهجى للدراسة ، فقد كانت تتم قراءة كل اجابة على حدة ويستخرج منها فى مسودة خارجية كل فكرة أو معنى جديد يتضمنها نص اجابة الكاتب . وقد كانت هذه الفكرة تتمثل اما فى كلمة أو اثنتين أو فى جملة أو فى فقرة بأكملها .

مثال : اجاب أحد أفراد العينة بأن الالتزام « وقتى ونسبى » وهنا نجد معنى معينا فى كلمتين فقط ، فى حين أن كاتبا آخر ذكر هذا المعنى فى فقرة بأكملها فأورد مثلا يدلل على أن الالتزام وقتى ونسبى فذكر أنه كان حتى عام ١٩٥٦ لايؤمن بالوحدة العربية وانما يلتزم فقط بمصريته ، ولكن بعد حرب عام ١٩٥٦ ذكر أنه آمن بضرورة الكفاح من أجل تحقيق الوحدة العربية . وكان بذلك يدلل على أن الالتزام ليس مفهوما يعنى الجمود على مفاهيم بعينها بدون أى تجدد . وفى المثال السابق يتبين كيف أن « المعنى » الذى هو وحدة التحليل قد يقع فى كلمة أو جملة أو فقرة كاملة .

٢ ــ بعد تدوين كل المعانى الجديدة التى يتضمنها نص كل اجابة على حدة قمنا بعملية تجميع clustering للاجابات ذات المعنى الواحد لكى ندرجها تحت فئة معينة .

مثال : الاجابات التى عارضت بين الالتزام والمصلحة أو المنفعة الذاتية تدرج جميعا تحت فئة « عدم الانطلاق من مصلحة شخصية » . أو مثلا الاجابات التى ذكرت أن الالتزام يقتضى « الصبر على المكاره وتحمل الأذى وأن الانسان الملتزم لا يأبه بما يلقاه من صعاب فى سبيل التزامه بمبادىء معينة». تندرج جميعا تحت فئة « الصبر على المكاره » . ويلاحظ التداخل بعض الشىء بين فئتى عدم الانطلاق من منفعة شخصية والصبر على المكاره الا أنه رئى أفراد فئة لكل معنى على حدة لأن المعنيين غير متطابقين تماما وسوف نشير فيما بعد الى التداخل بين بعض الفئات .

٣ ــ بعد أن تمت عملية التجميع السابق الاشارة اليها فى النقطة رقم (٢) تم تحويل هذه التجمعات الى فئات تم تعريفها تعريفا محددا سوف يشار اليه تفصيلا فيما بعد .

٤ ــ تم اعداد جداول لادراج الوحدات فى الفئات التى تندرج تحتها . ثم عدنا الى اجابات الكتاب أنفسهم مرة أخرى وفى كل مرة نجد وحدة من وحدات التحليل فى اجابة الكاتب تدرجها تحت الفئة الملائمة .

مثال : حينما استخرجت فئة « عدم الانطلاق من منفعة ذاتية » عدنا مرة أخرى الى النص الأصلى من اجابات الكتاب ــ بعد اعطائهم أرقاما معينة بشكل عشوائى لاعلاقة له بأسمائهم ــ وأدرجت تحت هذه الفئة كل كلمة أو جملة أو فقرة تندرج ــ كوحدة ــ تحت هذه الفئة . ثم حسب فى « خانة » خاصة بذلك عدد المرات التى كرر فيها الكاتب هذا المعنى ، وفى خانة أخرى دون عدد الكتاب الذين اتفقوا فى اجاباتهم على هذا المعنى .

وفيما يلى نموذج لهذا الجدول :

« نموذج للجدول الذى يبين كيف ادرجت الوحدات داخل الفئات »

الفئة	الوحـــــــــــــــدات	تكرارها بين الكتاب	تكرارها فى اجابة الكاتب نفسه
الصبر على المكاره وتحمل الصعاب	١٩) لقد سجنت وفصلت وحرمت من جميع الامتحانات واشتغلت فى ٦ مجلات واغلقت جميعا. حضرت مصارع الصحف وجنازات الحرية فهذا أدى الى ايمان بحرية الصحافة ومقاومة الدكتاتورية	١	// مرتين
	٦) الالتزام المقصود هو حالة انسان يلتزم فى قيمه وسلوكه بعدد وبنوع من المبادىء ، رغم أنها لاتحقق له (أولوية الأقربين) منفعة مادية مباشرة (بل وتحقق له ضررا) ورغم معارضة أقسام واسعة من الوسط الاجتماعى لهذه المبادىء . وفى موقع آخر : ولذا يواجه الانسان الملتزم ضغوطا وعوائق تتفاوت فى حد ذاتها ومداها حسب الحالة . وقد تصل ضراوة المعارضة لسلوكه الى حد الايذاء البدنى أو القتل . وعبر هذه المواجهة تتحدد درجة الالتزام وتتحدد كفاءته أيضا . فالأفراد الملتزمون تتفاوت درجة تمسكهم بمبادئهم ازاء استمرار المعارضة لسلوكهم أو تصاعدها .	٢	// مرتين
	١٣) الالتزام معركة	٣	/// ٣ مرات
	١٦) يبدو الالتزام للوهلة الأولى عبئا ثقيلا خاصة فى مجتمع لاتتأصل فيه جذور الديمقراطية ومن هنا فالالتزام عبء بكل تكاليفه ومشاكله	٤	/ مرة واحدة

يتبين من الجدول السابق ـــ كمثال على كيفية ادراج الوحدات (أى المعانى والأفكار) فى النصوص الأصلية تحت الفئات التى تم التوصل اليها بعد أن تمت عملية التجميع الأولية ـــ أنه كان يتم حساب عدد المرات التى كرر فيها الكاتب هذا المعنى أو ذاك وتدرج فى الخانة الخاصة بذلك (تكرارها فى اجابة الكاتب نفسه) وان كان تكرار المعنى ليس بالكلمات نفسها وانما بكلمات أو ألفاظ أخرى .

كما كان يتم حساب تكرارات الوحدة نفسها بين الكتاب . فمثلا تبين أن عدد الكتاب الذين ذكروا فى اجابتهم وحدات تندرج تحت فئة « الصبر على المكاره وتحمل الصعاب » ١٠ كتاب مثلا من أفراد العينة .

وسوف نتناول فى **الفصل** الخاص بالنتائج ومناقشتها هذه العملية بشكل أكثر تفصيلا .

٥ ـــ بعد الانتهاء من وضع جميع الوحدات (المعانى أو الأفكار) التى وردت فى الاجابات الأصلية قمنا بعملية تكميم لهذه الوحدات سوف يأتى تفصيل لها عند الحديث عن كيفية تكميم النتائج التى تم التوصل لها .

٦ ـــ كانت العمليات السابقة تقع فى « المستوى الكمى » من مستويات تحليل المضمون والذى تلخص فى تجميع الاستجابات المتقاربة وادراجها تحت فئة تضم هذه الاستجابات جميعا وقد تم اكتمال الفئات حينما توجد فئة لكل وحدة فى الاستجابات الأصلية مهما استجد من هذه الوحدات . (ولكن هناك مستوى ثانيا من مستويات تحليل المضمون قمنا به هو « المستوى الجشطلتى » أو المستوى الكيفى . وهذا المستوى يتناول الأفكار والمعانى التى وردت فى أجابة كل كاتب على حدة فى كل متكامل أى فى منظومة أو نسق System أى أن هذا النسق سوف يتناول أفكار الكاتب فى تكاملها وليس على طريقة (لاتقربوا الصلاة) أى أن طريقة المنظومة تتيح الوقوف على المعنى المتكامل لدى كل كاتب على حدة ازاء مفهوم الالتزام بحيث لايمكن اجتزاء هذا المعنى .

وقد تمت عملية صياغة النسق أو المنظومة على النحو التالى :

أ ـــ قراءة اجابة الكاتب ككل للخروج بالفكرة المحورية أو الأساسية فى اجابته . هذه الفكرة المحورية نصوغها فى كلمات من عندنا كعنوان للمنظومة . فمثلا اذا كانت الفكرة المحورية فى اجابة الكاتب هى نسبية الالتزام فإن المنظومة تحمل عنوان « الالتزام مسألة نسبية » .

ب ـــ بعد استخراج الفكرة المحورية وصياغتها فى عنوان يتم استخراج أهم المعانى الأساسية التى وردت فى نص اجابة الكاتب لكى تصوغها هى فى صياغة هذه المعانى وان كانت بألفاظ الكاتبة نفسها . وهذه الخطوة كانت تتيح الوقوف على المعانى الكلية التى اشتملت عليها اجابة الكاتب فى تجريدها الكلى دون الوقوف على التفاصيل والأمثلة التى يوردها الكاتب ، وهى تلك التفاصيل التى تناولها المستوى الكمى الجزئى فى عملية الفئات والوحدات .

جـ ــ تمت عملية على مستوى ثانٍ فى اطار مفهوم المنظومة أو النسق وهى درجة أكثر تجريدا من السابقة وهى تتلخص فى صياغة مجردة تماما للفكرة المحورية الأساسية التى تضمنتها اجابات الكتاب . وهذه اتاحت عملية رسم « الهيكل الخراسانى » الذى يتألف منه الالتزام فى مستوياته التجريدية الأعلى . بحيث يصبح هناك محور تتبلور فيه الانساق التى تعنى ان الالتزام هذا مصدره أوامر الله أى مصدره دينى بحت فى حين أن انساقا أخرى تعنى أن الالتزام هو دنيوى ينشأ من الخبرات المكتسبة فى الطفولة والصبا والمراهقة والنضج أى فى مراحل العمر المختلفة بما فيها من مراحل للنمو النفسى والاجتماعى .

وهذا المستوى الثانى من مستويات المنظومات أو الانساق اتاح سهولة اعادة البناء re-construction للأبعاد الأساسية والأبعاد الفرعية فى مفهوم الالتزام التى أسفرت عنها الدراسة .

وبهذا تكون الكاتبة قد قامت بتحليل لمضمون الاجابات بطريقة جدلية قوامها **التحليل الكمى الجزئى** ثم تركيب أجزاء هذا التحليل من أجل استخراج الأبعاد ، ثم اعادة تحليله الى منظومات أو انساق ثم اعادة **تركيب. بشكل جدلى تجريدى محض** .

د) كذلك أتاحت طريقة المنظومة أو النسق التوصل الى صورة شاملة Global picture يمكن أن نتوصل من خلالها الى نقاط الاتفاق الفعلى أو الحقيقى والى نقاط الاختلاف الفعلى أو الحقيقى أيضا بين الكتاب من مختلف الاتجاهات التى ينتمون اليها . أى أن طريقة النسق لاتجعلنا نقع فى استنتاج زائف بين اثنين من أفراد العينة يختلفان كلية بل قد يتناقضان أما التحليل المنظومى system analysis فهو الذى يتقيد بالمعنى العام الذى يحكمه **الخط الفكرى للكاتب ككل** ، وهذا النمط من التحليل المنظومى يتيح التوصل الى درجة من التصنيف أكثر تجريدا . فمثلا نستطيع القول بايجاز شديد أن الكتاب انقسموا ازاء مفهوم الالتزام الى قسمين :

١ ــ قسم يجعل الالتزام كقيمة مطلقة تستمد من الله وأوامره .

٢ ــ قسم يجعل الالتزام «وقتى ونسبى » يستمد من الخبرات. الشخصية المكتسبة .

تلك هى الخطوات الأساسية التى تمت فى عملية تحليل المضمون بمستوييها **الكمى الجزئى والكيفى الكلى** .

وسوف نورد بعد ذلك الفئات التى تم استخراجها من نصوص اجابات أفراد العينة مع تعريف لكل فئة ومثال عليها من الوحدات التى ادرجت تحتها . وسيكون ايراد الفئات طبقا لترتيبها الأصلى كما استخرجت من النصوص قبل أن تجرى عملية اعادة البناء طبقا للأبعاد التى تجمعها ، على أن يعاد ترتيب هذه الفئات عند الحديث عن كيفية استخراج الأبعاد .

قائمة الفئات :

١ ـــ الاتساق بين القول والفعل .
٢ ـــ حرية الاختيار .
٣ ـــ الصبر على المكاره وتحمل الصعاب .
٤ ـــ عدم الانطلاق من منفعة شخصية .
٥ ـــ دور القدرة كمصدر للالتزام .
٦ ـــ الطاعة والخضوع لله وحده .
٧ ـــ التجدد وعدم التجمد (وقتى ونسبى) .
٨ ـــ العمل لصالح الجماعة (الوطن ـــ الشعب ـــ الأمة) .
٩ ـــ الالتزام هو العمل وليس التفكير فقط .
١٠ـــ ماليس التزاما (الالزام ـــ التصلب ـــ التعصب ـــ التطرف) .
١١ـــ التنشئة الأولى ومرحلة الطفولة .
١٢ـــ الضبط الذاتى للسلوك .
١٣ـــ الحساب القاسى للنفس (الضمير ـــ الاحساس بالمسئولية) .
١٤ـــ الموهبة والالتزام بشىء واحد فى الأدب .
١٥ـــ التكامل فى السلوك .
١٦ـــ الصمود أمام المغريات .
١٧ـــ دور العقل فى تكوين الالتزام .
١٨ـــ ارتباط الالتزام بثقافة الانسان .
١٩ـــ الالتزام كتاريخ .
٢٠ـــ الالتزام هو قول الحقيقة والجهر بها .
٢١ـــ الالتزام والنظام السياسى (المذهب السياسى ـــ الحكومة ـــ السلطة) .
٢٢ـــ وضوح الهدف والرسالة فى الحياة .
٢٣ـــ الالتزام كقيمة مطلقة .
٢٤ـــ الالتزام هو عملية احلال بيولوجى يقوم بها الفرد .
٢٥ـــ الالتزام كجمال .
٢٦ـــ دور الدين فى تكوين الالتزام .

وفيما يلى سوف نتناول كل فئة من هذه الفئات بالتعريف حتى يتضح معناها وسنورد مثالا واحدا على كل فئة من نص اجابة الكتاب .

تعريف الفئات
وأمثلة على كل منها

١ ـــ فئة الاتساق بين القول والفعل :

ومعناها أن يكون قول الفرد مطابقا لسلوكه والعكس أى أن يسلك الفرد طبقا لما يقول . وفى هذه الفئة يتبدى قول الله عز وجل فى كتابه الكريم : « ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لاتفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالاتفعلون » . أى أن الله يحذر عباده المؤمنين أن يقعوا فى تلك الازدواجية أو الثنائية بين القول والفعل ، وانما يطالبهم الخالق بأن يأتى سلوكهم متسقا مع أقوالهم ومايزعمون انهم يؤمنون به من مبادىء أو قيم .

مثال من وحدات هذه الفئة :

يقول الكاتب رقم (٢١) « وأنا أفسر الالتزام على نطاق واسع جدا فمثلاً أحاول أن تكون كتابتى منطبقة مع ما أعتقده ، ولذا فأنا أعتبر نفسى أقرب انسان يوجد تطابقا بين مايعتقده ومايكتبه ومايسلكه . وأنا ألح على هذه النقطة بالنسبة للالتزام » .

---

٢ ـــ فئة حرية الاختيار :

وتعنى أن عنصر الحرية والاختيار لابد أن يكون متوفرا فى الالتزام وليس أن يكون هناك أى نوع من الضغوط على الفرد فى اتخاذه لأى من قراراته .

مثال :

يقول الكاتب رقم (٢١) « مفهوم الالتزام عندى هو أن أول صفة له أنه اختيار حر . يعقبه التزام » .

---

٣ ـــ فئة الصبر على المكاره وتحمل الصعاب :

وهى تعنى أن الفرد يتحمل كثيرا من المصاعب والمحن ويصبر عليها جميعا من أجل مايؤمن به من مبادىء وقيم .

مثال :

يقول الكاتب رقم (١٩) : « لقد سجنت وفصلت وحرمت من جميع الامتحانات واشتغلت فى ٦ مجلات وأغلقت كلها . حضرت مصارع الصحف وجنازات الحرية ، فهذا أدى الى ايمان بحرية الصحافة ومقاومة الدكتاتورية » .

---

٤ ــ فئة عدم الانطلاق من منفعة شخصية :

وهذه الفئة تعنى أن الفرد لاينبغى أن يتخذ من المنفعة الشخصية (له أو لذويه أو الأقربين) منطلقا له تفكيره أو سلوكه .

مثال :

يقول الكاتب رقم (٤) ما نصه « ولكن على الكاتب أن يكون واثقا من أنه يكتب مايقتنع به ، وليس نابعا من منفعة شخصية أو من انتماء اجتماعى معين ، والا أصبح منافقا للناس ولنفسه فى وقت معا » .

---

٥ ــ دور القدوة كمصدر للالتزام :

وهى تعنى أن الفرد قد يكون فى حياته قدوة معينة (كأبويه أو أساتذته أو شخصية عامة) فى تنشئته الأولى أو خلال مراحل حياته الأخرى تجعله يلتزم بمبادىء معينة .

مثال :

يقول الكاتب رقم (١٩) : « وعندما قامت ثورة ١٩ ، كان عمرى ٥ سنوات وكانت المعارك بين المصريين والانجليز تجرى أمام بيت الأمة ، ولذا فقد كنت أشهد المصريين وهم يقتلون وتحمل جثثهم الى داخل بيت الأمة فتنزل صفية زغلول وأمى ويغمضوا عيون القتلى ، وهذه المناظر المتكررة جعلتنى التزم بمحاربة الاستعمار منذ ذلك الوقت » .

---

٦ ــ فئة الطاعة والخنوع لله وحده :

وهذه الفئة تعنى أن الانسان الملتزم هو الذى يطيع أوامر الله ويخضع لاحكامه وينتهى عما نهى عنه .

مثال :

يقول الكاتب رقم (٢٢) : « وعند المسلمين فالالتزام مرادف لكلمة الخنوع حتى أصبح التعبير الشائع بين المسلمين هو الخنوع للذات الالهية أكثر من كلمة الالتزام . لأن المسلمين رأوا أن عزهم ومجدهم وثورتهم انما فى هذا الخنوع الكامل لأن الذى يخضع للقوى القادر انما يتحرر من كل آثار الذل لغير الله » .

---

٧ ــ فئة التجدد وعدم التجمد (وقتى ونسبى) :

وهى تعنى أن الالتزام ليس مرادفا قط للجمود الفكرى وانما هو مفهوم يعنى التجدد بل وانه وقتى ونسبى .

مثال :

يقول الكاتب رقم (٣) : « ومن ثم كان الالتزام عندى لايرتبط بفكرة بقدر ما اعتبر أن هذه الفكرة تقريبية ونسبية ومؤقتة فقد تظنها دائمة ، وهى بطبيعتها خاضعة للتطور والتفاعل مع الواقع » .

---

٨ ــ فئة العمل لصالح الجماعة (الوطن ــ الشعب ــ الأمة) :

وتعريفها أن الالتزام لابد أن يرتبط بالعمل من أجل المجموع وقد يكون هذا متمثلا فى الأسرة أو فى جماعة بعينها أو بالشعب ككل أو بالانسانية أجمع .

مثال :

يقول الكاتب رقم (٢) : « الالتزام كما افهم وكما أطبقه فى كل ما أكتب هو التزام نحو الشعب أولا ، وهو امتثال لايعنى الامتثال لرغبات الشعب عامة ، فقد يكون فى هذه الرغبات مايتطلب التقويم والارشاد والاقناع » .

---

٩ ــ فئة الالتزام هو العمل وليس التفكير فقط :

وهى تعنى أن الالتزام لايجب أن يكون بالفكر وحده أى ألا يقتصر على مجرد الاقتناع الفكرى بمبادىء معينة وانما يقتضى العمل من أجل نشر هذه المبادىء والأفكار .

مثال :

يقول الكاتب رقم (٢٢) مانصه « وما ذلك من عندى ولكنها تعاليم الدين الذى آمنت به واسترحت اليه ، واطمأنت نفسى الى أصوله وفروعه لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضح لنا هذا بقوله « الايمان هو ماوقر فى القلب وصدقه العمل الصالح » .

---

١٠ ــ فئة ماليس التزاما :

*وهذه الفئة تعنى ابعاد مفاهيم معينة قد تتداخل فى الذهن مع مفهوم الالتزام مثل مفاهيم الالزام والتعصب والتصلب والتطرف وقد تمت معالجة هذا المعنى فى الجزء الخاص بمعنى السواء فى الالتزام .

مثال :

يقول الكاتب رقم (٣) : فالالتزام هو حركة تقوم على الحوار مع الواقع والتأثر به دون تعصب أو عنجهية فكرية ، ومن هنا كانت خصومتى للنازية ، وهى ميراث ورثته من عيشتى فى أوروبا أكثر من تجرتبى فى مصر وكانت خصومتى للصهيونية وهى خصومة التزم بها ولاأحيد عنها . وكذلك كانت خصومتى للتخلف والاستعمار والقهر والاستبداد والاقطاع والبيروقراطية .

---

١١ ــ فئة التنشئة الأولى ومرحلة الطفولة :

وهى تعنى أن فترة التنشئة الأولى تلعب دورا فى تكوين التزام الفرد بمبادىء معينة .

مثال :

يقول الكاتب رقم (١٩) : « الالتزام نوع من الايمان ولكن ايمانى لم ينبعث برسالة أو برأى أو بثقافة ، وانما ينبعث من أشياء غرست فى منذ الطفولة ، فأنا كان من حسن حظى أن أولد فى بيت سعد زغلول » .

---

١٢ ــ الضبط الذاتى للسلوك :

وهى تعنى أن الالتزام وليد مايسمى بالضبط الذاتى داخل الانسان وليس من خارجه. وقد عولجت هذه النقطة باستفاضة بالجزء الخاص بالبعد النفسى للالتزام ونظرية السيبرنطيقا .

مثال :

يقول الكاتب رقم (١٥) : « أتصور ان الالتزام ينطوى على نوع من الضبط الذاتى للسلوك ، وهو يعنى الاتساق بين مجموع القيم والمعتقدات التى يؤمن بها الفرديون مجمل تصرفاته وسلوكياته » .

---

١٣ ـــ الحساب القاسى للنفس (الضمير ـــ الاحساس بالمسئولية) :

وهى تعنى أن الانسان الملتزم يكون دائم الحساب لنفسه على سلوكياتها ، ويعنى أن الفرد يحس دائما بالمسئولية أمام نفسه أولا وليس أمام أحد أو سلطة من خارجه .

مثال :

يقول الكاتب رقم (١٢) : « ولست أنأى بنفسى عن هذه المعركة ، فأحيانا اتعرض لتأنيب ضمير مرير المذاق لأننى تجاوزت هذا الالتزام أو ذاك » .

---

١٤ ـــ الموهبة والالتزام شىء واحد فى الأدب :

وهى تعنى أن هناك وحدة بين الموهبة الأدبية أو الموهبة بالكتابة وبين الالتزام بمبادىء وأفكار معينة .

مثال :

يقول الكاتب رقم (١٣) مانصه « الالتزام بالنسبة للأديب أو الفنان يعادل فى ضرورته وأهميته مايتمتع به الأديب من موهبة ، اذ يستحيل الاحتفاظ بالموهبة الابداعية داخل كيان يعانى صاحبه من عجز فى تنمية هذه الموهبة والحفاظ على التزامه بها ، واعنى بذلك الاحساس بما يقتضيه منه وجود هذه الموهبة لديه من مسئولية فى مواجهة ماتمده موهبته هذه من طاقات وقدرات . فاذا هو عجز عن رعاية وحماية موهبته بالالتزام سهل عليه الانحراف . وبالتالى فانه يبدد مواهبه بخدمة مايناقض التزامه بها . والالتزام القوى لاتحفظه الا موهبة قوية ، يشهد بذلك تاريخ الحياة الأدبية والفنية الكبرى على مر العصور فى كافة الأوطان . اذ يثبت أن أصحاب المواهب الكبرى هم بالضرورة أكثر التزاما فى كل انتاجهم ومنجزاتهم » .

---

١٥ ـــ فئة التكامل فى السلوك :

وهى تعنى أن يكون سلوك الانسان بكل مفرداته متسقا بعضه مع البعض الآخر وغير متناقض

فلا يمارس الديمقراطية مثلا وفى الوقت نفسه يهدر حقوق الآخرين المادية .

مثال :

يقول الكاتب رقم (٢) : « ما أراه هو أن الاسلام سواء منه الجانب الدينى أو الحضارى أو السياسى هو السبيل الطبيعى والأمثل والأكثر أمانا لنهضة الأمة . هذه القضية المحورية تلعب دورا رئيسيا فيما التزم به ، فأنا ـــ سواء بوعى أو بدون وعى ـــ أسعى بكل ألوان المعارف التى تخدم عطائى الفكرى الذى يغذى وينير ويحدد هذه القضية المحورية ، فاذا شئت أن أكون مكتبتى فهذا الالتزام يحدد اختياراتى ، واذا شئت أن أقيم علاقات فهذا الالتزام يحدد اطر هذه العلاقات ، واذا شئت أن أحدد برنامجا لأولويات الانتاج الفكرى فالقضايا الجزئية الملحة والمرتبطة بالهدف وبالرسالة تتحدد بهذا الالتزام ـــ أيضا ـــ اتساقا مع هذه الرسالة . فلابد أن تكون أخلاقيات الاسلام ورسله طابعة لسلوكياتى ولنمط الحياة الذى أحياه » .

---

١٦ ـــ فئة الصمود أمام المغريات :

وهى تعنى أن الانسان الملتزم ليس فقط يصبر على الصعاب ويتحمل الضرر وانما هو أيضا يصمد ولايلين أمام أى من المغريات التى يتعرض لها فى مراحل حياته ، والتى قد يتعارض الامتثال لها مع ما يلتزم به .

مثال :

يقول الكاتب رقم (١) : فقد تعرضت شخصيا فى مجال عملى ككاتب لاغراءات كثيرة ، ومليون عرض بمليون شكل ، ولم يكن ذلك له أية قيمة لأننى لاأحتمل الحياة الا بهذا الالتزام » .

---

١٧ ـــ فئة دور العقل فى تكوين الالتزام :

ومعناها ان للعقل دورا أساسيا فى تكوين التزام الفرد ، وأن الفرد حينما يلتزم بمبادىء وقيم معينة انما يكون ذلك على أسس عقلانية .

مثال :

يقول الكاتب رقم (١١) مانصه : « ومن هذه المقومات أصلُ الى النتيجة التى تعبر عما أراه من ناحية الالتزام ومعناه وهى أن الالتزام هو التزام أمام العقل . على افتراض أن الفكرة الملتزم بها هى قد رضى عنها العقل لصدقها » .

١٨ ـــ ارتباط الالتزام بثقافة الانسان :

وهذه الفئة تعنى أن الالتزام ليس مفهوما واحدا فى كل الحضارات والثقافات وانما هو يتأثر من ـــ حيث مضمونه ـــ بالثقافة والحضارة التى يعيش الانسان فى نطاقها .

مثال :

يقول الكاتب رقم (٥) : « واذا كان هناك شىء أريد أن أضيفه فهو أن الالتزام يرتبط بثقافة الانسان والعناصر التى تتكون منها هذه الثقافة ، وأحيانا يحدث تناقض أو صراع بين هذه العناصر فى ثقافة الانسان . وهذا ما أشعر به أنا شخصيا . فهناك الثقافة التى اكتسبتها من دراستى فى العلوم الانسانية التى أخرجتها وصدرتها الينا الثقافة الغربية وهناك ثقافتنا العربية الاسلامية » .

١٩ ـــ فئة الالتزام كتاريخ :

وهى تعنى أن مفهوم الالتزام له تاريخ معين فى فكر الانسان وفى الحضارات المختلفة .

مثال :

يقول الكاتب رقم (٣) : « ظهرت قضية الالتزام كقضية فكرية بعد الحرب العالمية الثانية . وتفشت فى أفكار جان بول سارتر قياسا على نظريته فى الحرية وتعريفه للانسان ، واعتباره الحرية التزاما لكل انسان . وتداخلت مع النظرية الماركسية التى تطالب فى التطبيق الفكرى والأدبى والفنى بالالتزام بقضايا الجماهير . وبلغت هذه القضية فى صورتها الجامدة فى الزدانوفية الستالينية ـــ نسبة الى زدانوف ـــ ونظرية الواقعية الاشتراكية وقد تحطمت هذه النظرية الجامدة على يد جارودى فى كتابه « واقعية بغير ضفاف » التى أعاد فيها اعتبار كافكاوبيكاسو . ويمكن القول أن هذه التيارات قد انعكست بصورة مشوهة على الحياة الفكرية فى مصر وانتهت المنازعات صلحا بالاتفاق على الالتزام بغير الزام . وكان طه حسين قد حاول التصالح بينما انصار الفن للفن ساخطون ، وأنصار الحياة للحياة مهللون . وقد انتهت هذه الهجمة ببدايتها » .

---

٢٠ ـــ فئة الالتزام هو قول الحقيقة والجهر بها :

... وهى تعنى أن الالتزام يقتضى أن يجهر الانسان بما يعلمه من حقائق وليس فقط أن يعلم الحقيقة ويكتمها .

مثال :

يقول الكاتب رقم (١٢) : « الالتزام هو أن نعود الى قولة « شبلى شميل » التى أطلقها فى نهاية القرن التاسع عشر « الحقيقة أن تقال لا أن تعلم فقط » .

٢١ ــ الالتزام والنظام السياسى (المذهب السياسى ــ الحكومة ــ السلطة)

وهنا أن الالتزام لابد أن يكون له صلة بالنظام السياسى أو السلطة الحاكمة فالانسان « حيوان سياسى » كما قال أرسطو . ولذلك فقد يتعرض فى التزامه للعديد من المصادمات مع السلطة أو الحكومة .

مثال :

يقول الكاتب رقم (١٩) : « وأنا وجدت نفسى وأنا تلميذ اشترك فى المظاهرات من أجل الاستقلال والديمقراطية والحرية والدستور . وجدت نفسى ضد رغبة أهلى أشتغل بالسياسة وأفصل ٣ مرات من المدارس . ضد رغبة أهلى » .

---

٢٣ ــ فئة الالتزام كقيمة مطلقة :

وهى تعنى أن الالتزام قيمة مطلقة بغض النظر عن مضمونه أو موضوعه .

مثال :

يقول الكاتب رقم (٨) : ومن هنا يمكن القول ان الالتزام بهذا المفهوم كان ظاهرة عالمية ووطنية فى تلك المرحلة . ولانه كان ذا طبيعة فكرية حادة فانه كان بسيطا فى تركيبه الفلسفى والتاريخى والاجتماعى ، وهو أقرب مايكون الى « القيمة المطلقة ــ سواء أكان من جانب مؤيديه أو معارضيه . فى تعامله مع الآخرين أو فى تعامل الآخرين معه بالتعصب أو التطرف أو الجمود الأمر الذى صادر امكانيات الجدل النقدى المتبادل أو سمم أجواء الحوار » .

---

٢٤ ــ فئة الالتزام هو عملية احلال بيولوجى :

وهذه الفئة معناها أن الفرد الملتزم يقوم بعملية استبدال حبه لأمه وأبيه بحب مبادىء معينة كحب الوطن أو الاشتراكية مثلا .

مثال :

يقول الكاتب رقم (١) مانصه « فقد لاحظت بينى وبين نفسى مثلا حينما اكتب عن مصر فاننى اشعر بارتباط عنيف . وهذا هو أقوى أنواع الالتزام أى عملية الابدال أو الاحلال من الأم والأب الى الوطن . وهو الاحلال البيولوجى كما أسميه . لأنه غير قابل ــ بحكم بيولوجيته ــ للضياع » .

٢٥ ــ فئة الالتزام كجمال :

وهى تعنى أن الالتزام يتضمن معنى الجمال وأن الملتزم يشعر بمتعة جمالية عند ممارسته لالتزامه تماما كما يشعر المبدع أو المتذوق إزاء عمل فنى أمامه .

مثال :

يقول الكاتب رقم (٣) مانصه « وكل هذه قيم فكرية وجمالية أيضا ، لأننى لم أفصل بين موقفى الفكرى وعاطفتى الفنية . وذلك لأننى أنظر الى العدل على أنه جمال واتساق ، ولاتختلف عندى روعة قطعة فنية عن وقع العدالة ، سواء كانت عدالة شخصية أو عدالة عامة كتحرر وطن أو شعب مستعبد . ومن هنا فان الالتزام عندى ــ حتى وهو نسبى ووقتى ــ لاينسجم الا بانسجام القلب والعقل معا . ومتعة القراءة واكتشاف المجهول لاتختلف عن متعة العمل من أجل رفع احدى المظالم أو اقرار حق أو اقامة عدل .

---

٢٦ ــ فئة وضوح الهدف والرسالة فى الحياة :

وتعنى أن يكون للانسان هدف واضح فى حياته ويكون واعيا بهذا الهدف .

مثال :

يقول الكاتب رقم (٢) : اعتقد أن مفهوم الالتزام يتطلب أن يكون للانسان غاية وهدف من حياته . وبناء على الرسالة والهدف تكون ابعاد الالتزام . فالالتزام كقضية محورية يعنى وضوح الهدف والرسالة ثم تأتى الجزئيات والتفاصيل .

تداخل بعض فئات التحليل

يتضح من العرض السابق لفئات التحليل وأمثلة الوحدات من أقوال الكتاب أن الفئات ليست متميزة تماما . بمعنى أن الفئة ليست اما ... أو وانما يوجد بين بعض الفئات تداخل مع بعضها الآخر . وقد حاولنا ماوسعنا الجهد أن نجعل فئات التحليل نقية بقدر ماهو ممكن .

ويمكن القول أن تداخل الفئات يرجع الى عنصرين :

١ — العنصر الأول : التداخل الموجود فى كثير من مفاهيم علم النفس . فمثلا فى الاتجاهات الوالدية : هل التسلط ليس فيه الحماية الزائدة ؟ وهل هذه الحماية الزائدة لاتتداخل مع مفهوم التدليل ؟ وذلك على الرغم من انهما ليسا متطابقين ولاهما متميزين تماما .

٢ — العنصر الثانى : وهو يرجع الى طبيعة مفهوم الالتزام نفسه من حيث الظلال التى تدخل فى معانيه وأبعاده .

مثال :

حينما ننظر الى فئتى « الصبر على المكاره وتحمل الصعاب» والصمود أمام المغريات « نجد أن هناك تداخلا ملحوظا بينهما ، لأن فى الصبر على المكاره وتحمل الصعاب معنى من معانى الصمود أمام المغريات وأن كانت الفئتان غير متطابقتين . ولمزيد من ايضاح هذه النقطة فانه يمكن أن يستطيع الفرد الصمود أمام المغريات التى تواجهه فى حياته ولايسقط فى مزالق معينة ، فى حين أنه لايستطيع أن يتحمل كثيرا من الصعاب التى قد تواجهه فى حياته . وكذلك العكس يمكن أن يحدث ، فأحيانا يتحمل الفرد الكثير من الصعاب ويصبر على العديد من المكاره ، ولكنه اذا ماتعرض لاغراء معين فانه يصعب عليه الصمود أمام هذا الاغراء أو ذاك ، ويفعل مايتعارض مع بعض المبادىء التى كان قد التزم بها فى فترات سابقة من حياته .

وفيما يلى قائمة للفئات التى تتداخل مع فئات أخرى وهى مرتبة بحيث تأتى كل فئة تليها الفئة التى تتداخل معها مباشرة :

١ — الصبر على المكاره واحتمال الصعاب .

تداخـــل

٢ — الصمود أمام المغريات .

١ — الاتساق بين القول والفعل .

تداخـــل

٤ — الالتزام هو العمل وليس التفكير فقط .

وسوف نتناول بعد هذا تداخل بعض الفئات أو نقائها مع ايراد أمثلة على كل منها ثم قائمة للفئات النقية تماما .

فئات التحليل النقية

اذا كان هناك تداخل بين بعض الفئات كما أوضحنا فيما سبق فانه توجد فئات نقية وهى كالتالى :

١ ـــ حرية الاختيار .
٢ ـــ عدم الانطلاق من منفعة شخصية .
٣ ـــ التجدد وعدم التجمد .
٤ ـــ العمل لصالح الجماعة (الوطن ـــ الشعب ـــ الأمة) .
٥ ـــ ماليس التزاما (الالتزام ـــ التصلب ـــ التعصب ـــ التطرف)
٦ ـــ الموهبة والالتزام شيء واحد فى الأدب .
٧ ـــ التكامل فى السلوك .
٨ ـــ وضوح الهدف والرسالة فى حياة الانسان .
٩ ـــ دور العقل والوجدان فى تكوين الالتزام .
١٠ـــ ارتباط الالتزام بثقافة الانسان .
١١ـــ الالتزام كتاريخ .
١٢ـــ الالتزام هو قول الحقيقة والجهر بها .
١٣ـــ الالتزام والنظام السياسى (المذهب السياسى ـــ الحكومة ـــ السلطة) .
١٤ـــ دور القدوة كمصدر للالتزام .
١٥ـــ التنشئة الأولى والطفولة .
١٦ـــ الضبط الذاتى للسلوك .
١٧ـــ الحساب القاسى للنفس (الضمير ـــ الاحساس بالمسئولية)
١٨ـــ الطاعة والخنوع لله وحده .
١٩ـــ الالتزام كقيمة مطلقة .
٢٠ـــ الالتزام عملية احلال بيولوجى .
٢١ـــ الالتزام كجمال .
٢٢ـــ دور الدين فى تكوين الالتزام .

ونتصور هنا أننا بغير حاجة الى ايراد أمثلة سوى الفئات نفسها للتدليل على نقاء الفئة ، لأنها بذاتها وبحكم تعريفها السابق فى قائمة الفئات يتضح معنى النقاء فيها .

خلاصـــة :

تلك كانت خطوات التحليل الكمى ، تعرضنا لها خطوة بخطوة بدءا من كيفية استخراج الوحدات من النصوص الأصلية لاجابات الكتاب ، ثم تجميع هذه الوحدات وادراجها فى فئات ، ثم ادراج هذه الوحدات مرة اخرى تحت هذه الفئات .

وبعد ذلك تم ايراد قائمة بفئات التحليل ثم تعريفا لكل فئة على حدة مع مثال لكل وحدة ادرجت تحت الفئة من نص الاجابات الأصلية للكتاب . وعقب ذلك عولجت مسألة تداخل الفئات ونقائها ونسبة الفئات المتداخلة ، والفئات النقية الى العدد الكلى للفئات (٢٦ فئة) .

والآن نجد أنه من الملائم أن نتناول بالتفصيل الجزء الثانى من تحليل المضمون ، والذى كنا قد أشرنا اليه بايجاز من قبل . وهو التحليل الكيفى أو التحليل فى منظومات أو أنساق .

التحليل الكيفى .

تتلخص عملية التحليل الكيفى أو النسقى أو المنظومى فيما يلى :

١ ــ قراءة نص اجابة الكاتب ــ كل على حدة ــ بهدف استخراج الفكرة المحورية أو الأساسية التى تتبلور فى اجابته . هذه الفكرة كانت تصاغ فى كلمات من عندنا وتكون بمثابة عنوان للمنظومة فمثلا اذا كانت الفكرة المحورية التى تدور حولها اجابة الكاتب هى أن الالتزام هذا نسبى فان المنظومة تحمل عنوان « الالتزام مسألة نسبية » .

٢ ــ كانت يتم بعد ذلك استقاء أهم المعانى الأساسية التى وردت فى نص اجابة الكاتب ، ثم تصاغ هذه المعانى الأساسية بشكل يبرز هذه المعانى . وكانت هذه الخطوة تتيح التوصل الى المعانى الكلية التى اشتملت عليها اجابة الكاتب دون الوقوف عند التفاصيل والأمثلة التى يوردها الكاتب . حيث أن هذه التفاصيل والأمثلة ادرجت فى وحدات تحت فئات التحليل فى المستوى الكمى من التحليل السابق الاشارة اليه تفصيلا فى الجزء الخاص بذلك .

٣ ــ قمنا بعملية ثالثة فى اطار مفهوم المنظومة أو النسق وهى تتلخص فى صياغة مجردة تماما للفكرة المحورية الأساسية التى تضمنتها اجابة الكاتب . وهذه اتاحت التوصل الى محور تتبلور فيه الانساق التى تعنى أن الالتزام هذا مصدره أوامر الله أى أن مصدره دينى بحت ، فى حين أن منظومات أخرى تشير الى أن الالتزام هو دنيوى ينشأ من الخبرات المكتسبة فى الطفولة والصبا والمراهقة والنضج أى فى مراحل العمر المختلفة بما فيها مراحل للنمو النفسى والاجتماعى .

تلك هى الخطوات الثلاث التى تم اتخاذها فى عملية التحليل الكيفى فى منظومات وسوف نورد فيما يلى مثالا لهذا التحليل يعقبه استعراض للمنظومات الثلاثين التى تم التوصل اليها بدون ترتيب مقصود لكى يظهر بعد ذلك كيف تمت عملية اعادة التركيب أو اعادة البناء لهذه المنظومات .

مثال للتحليل الكيفى المنظومى

نص اجابة الكاتب رقم (١٥) :

« أتصور أن الالتزام ينطوى على نوع من الضبط الذاتى . أى الاتساق بين مجموع القيم والمعتقدات التى يؤمن بها الفرد وبين مجمل تصرفاته وسلوكياته ، بمعنى أن الانسان يجرى تصرفاته وفق ضوابط يحددها له ما استقر فى نفسه من معتقدات وقيم . فالالتزام صلة بين الفكر والسلوك أو مايسمى بين القول والعمل .

وأتصور أن المصدر الأساسى للضوابط النفسية هذه يرد من خارج الذات ، أى من التلقين . مجموعة القيم والأصول السلوكية التى لقنت للفرد منذ الصغر. وللتلقين فى الصغر مصدران فيما يبدو لى : ماأدركه الصغير فى بدايات وعيه وتفتحه من سلوك المعايشين له الكبار ، ومدى مراعاة هؤلاء للتلاؤم بين القول والفعل ، وأسلوبهم فى التعبير عن أنفسهم من خلال التصرفات العملية .

والمصدر الثانى ، هو ماتلقاه الصغير من أقوال ومأثورات وحكايات . وكذلك ماعومل به الصغير من ثواب وعقاب على تصرفاته المتباينة . ولا أقصد الثواب والعقاب الماديين وحدهما . فقد يفضى كلاهما الى عكس النتيجة المبتغاه ، اذا وقعا لدى الصغير موقع التعارض مع مايتلقاه من قناعات . ولكن أقصد ما يصادف تصرفات الصغير من تعبيرات الرضا والغضب من المحيطين به . وهذه تبدو فى تصورى أكثر تلقائية بالنسبة للمحيطين بالصغير وأفعل فى نفسه من غيرها .

وأتصور أن الدين يلعب دورا من أخطر الأدوار فى تشكيل البنية الذاتية للانسان ، وما يصدر عنه من ضوابط للسلوك بعد ذلك ، وهو مصدر هام من مصادر الالتزام ، لأنه يهتم جدا ببناء هذا الجزء من الذات الذى تتحقق به الصلة بين المعتقد والسلوك ، أنه يوجه اهتمامه الى السلوك الفردى جنبا الى جنب مع اهتمامه بترسيخ المعتقد . وهو يوجب قيام الرابطة بين العقيدة من حيث كونها تشير الى وجود غيبى موضوعى ، وبين السلوك من حيث هو أسلوب الاستجابة لأوضاع البيئة الاجتماعية .

وهمزة الوصل بين هذين الأمرين هو الضمير ـــ فالضمير معيار أو مقياس داخلى ، جهاز للرقابة الذاتية الداخلية هو احتكام ينبعث من الداخل . وهو يستمد وظيفته المتحكمة من الاقتناع الدينى بصلة النفس الانسانية بالوجود الغيبى الموضوعى . ومن فكرة رعاية الله للنفس وملاحظته لها ومن ثم يصبح « الداخل » مفتوحا ومتصلا بالوجود الغيبى . وتصير النفس مع كونها مكنونة مستورة ، تصير مأهولة أنيسة . أى ليست صماء ولامنغلقة ولاموحشة . فأنت وحدك ولكنك لست وحيدا . وتتصل قيمك وسلوكك فى مجال بصير . ولايقوم فى النفس مجال خفى يمكن أن تنفصل فيه العلاقة بين المعتقد وبين السلوك ودوافعه . والسلوك هو المعبر بين المعتقد والقيم الداخلية وبين البيئة الاجتماعية الخارجية .. وربط القيم الداخلية بالسلوك هو مايمكن من الافصاح عنها وتحققها فى البيئة الاجتماعية . وهو الذى يولد

القدرة على مقاومة الضغوط القائمة فى البيئة الاجتماعية والمعارضة لهذا المعتقد والضاغطة عليه . وان احكام هذه العلاقة الداخلية بين المعتقد والسلوك هو ما به يتحول المعتقد الى وجود خارجى اجتماعى .

وأتصور أن الالتزام من حيث هو توافق بين المعتقد والسلوك ، يقوم فى علاقته بالخارج ، أى بالبيئة الاجتماعية المحيطة ، يقوم على عملية لاأسميها « صراعا » وان كان فيها من معناه ، ولكن اسميها دفعا أو مدافعة .

وهنا يظهر الاحتمال المستمر ، والامتحان اليومى الذى لاينتهى أبدا . الالتزام مدافعة مستمرة ، يحتاج الى كل ماتتطلب المدافعة من مقاومة واقتحام وكر وفر ، ومن محاورة والتفاف . يحتاج دائما الى حركة ونشاط وبصر وفطنة ومراجعة وصدق وقلق ومجادلة . وفيه دائما . دائما من حركات التحدى والتحقق ومن التشبث والتغيير .

وصورة الالتزام فى ذهنى لاتشبه آلة صماء تقتلع أو تتحطم وتقتحم أو تتراجع بذات الرتابة . ولكنها تشبه الموج يتتابع، بعضه يقوى وبعضه يضعف ، بعضه ينكسر وبعضه يغمر ويفتت ، بعضه يضرب وبعضه يترقرق . وذلك كله حسب قوة العقيدة التى يصدر عنها وحسب قوة المقاومة التى يواجهها ، وحسب التنوع الهائل فيما يواجهه الانسان من أمور وظروف .

كتبت ماكتبت هنا محاولا أن أصور عن مطالعة ذاتية لما أتصوره أنا فى معنى الالتزام ، أى لما يوحيه لفظ الالتزام عندى من تصورات ذاتية . (انتهى كلام الكاتب) .

وتجدر الاشارة الى أنه تم اختيار نص اجابة هذا الكتاب نظرا لأن حجمها ملائم تماما . فهى ليست بالقصيرة (نصف صفحة) ولاهى متعددة الصفحات ، كما أنها زاخرة بالمعانى التى تشير اليها معظم الفئات التى تم التوصل اليها من عملية التحليل الكمى .

وقد طبقت الخطوات السابق الاشارة اليها فى عملية التحليل الكيفى على هذه الاجابة وكما جاءت بالترتيب السابق على نص اجابة الكاتب كالتالى :

١ ــ تمت قراءة النص برمته ، واستخرجت الفكرة المحورية فيه وصيغت الصياغة الملائمة فكانت : « الالتزام هو الضبط الذاتى للسلوك » .

٢ ــ تمت قراءة ثانية للنص لاستخراج أهم المعانى الأساسية التى وردت فى نص اجابة الكاتب ، وتمت صياغة هذه المعانى الأساسية بشكل يبرزها بألفاظ الكاتبة نفسها فأسفرت هذه الخطوة عن استخراج المعانى الأساسية فى اجابة الكاتب المشار اليه كالتالى :

« الالتزام هو الضبط الذاتى للسلوك »

الالتزام هو الاتساق بين مجموع القيم والمعتقدات وبين مجمل تصرفات الفرد وسلوكياته أو ماسمى

بمطابقة القول والعمل .

والمصدر الأساسى للضوابط النفسية يأتى من التلقين: وله مصدران : ماأدركه الصغير من سلوك المعايشين له من الكبار ، ومدى مراعاة هؤلاء للتلاؤم بين القول والفعل.والمصدر الثانى ماتلقاه الصغير من مأثورات وحكايات وما عومل به من ثواب وعقاب .

والدين من مصادر الالتزام لأنه هو الذى ينشىء الضمير وهو الجهاز الرقابى الداخلى الذى يستمد وظيفته من الاقتناع الدينى ، أى بصلة النفس الانسانية بالموجود الغيبى الموضوعى ورعاية الله للنفس وملاحظته لها .

٣ ــ بعد هذه الخطوة الثانية قمنا بصياغة مجردة تماما للفكرة المحورية الأساسية التى تضمنتها اجابة الكاتب فأصبحت الصياغة كما يلى :

« الالتزام نفسى ــ اجتماعى ــ دينى »

أى

« دنيوى ــ دينى »

وقد أسفرت هذه العملية ذات الخطوات الثلاث عن منظومات أو انساق ثلاثين تمثل كل منها وحدة كلية قائمة بذاتها تبرز « البنية الكلية » لاجابة كل كاتب على حدة لتيسير عملية التصنيف بعد هذا التى سوف تساعد على التوصل الى « الهيكل العظمى أو الخراسانى » للالتزام اذا صح هذا التعبير الذى يتألف منه مفهوم الالتزام .

ونعتقد أنه من الملائم ايراد الانساق أو المنظومات التى تم استقاؤها من اجابات أفراد العينة ، تماما تم ايراد الفئات وأمثلة عليها عند تناول مراحل التحليل الكمى أو الجزئى . وسوف تعطى أرقام لكل منظومة وهى نفسها الأرقام التى اعطيت لكل كاتب على حدة فى عملية التحليل الكمى . وسوف ترد المنظومة طبقا للخطوات التى تمت للتوصل لها . فمثلا سوف نبدأ بايراد الفكرة المحورية الأساسية ثم تليها الأفكار والمعانى الأساسية ، وبعد ذلك المعنى المجرد تماما وهو الذى سوف يعيننا على اعادة التركيب أو البناء لهذه المعانى من أجل تفسيرها . وسوف ترد المنظومات بالشكل الذى ذكرناه ولكن بدون أى ترتيب مقصود ، حتى تتضح بعد ذلك عمليات التصنيف فى الفصل الخاص بالنتائج ومناقشتها وهو الفصل الرابع والأخير من الدراسة .

الانساق أو المنظومات

المنظومة رقم ١١
الالتزام هو التزام أمام العقل

ان الفكرة الملتزم بها هى التى قد رضى عنها العقل لصدقها ، فاذا تكشف للعقل فى الفكرة جانب مخطىء واستوجب تعديلها ، قام العقل بذلك ، فالعقل يصحح نفسه بنفسه . ولايزال الملتزم ملتزما مادام التغير الذى يطرأ على الأفكار هو تغير من املاء العقل .

وهذا الالتزام العام يتفرع من حيث الشكل باختلاف الميادين الفكرية والثقافية ، لأن التزام الفنان يختلف عن التزام الفيلسوف أو العالم ، فالتزام العالم التجريبى هو أن يستدل على القانون العلمى من المعطيات المادية ، وأن يعلن الحق الذى انتهى اليه دون أن يدخل عواطفه ، والتزام الفنان كالمصور أو الشاعر هو التزام الصدق مع النفس ، فلا ينتقى لوحة أو قصيدة لتأخذ الشكل الذى يرضى سواه .

وهناك الالتزام الدينى أو العقائدى وهو الالتزام بما أوحى اليه فاعتقدت فى صوابه ، الا اذا تبين له مايوجب تصحيحها فيكون الالتزام هو أن يساير هذا التصحيح .

« الالتزام نفسى ــ فلسفى
« دنيــوى »

المنظومة رقم ٥
الالتزام هو تعهد من النفس للنفس

وهو يرتبط بثقافة الانسان والعناصر المكونة لها ، وقد تتناقض هذه العناصر فينشأ الصراع الذى يحسه الكاتب من ثقافته ذات التراث العربى الاسلامى وتلك التى اكتسبها من دراسته الانسانية ذات المنابع الغربية المعاصرة . وهذا الصراع يؤكد أفكارا تنعكس فى روايات الكاتب وتصويره لشخصيات ذات ثقافات مختلفة متعارضة .

وهناك نوعان من الالتزام : التزام بمبدأ سياسى والتزام بالنسبة للفنان ، ولاينبغى الخلط بينهما أو

تفضيل الأول على الثانى والا تحول عمل الفنان الى نشرات دعاية واثارة .

الالتزام نفسى ــ ثقافى ــ سياسى
« دنيــوى »

المنظومة رقم ٣
الالتزام اتخاذ مواقف نسبية ووقتية

وهو لاينسجم الا بانسجام العقل والقلب معا ، والالتزام يكون متواضعا لاصاخبا ، ومصدر ذلك الايمان بنسبة مايؤمن به فى الزمان والمكان ، ولكن حين ينخرط فى الدفاع عما يؤمن به فهو يعتبره مطلقا .

وهذه النسبية والوقتية هى التى جعلت الكاتب لايفرح كثيرا ولايحزن أيضا كثيرا فى خارجه بينما فى داخله تمتزج موجات الفرح والحزن .

ووراء هذا الموقف اطلاعات الكاتب المستفيضة عن قضايا الالتزام على أيدى سارتر والماركسية وجاروديه وانعكاس هذه الآراء على الحياة الفكرية فى مصر . وكذلك رحلتان للكاتب للهند وفرنسا حيث اتضح له نسبية الفكر الأوروبى ومن هنا كانت بذرة العصيان عنده ورفضه أن تصبح الأفكار عقيدة جامدة الأمر الذى شجع عليه موسوعية ثقافته وتأرجح بين الأدب والسياسة وبين القانون والاجتماع .

الالتزام فلسفى ــ ثقافى
« دنيــوى »

المنظومة رقم ١٣
الالتزام هو المسئولية والموهبة

وهو ينمو بالممارسة اذا ماتوافرت للانسان نواة فى داخله ، وهو كل متكامل يشمل علاقات الفرد كلها ، وهو حس تلقائى لكن استمراره يخضع للارادة الواعية ، ومن ثم فقد يتخلى الانسان عن التزامه أمام شهواته .

والالتزام للفنان فى أهمية وضرورة موهبته ، فاذا عجز عن رعاية موهبته بالالتزام سهل عليه الانحراف ، وبالتالى فهو يبدد مواهبه فى خدمة ماينافض التزامه بها . والالتزام القوى لاتحفظه الا موهبة قوية .

الالتزام جمالى ــ فلسفى
« دنيــوى »

المنظومة رقم ٤
الالتزام تكليف داخلى

وهو ينبع من النفس بناء على الآراء والمعتقدات الشخصية وليدة تاريخ المرء ومجتمعه واطاره الخلقى . وهو الأمانة الخلقية وليس المنفعة الشخصية أو الانتماء الاجتماعى والا أصبح المرء منافقا لنفسه وللناس .

الالتزام نفسى ــ اجتماعى
« دنيــوى »

المنظومة رقم ٩
الالتزام هو الصدق مع النفس

وهو حرية النفس المطلقة فى الاختيار ، وهو جماع عوامل بيولوجية وفسيولوجية ونفسية واجتماعية وثقافية ، ولايهم أن يكون المرء تقدميا أو رجعيا وانما المهم أن يكون أمينا مع نفسه وصادقا معها .

الالتزام نفسى ــ اجتماعى ــ ثقافى
« دنيــوى »

المنظومة رقم ٢
الالتزام تحقيق رسالة حضارية

وتتمثل فى نهضة حضارية للأمة على أساس اسلامى ، لأن ذلك هو الطريق الأمثل والأكثر امانا ،

وعلى المرء أن يسعى لكل ألوان المعارف التى تخدم هذه القضية .

الالتزام حضارى ثقافى ـــ دينى

« دينى ـــ دنيوى »

المنظومة رقم ٧

الالتزام هو خدمة الفن أولا

لأن المعول هو الارتفاع الى مستوى انسانى راق ، ولأن الأديب بحكم رهافة حسه ، فهو أقدر على الاحساس بمتاعب ونواقص المجتمع ، ولكن مع ضرورة أن يستوفى العمل الأدبى الشروط المفروضة والا فانه سيضر بالمجتمع لأنه سيروج لأفكار خاطئة .

الالتزام جمالى ـــ اجتماعى

« دنيـــوى »

المنظومة رقم ١٠

الالتزام الواعى قرين الحرية

وهو الأكثر تعبيرا عن الحرية والعكس هو ترك تصرفات الانسان تتحكم فيها العادات والتقاليد والأنظمة القائمة .

وهو لايعنى الالتزام الجامد حيث أن ذلك يعنى تحوير الالتزام مع الغاء مضمونه ، وهذا مايتطلبه عصرنا الذى انتهى فيه مايسمى « بالأنظمة ـــ المغلقة » و« العقائد الثابتة » و« الأمور النهائية » .

الالتزام فلسفى ـــ سياسى

« دنيـــوى »

المنظومة رقم ٢١

الالتزام اختيار حر متطور

الالتزام هو اختيار حر وعلى نقيض الجمود الفكرى ، فالانسان يتطور مع السن والقراءات .

والالتزام هو الأمانة مع النفس مما قد يجعل الفرد فرديا بعض الشيء .

فلسفى — ثقافى — نفسى

« دنيــوى »

المنظومة رقم ١٢

الالتزام معركة يومية تخاض .. بين التزام المرء بمستقبله الشخصى (أسرته — أولاده — مصالحه الذاتية) فى مواجهة التزامه نحو (ضميره — موقفه — ايمانه) .

وهناك التزامات فرعية .. الالتزام نحو الحزب.قول الحقيقة كاملة . وجود توازنات تراعى .. والمخرج هو الالتزام بموقف الوطن والشعب .. والناس البسطاء .

نفسى — اجتماعى — سياسى

« دنيــوى »

المنظومة رقم ١٦

الالتزام هو احترام الذات ، الأمر الذى يفرق بين الانسان والحيوان وهو لايعنى الجمود ولكنه ينطوى على امكانية التطور والتغير الصادر عن اقتناع حر . وهو عبء وخاصة فى مجتمع يفتقر الى ديمقراطية متأصلة .

نفسى — فلسفى — سياسى

« دنيــوى »

المنظومة رقم ٢٠
الالتزام نحو الحقيقة والشعب

الالتزام له وجهان : التزام نحو الشعب

التزام لاظهار الحقيقة أمام الشعب لكى يقرر فى ضوئها أين مصلحته .

والحقيقة يظهرها الحوار بين أطراف متعددين ويضمنها ويحميها حرية الصحافة . وبدون حرية الصحافة يمكن للحاكم التغرير بالشعب وتفسير الالتزام حسب هواه ولما يخدم مصلحته هو .

وعلى الكاتب الا يكون تابعا للحاكم لأن ذلك يعوقه عن واجبه الأول وهو اظهار الحقيقة للشعب .

فلسفي — سياسى
« دنيــوى »

المنظومة رقم ١٩
الالتزام يتكون من التنشئة الأولى

الالتزام ايمان :

بمحاربة الاستعمار ، والوقوف الى جانب الشعب بجماهيره الفقيرة والعمل من أجل الاستقلال ، والايمان بالديمقراطية والحرية والدستور ، والايمان بحرية الصحافة ومحاربة الدكتاتورية بجميع صورها ، وأخيرا الايمان بقدرات المرأة العربية واستحقاقها تولى المناصب . وقد نشأ الايمان بكل هذه القيم نتيجة لتجارب الطفولة وتوافر القدوة الطيبة والمثل الطيب سواء أكان ذلك سعد زغلول أو صفية زغلول ومن أعمال الشعب المصرى ذاته .

نفسى — سياسى — اجتماعى
« دنيــوى »

المنظومة رقم ٢٢
الالتزام هو الخضوع للذات العلية

وهو طاعة لما أمر به الله وهجر مانهى عنه . والمسلم يجد راحة نفسية اذا أدى ماعليه نحو ربه ونحو ذاته ونحو الانسانية كلها . وهو فى ذلك لايخشى الناس . فهو ملتزم فى السر والعلانية لان الله هو الرقيب عليه . والالتزام قد يكون طمعا فى ثواب وتجنبا لعقاب حسب الأوامر الالهية والالتزام الاسمى من ذلك هو أداء الواجب ابتغاء وجه الله .

والالتزام مرادف لكلمة الخضوع لله . لأن هذا الخضوع للقوى القادر يحرر الانسان من كل آثار الذل لغير الله فما يعود لأحد سلطان عليه ، وهكذا تكون نتيجة الخضوع هى الاستمتاع بالحرية الكاملة فى حدود الأمر والنهى الإلهين .

والمسلم لايتغير التزامه بتغير الظروف ، فهو يقبل خضوعا لأمر ربه حتى ولو كانت سدود الدنيا أمامه ، وهو يجمع فى وزنه للأمور بين عقله وعاطفته الدينية فيتفاعل الاثنان ليصلا الى نتيجة هى الخضوع فلا يقيم للنتائج وزنا ليقينه بأن وراء تقديره تقديرا أعظم وأحكم . وعلى هذا فالالتزام الصحيح لايوجد الا فى الاسلام لأنه بنى على عقيدة قامت على الخضوع لرب العالمين ، والالتزام بأوامره . أى أن المصلحة الشخصية والظروف لادخل لها فى التزام المسلم . لأنها كلها تتجمع فى وعاء واحد لا ثانى له هو أن الخير كل الخير فيما أمر الله أو نهى .

نفسى ــ دينى ــ فلسفى
« دنيــى »

المنظومة رقم ٨
الالتزام هو الانحياز الاجتماعى

وذلك فى السياسة وفى الأدب ، وهو يتحدد فى صياغة فكرية وسياسية ذات مضمون اشتراكى ــ أخلاقى ، وكان هذا المفهوم يسوده الجمود والتقوقع فى الخمسينات نتيجة الاستقطاب العالمى فى ذلك الحين . وكان الكاتب يعتبر نفسه ملتزما بهذا المفهوم .

ومع الانفراج العالمى والتفاعلات طيلة الفترة من الخمسينات الى الثمانينات ، وحل محل هذه الحتمية التاريخية الصلدة ذات النكهة الميتافيزيقية ــ رغم مظهرها الثورى ــ الجدلية الديناميكية بين الفكر والآخر .

والكاتب اليوم ليس ملتزما بمفهوم الخسمينات مع استمراره فى نفس النهج الفكرى الاشتراكى الذى كان فى الخمسينات .

فلسفى ــ سياسى ــ اجتماعى ــ تاريخى
« دنيــوى »

المنظومة رقم ٦
الالتزام هو التزام بمبادىء

يرى فيها الملتزم أنها تخدم الجماعة نفسيا أو ماديا ، وهو مراتب : فى مستواه الأدنى يكون محدودا كانشاء ملجأ للأيتام وعلى مستوى أعلى خدمة الوطن وحقوق الانسان . ويتغير مضمون الالتزام ومجال

حركته حسب الظروف التى يتحرك فيها .

ويواجه الملتزم ضغوطا يتحدد فى مواجهتها درجة الالتزام وكفاءته وعلى الملتزم أن يراجع مبادئه فى ضوء خبراته الأمر الذى يجعل الالتزام مختلفا عن التعصب والتصلب . وكما أن الملتزم يتأثر بتفاعلات مجتمعه ، فهو أيضا يؤثر فيه .

ومولدات الالتزام لاتوجد فى البيئة الاجتماعية فحسب ، ولكنها توجد أيضا فى التركيب النفسى للملتزم ، وهذا التركيب النفسى لايكتسب كله ، وقد تعمل عوامل على تنميته أو اضعافه ولكنها لاتنشئه ، وليس الالتزام اختيارا عقليا ، قد يكون العقل له تأثير فى تحديد مضمون الالتزام ولكن لايجعل الانسان ملتزما أو غير ملتزم ، ومن ثم فالتركيب النفسى للانسان لايحمل غلبة العقل وانما القلب أو الضمير أو « الأنا الأعلى » .

نفسى — اجتماعى — سياسى — سواء

« دنيــوى »

المنظومة رقم ٢٦

الالتزام نسبى

الالتزام نسبى يختلف من ثقافة الى أخرى ومن فرد الى آخر ، والفرد نفسه قد يبدل التزامه حسب مايتراءى له لكن المهم أن يكون الانسان صادقا مع نفسه فيما يلتزم به والا أصبح ذلك الزاما .

ثقافى — نفسى — فلسفى

« دنيــوى »

المنظومة رقم ٢٥

الالتزام هو الحرية الفكرية للانسان

الالتزام هو الحرية الفكرية للانسان الذى يحددها التكوين الاجتماعى ، والحرية الفكرية يجب أن تعلو على أى التزام مسبق بأى مذهب سياسى أو اجتماعى أو ارتباط بالقادة السياسيين أو الاجتماعيين .

والالتزام أن يكون الفرد وحريته فى اختيار مايلتزم به فوق أى اعتبارات عائلية أو سياسية أو اجتماعية .

نفسى — فلسفى

« دنيــوى »

المنظومة رقم ٣٨
الالتزام هو طاعة الله

وهو أن يلتزم الانسان فى كل دين بأوامر دينه ، لأن الأديان السماوية كلها تأمر بانتهاج سلوكيات فيها الخير للانسانية جمعاء ، كما أن طاعة الله تجعلنا فى اتساق مع أنفسنا ومع الله .

وأن الانسان لايستطيع وضع أسس لسلوكياته أفضل من تلك التى وضعها الله ، لأن الانسان كائن ناقص والله هو الذات الكاملة ، وما تلزمنا به هو الكمال ذاته .

فلسفى — دينى

« دينــى »

المنظومة رقم ١
الالتزام هو الاحلال البيولوجي

الالتزام أقوى أنواعه هو ابدال أو احلال الأم والأب بالوطن وهو الاحلال البيولوجي وهو غير قابل للضياع . والثقافة والتعلم قد يشكلان الالتزام ، الا أنه التزام أقل فى الدرجة والصمود من الالتزام بالسليقة .

نفسى — ثقافى

« دنيــوى »

المنظومة رقم ١٨
الالتزام هو ثمرة الايمان

الالتزام هو ثمرة الايمان ، والايمان لابد أن يكون كاملا والا لم يكن ايمانا . والالتزام يختلف عن السلوك الذى يصدر عن طبيعة الفرد وتكوينه الداخلى وتراثه الشخصي أى تراكمات تجاربية بتجارب المجتمع المتمثل فى عائلته وفى المجتمع الصغير الذى يعيش فيه ثم المجتمع الانسانى العام .

دينى — فلسفى — نفسى — اجتماعى

دينى — دنيـوى

المنظومة رقم ٣٦
الالتزام هو الاحساس بالمسئولية من الانسانية

الالتزام هو ارتباط الفعل أو السلوك بالفكر أو المبدأ ، وله معنيان أحدهما سلبي والآخر ايجابى . أما السلبي فهو الخاص بالانسان ونفسه ، أما الايجابى فمعناه احساس الفرد بمسئوليته عن تغيير البيئة أو المجتمع أو العالم . وهو يبلغ مراتبه الأعلى والأدنى فى العمل الفنى أو الأدبى أو الكفاح السياسى . وهو بمعناه السلبي والايجابى قديم قدم الأديان .

نفسى — دينى — اجتماعى — سياسى

دينى — دنيـوى

المنظومة رقم ٤٥
الالتزام هو أن تكون حرا دون قيد

ان الانسان أو الأديب يجب أن يكون حرا ، لأن الحرية هى نبع الفن .
ولاينبغى أن تلزم الأديب قوة فى الوجود من خارجه . وانما يجب أن يكون الالتزام نابعا من كيانه هو .

والالتزام بهذا المعنى نجده عند الفنان المصرى القديم لأنه كان فنه ملتزما بخدمة عقيدة دون أن يشعر بارغام على ذلك ، وهنا لايتعارض الالتزام مع الحرية ، بل ينبع الالتزام نفسه من الحرية . ولذا فاننى أقول للأديب أو للفنان كن حرا .

فلسفى — ثقافى

« دنيـوى »

المنظومة رقم ٥٦
الالتزام هو الصدق مع النفس ومع الآخرين

الالتزام قديم فى معناه وان كان حديثا ككلمة ، وهو أساسا ينشأ مع التربية الأولى ، وهو فى الحياة السياسية لايكون فى التجمد على مذهب أو فكرة معينة وانما يمكن أن يتجدد هذا الالتزام ، وذلك مثل أن يكون الشخص يوما مع الحزب الواحد وبعد ذلك يرى أهمية تعدد الأحزاب ، وهو أساسا يعنى

الاتساق بين داخل الانسان وخارجه .

تاريخى — اجتماعى سياسى — نفسى

« دنيـوى »

المنظومة رقم ٤٤
الالتزام هو التزام أمام الجماهير الكادحة

الالتزام هو التزام قبل الشعب بجماهيره الكادحة من عمال وفلاحين ومثقفين . وهو التزام فكرى أولا وهو أيضا التزام سياسى .

وقد بدأ يتكون بعد فترة الصبا ، حيث الجو الأسرى يساعد على ذلك ، كما أن قيم الوالدين وبالذات الأم كان لها أثر عميق فى تكوين هذا الالتزام .

اجتماعى — سياسى

« دنيـوى »

المنظومة رقم ٥١
الالتزام هو خضوع الكاتب للقيم الالهية

الالتزام هو خضوع الكاتب للقيم الالهية ، وأولها الصدق مع الله ، لأن الكتابة موهبة من الله ونعمة ، ولذا فيجب توجيه هذه الموهبة فيما يرضى الله .

وأى التزام آخر نحو أى من البشر هو كلام فارغ لأن الله وحده هو الذى لايمكن اخفاء الحقيقة عنه .

وتتحدد أبعاد الالتزام فى أن يقف الكاتب مع كرامة الانسان وشرفه بالسلاح الذى يملكه وهو الكلمة .

نفسى — دينى — اجتماعى

دينى — دنيـوى

المنظومة رقم ٣٠
الالتزام هو الايمان بقضية فكرية مجردة

الالتزام هو الانحياز الفكرى لقضية فكرية مجردة تتعدى المصلحة الشخصية أو المباشرة .

والمفكر الملتزم هو الذى يلتزم بقضية مابغض النظر عن مضمون هذا الالتزام ، ولكن المهم أن يترجم هذا الالتزام الى عمل معين أو انتاج فكرى للتعبير عن هذه القضية سواء أكانت اجتماعية أم سياسية أو ذات طابع انسانى عام .

والالتزام يتطلب درجة قوية من « الحس الأخلاق » وشعورا قويا بالمسئولية أيا كان موضوع هذه المسئولية . طالما أنها تتعدى حدود المصالح الخاصة .

نفسى ــ اجتماعى ــ سياسى

« دنيــوى »

المنظومة رقم ٨٠
الالتزام هو التمسك بما جاء فى القرآن

الالتزام عندى هو التمسك بما جاء فى القرآن الكريم ، والله أعلم بعباده .

والالتزام ككلمة حديثة ولكنها فى معناها قديمة قدم الأديان بل حتى قبل الأديان السماوية ،

ويجب أن يكون الانسان الملتزم حرا من أى قيد دنيوى لأن البشر زائلون جميعا .

دينى ــ تاريخى ــ فلسفى

دينى ــ دنيوى

ادراج الفئات والمنظومات فى أبعاد

مفهوم البعد : Dimension

يتيح مفهوم البعد « امكانية النظر الكلى الى ما ينطوى عليه ، كذلك فانه يوحى بمفهوم البناء على أساس أن الأبعاد تدخل معا فى علاقة مركبة وليست علاقة تجميع بسيط »(١) .

ومن اقتناعنا الكامل بمفهوم البعد بالمعنى السابق وبعد أن تمت عمليتا التحليل الكمى والكيفى بالطريقة التى تناولناها فيما سبق بالتفصيل تم ادراج الفئات والمنظومات تحت أبعاد طبقا للمفهوم المشار اليه ، وقد أسفرت هذه العملية عن التوصل الى تسعة أبعاد كالتالى :

أولا : البعد النفسى :

وقد أدرجت تحته جميع الفئات التى تعتبر خاصة بالعلاقة بين الفرد ونفسه ، وأسفرت هذه العملية عن ادراج ١١ فئة من فئات التحليل تحت هذا البعد كالتالى :

فئات البعد النفسى :

١ ـــ الاتساق بين القول والفعل .
٢ ـــ قول الحقيقة والجهر بها .
٣ ـــ التكامل فى السلوك .
٤ ـــ عدم الانطلاق من منفعة شخصية .
٥ ـــ الصبر على المكاره وتحمل الصعاب .
٦ ـــ الالتزام هو العمل وليس التفكير فقط .
٧ ـــ الضبط الذاتى للسلوك .
٨ ـــ الحساب القاسى للنفس وتحمل المسئولية .
٩ ـــ الصمود أمام المغريات .
١٠ـــ دور العقل والوجدان فى تكوين الالتزام .
١١ـــ الالتزام عملية احلال بيولوجى .

ثانيا : البعد الاجتماعى :

وقد أدرجت تحت هذا البعد الفئات التى تعتبر خاصة بالمجتمع المحيط بالفرد سواء أكان أسرة أو المجتمع أو البيئة ككل . وأسفرت هذه العملية عن ادراج فئتين تحت هذا البعد كالتالى :

---

(١) مصطفى سويف . اشراف ١٩٧٧ ، صورة المرأة كما تقدمها وسائل الاعلام ، القاهرة ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ص ١١ .

فئات البعد الاجتماعى :

١ ــ دور القدوة كمصدر للالتزام .
٢ ــ التنشئة الأولى وتكوين الالتزام .

ثالثا : البعد الفلسفى :

وقد تم ادراج الفئات ذات المعنى الفلسفى تحت هذا البعد ، وتبين أنها أربع فئات كالتالى :

فئات البعد الفلسفى :

١ ــ التجدد وعدم التجمد (وقتى ونسبى)
٢ ــ حرية الاختيار .
٣ ــ الالتزام كقيمة مطلقة .
٤ ــ وضوح الهدف والرسالة فى الحياة .

رابعا : البعد التاريخى :

وقد ادرجت تحت هذا البعد الفئة التى تعنى تناول مفهوم الالتزام من حيث نشأته وتاريخه فى الأديان والفلسفات ومختلف النظريات وكانت كالتالى :

فئات البعد التاريخى :

١ ــ الالتزام كتاريخ .

خامسا : البعد الدينى :

وقد اشتمل هذا البعد على الفئات التى تعنى دور الدين والمفاهيم الدينية فى تكوين الالتزام وكانت كالتالى :

فئات البعد الدينى :

١ ــ الالتزام هو الطاعة لله وحده .
٢ ــ دور الدين فى تكوين الالتزام .

سادسا : البعد الثقافى ــ الحضارى :

وقد اشتمل هذا البعد على الفئات التى تربط بين تكوين الالتزام ومايتعلق بثقافة الانسان والحضارة التى يعيش فى نطاقها وكانت كالتالى :

فئات البعد الثقافى ــ الحضارى :

١ ــ ارتباط الالتزام بثقافة الانسان والحضارة التى يعيش فيها .

سابعا : البعد السياسى :

وقد ادرجت تحت هذا البعد الفئات التى تشير الى صلة الالتزام بالنظام السياسى والسلطة والشعب والأمة ، وكانت كالتالى :

فئات البعد السياسى :

١ ــ الالتزام والنظام السياسى (الحكومة ــ السلطة ــ المذهب السياسى) .
٢ ــ العمل لصالح الجماعة (الوطن ــ الشعب ــ الأمة) .

ثامنا : البعد الجمالى :

وقد أدرجت تحت هذا البعد الفئات التى تجعل للالتزام معنى جماليا يجلب متعة روحية كالعمل الفنى تماما وكانت كالتالى :

فئات البعد الجمالى :

١ ــ الموهبة والالتزام شيء واحد فى الأدب .
٢ ــ الالتزام كجمال .

تاسعا : بعد السواء :

وقد اشتمل هذا البعد على الفئات التى ميزت بين الالتزام كمفهوم يقع فى دائرة السواء وبين غيره من المفاهيم الأخرى التى قد تعتبر فى دائرة المرضى مثل الالزام والتعصب والتصلب .

تعقيـــب :

مما سبق تكتمل عملية التحليل الكمى لنصوص اجابات عينة الدراسة وهى تتلخص فى عمليات استخراج فئات تندرج تحتها وحدات ثم تتجمع هذه الفئات فى أبعاد أى كالتالى :

نصوص وحدات فئات أبعـاد

ويلاحظ أن البعد النفسى قد اشتمل على ١١ فئة من العدد الكلى للفئات (٢٦ فئة) ولهذا دلالة واضحة على أن الالتزام مفهوم نفسى من الدرجة الأولى وأنه جدير بالدراسة السيكلوجية فى سلسلة بحوث تلقى مزيدا من الأضواء على هذا المفهوم الذى يشيع استخدامه كثيرا فى حياتنا ولكننا نجهله ونجهل أبعاده تماما .

ادراج المنظومات فى الأبعاد نفسها

لقد قمنا بعد ذلك بادراج الانساق أو المنظومات تحت الأبعاد التسعة نفسها وقد تمت هذه العملية عن طريق حصر للأفكار المحورية التى تلخصت فيها الانساق جميعا ثم وضعت هذه الأفكار المحورية تحت الأبعاد الملائمة لها تحت الأسس نفسها التى سبق الاشارة اليها حينما تعرضنا للأساس الذى ادرجت الفئات تحت الأبعاد (فمثلا تم اعتبار البعد النفسى هو كل ماله صلة بالعلاقة بين الفرد ونفسه) .

وقد تمت هذه العملية كالتالى :

أولا : منظومات البعد النفسى :

١ ـ الالتزام هو الاحساس بالمسئولية من الانسانية .
٢ ـ الالتزام هو التزام بمبادىء .
٣ ـ هو الضبط الذاتى للسلوك .
٤ ـ الالتزام تعهد من النفس للنفس .
٥ ـ الالتزام تكليف داخلى .
٦ ـ الالتزام هو الصدق مع النفس .
٧ ـ الالتزام هو التزام أمام العقل .
٨ ـ الالتزام معركة بين الضمير والمنفعة الذاتية .
٩ ـ الالتزام هو ثمرة الايمان بمبدأ .
١٠ـ الالتزام عملية احلال بيولوجى .
١١ـ الالتزام هو الصدق مع النفس ومع الآخرين .
١٢ـ الالتزام هو الايمان بقضية فكرية مجردة .

ثانيا : منظومات البعد الاجتماعى :

١ ـ الالتزام هو الانحياز الاجتماعى .
٢ ـ الالتزام يتكون من التنشئة الأولى .
٣ ـ الالتزام هو التزام أمام الجماهير الكادحة .

ثالثا : منظومات البعد الفلسفى :

١ ـ الالتزام هو اتخاذ مواقف نسبية ووقتية .
٢ ـ الالتزام نسبى .
٣ ـ الالتزام هو الحرية الفكرية للانسان .

٤ ــ الالتزام الواعى قرين الحرية .
٥ ــ الالتزام اختيار حر متطور .
٦ ــ الالتزام هو اختيار الحر .
٧ ــ الالتزام هو أن تكون حرا دون قيد .

رابعا : منظومات البعد الدينى :

١ ــ الالتزام هو طاعة الله وحده .
٢ ــ الالتزام هو خضوع للذات العلية .
٣ ــ الالتزام هو خضوع الكاتب لمجموعة القيم الالهية .
٤ ــ الالتزام هو التمسك بما جاء فى القرآن الكريم .

خامسا : منظومات البعد الثقافى ــ الحضارى :

١ ــ الالتزام تحقيق رسالة حضارية .

سادسا : منظومات البعد السياسى :

١ ــ الالتزام نحو الحقيقة والشعب .

سابعا : منظومات البعد الجمالى :

١ ــ الالتزام هو خدمة الفن أولا .
٢ ــ الالتزام هو المسئولية والموهبة .

ثامنا : منظومات بعد السواء :

١ ــ الالتزام هو الالتزام الواعى قرين الحرية .

تعقيـــب :

يتبين من ادراج المنظومات تحت الأبعاد الملائمة لها طبقا لما سبق مايلى :

١ ــ اشتمال البعد النفسى على أكبر عدد من المنظومات (١٢ منظومة من ٣٠ منظومة) وهذا يؤكد من جديد أن ظاهرة الالتزام ظاهرة نفسية فى الدرجة الأولى وهو ماتبين أيضا فى عملية التحليل الكمى .

٢ ــ ظهرت ثمانية أبعاد هذه المرة وليس تسعة أبعاد وذلك بعدم ظهور البعد التاريخى وهو مانعزوه الى أنه لاتوجد منظومة كانت الفكرة المحورية فيها تختص بالجانب التاريخى للالتزام .

٣ ــ كان ترتيب الأبعاد من حيث الأهمية (أى اشتمالها على أكبر عدد من المنظومات) هو تماما ترتيب الأبعاد فى عملية التحليل الكمى مع فروق طفيفة .

٤ ــ يمكن تفسير التقاء الأبعاد فى حالتى التحليل الكمى والكيفى بالشكل المشار اليه بأن ذلك يرجع الى أن الفئات والمنظومات نابعة من أصل واحد ، هو نصوص اجابات أفراد العينة ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أننا حيننا حرصنا على الأخذ بفكرة التحليل المنظومى الذى لايجتزىء وحدات من النص الأصلى وانما هو تحليل يأخذ بمضمون النص ككل ، اتضح ان الاتفاق الذى بزغ بين التحليلين الكمى والكيفى يرجع الى أن موضوع الالتزام موضوع يدخل فى دائرة الشعور الواعى للانسان ، فهو مفهوم معلن ، والتعبير عنه باللفظ تعبير واعٍ ، ولذا فان صاحب النص يكون حريصا على وحدة السرد والسياق وعلى استمراريته .

ولذا فانه ليس غريبا أن نجد التحليل المنظومى ــ فى هذه الحالة بالذات ــ (أى فى حالة الحديث عن مفهوم كالالتزام وفى حالة الكاتب صاحب الفكر والقلم) لم يبعد كثيرا عن التحليل الكمى . لأن أفراد العينة ــ هذه العينة بالذات ــ كانوا حريصين على « الاتساق » داخل ماقالوه .

وتجدر الاشارة هنا الى أن عملية « التحليل الكيفى » الى منظومات تعتبر نوعا من الاجتهاد الشخصى لنا ، قد لايتفق عليه اثنان لأنه شىء أقرب الى الابداع ، وهو يشبه تماما الذاتية التى نجدها حينما يطلب الى عشرة أفراد مثلا وضع عنوان لقصة أو لموضوع واحد يقرأونه جميعا . عندئذ نجد أنه من الصعب تماما أن يتفق اثنان من العشرة على وضع عنوان واحد بنصه . نعم قد تتقارب العناوين لكنها من الصعب أن تجىء فى صياغة متكررة . ونشير هنا بصفة خاصة ليس الى مضمون المنظومة وعنوانها ، وانما بالتحديد الى طريقة والفاظ صياغتها ، ذلك أنه قد تتفق مجموعة من الناس على المعنى الضمنى للمنظومة ، ولكنها لاتتفق قط فى الصياغة اللفظية لهذه المنظومة .

وكما يقال فانه بقدر فطنة الباحث الى حتمية الذاتية بقدر اقترابه من الموضوعية ..

كذلك خطونا خطوة أخرى على طريق التصنيف ــ لأن منهج تحليل المضمون فى جوهره ليس سوى عملية تصنيفية ــ وهى أننا صنفنا اجابة كل كاتب طبقا لقطبين رئيسيين هما :

١ ــ قطب دينى religious

٢ ــ قطب علمانى أودنيوى Sécular وقد فضلت الكاتبة كلمة « دنيوى » لأنها تعبر عن المعنى المقصود بشكل محدد لا لبس فيه » .

وقد أسفرت هذه العملية عن أن معظم الأجابات اندرجت تحت قطب « دنيوى » وكانت بنسبة ٧٦٪ . أما الذين اندرجت اجاباتهم تحت قطب دينى فكانت بنسبة ١٠٪ وهناك مجموعة اندرجت اجاباتهم تحت ماسميناه بـ « دينى ــ دنيوى » وكانت بنسبة ١٤٪ .

اجراءات الثبات

يرى برلسون Berelson أن قبول تحليل المضمون كمنهج علمى يتحقق أساسا اذا ماتوفرت درجة عالية من الثبات . ويحدد برلسون طريقتين لحساب الثبات :

١ ــ عن طريق الاتساق بين المحللين المختلفين .

٢ ــ الثبات نتيجة الاتساق بين تحليل الباحث فى فترة زمنية وتحليلية فى فترة زمنية أخرى . أى أن الباحث يقوم بالتحليل بالطريقة ــ نفسها فى مرتين متتاليتين تمر بينهما فترة زمنية معينة .

وهاتان الطريقتان فى رأى برلسون تجعل التحليل يتم بطريقة موضوعية بعيدة عن تدخل ذاتية الباحث مما يساعد على تحقيق قيمة علمية أكبر لمنهج تحليل المضمون . والواقع أن الطريقة الأولى التى ينصح بها برلسون يكون لها أهمية خاصة اذا كان هناك مجموعة من الباحثين يقومون بتحليل نصوص بعينها فى بحث مشترك ولذا فلابد من الاتساق بينهم . أما اذا كان الباحث واحدا عبر مراحل التحليل المختلفة فان الأمر يحتاج الى « مرجع » يتثبت الباحث عن طريقه من ثبات التحليل ، ولهذا فقد كان « المرجع » فى تحليل المضمون فى هذه الدراسة هو الأستاذ المشرف على البحث وأستاذ آخر فى مجال علم النفس الاجتماعى ، وقد كان يتم الرجوع اليهما للتثبت من صحة خطوات التحليل .

أما الطريقة الثانية التى يقترحها برلسون فهى تتطلب أساسا فترة زمنية طويلة لكى تمر بين التحليل الأول والتحليل الثانى ، والا أصبحت الطريقة غير ذات موضوع الا اذا كان الباحث « عاقلا » فى المرة الأولى ثم أصبح فاقدا عقله فى المرة الثانية . والا فكيف يمكن أن يتغير الباحث نفسه فى معالجته لمادة الاتصال عبر مدة زمنية قصيرة ؟ هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان برلسون عندما يطالب بهاتين الطريقتين لتحقيق ماسماه « بالموضوعية » الكاملة مغفلا بذلك أن الباحث ــ بحكم الطبائع ــ هو ذات انسانية ومن الصعب أن يتخلى عن هذه الذات .. فهى التى تقرأ وهى التى تفهم .. وهى التى تحلل . ولذا فان الموضوعية المطلقة هى ضرب من الخيال ولا وجود لها .

على أننا حاولنا فى هذه الدراسة أن نمزج بين الطريقتين اللتين نصح بهما برلسون قدر امكانها عن طريقين :

١ ــ الرجوع الى مرجع للتأكد من سلامة التحليل الكمى والكيفى وهو مايوازى الاتساق بين المحللين .

٢ ــ كانت تتم قراءة النص مرة ومرات لكى نقف على مكوناته جملة وتفصيلا قبل أن تبدأ عملية التحليل وبخاصة أن وحدة التحليل كانت « الفكرة » أو « المعنى » وهو مايتطلب أساسا فهما كاملا ودقيقا للنص كمادة للتحليل بشقيه « الكمى » و« الكيفى » وهو مايوازى الطريقة الثانية

---

(١) Berelson. 1954. Ibid.

التى ينصح بها برلسون ولكن بشكل أكثر رشدا ، لأن مرور شهرين مثلا بين المرة الأولى للتحليل والمرة الثانية لن يؤثرا فى « عقلية » الباحث المحلل أو فى توجهاته أو فى فهمه للنص اللهم الا اذا كان المطلوب هو مرور سنوات بين مرتى التحليل وهذا ضرب من المستحيل .

خلاصـــة :

استعرضنا فى الفصل السابق الخطوات التى اتبعتها فى هذه الدراسة بشكل مفصل . فتعرضنا أولا لعينة الدراسة وما تتميز به وأسباب اختيارها من الكتاب والمثقفين . ثم انتقلنا الى خطوات التحليل الكمى وكيفية استخراج فئات التحليل مع تعريف لكل فئة على حدة ومثال عليها من نصوص اجابات أفراد العينة .

وبعد ذلك استعرضنا خطوات التحليل الكيفى فيما أطلقنا عليه اسم « أنساق » أو منظومات ، ثم اعقبنا ذلك ببعض الملاحظات على عملية التحليل الكيفى وأشرنا الى أن هذه العملية لاتخلو من ذاتية اعترفنا بها .

ثم تمت الاشارة بعد ذلك الى اجراءات الثبات فى عملية التحليل بنوعيها .

وقبل أن نستعرض فى الفصل الخامس والأخير من الدراسة أهم نتائج الدراسة مع مناقشة لهذه النتائج ومحاولة لتفسيرها . نورد نصوص شهادات أو آراء الكتاب حول مفهوم الالتزام طبقا للترتيب الأبجدى لاسمائهم كما ورد فيما سبق .

نص اجابة احسان عبد القدوس
السن : ٦٤ سنة

مفهوم الالتزام بالنسبة لى متعلق تعلقا كاملا بمفهوم الحرية الفكرية وأنا أعتقد أن أساس التكوين الاجتماعى للفرد هو الذى يحدد مفهومه للحرية الفكرية . والذى ينبنى عليه بعد ذلك مدى التزامه بوضع فكرى معين . والواقع أن ما انتهيت اليه أنا منذ بدأت أشعر بالكيان الفكرى هو رفض أى التزام خارج فكرى الخاص وشخصيتى الخاصة . وهذا كان نتيجة المجتمع الذى ولدت وعشت فيه ، فأنا كما سبق أن كتبت نشأت فى مجتمع متناقض تناقضا كاملا . بعضه مع بعض . فأنا مثلا ولدت ونشأت فى بيت جدى الشيخ أحمد رضوان الذى كان من خريجى الأزهر ومتزمتا تزمتا دينيا مطلقا . فى حين أن أبى وأمى كانا خارج هذا المجتمع لأنهما اختطا طريقا بعيدا عن الالتزام بالتعاليم الدينية . فأمى قد اشتغلت بالتمثيل وتفرغ والدى للفن . ففى الوقت نفسه كنت مرتبطا عاطفيا واقتناعيا بجدى رجل الدين . ثم مرتبطا عاطفيا واقتناعيا بأمى وأبى أيضا . فصدمت منذ اليوم الأول بتناقض التقاليد والاتجاهات الفكرية بين الجانبين جدى من ناحية وأبى وأمى من ناحية أخرى .

وقد انتهى بى هذا التناقض الى رفض الاقتناع بكل التقاليد القائمة والسائدة على أساس البحث عن تقاليد جديدة تجمع بين مجتمع جدى ومجتمع أمى وأبى فى اطار فكرى واحد يجمع بينهما فى مجتمع واحد . وكان هذا يظهر فى تصرفاتى التى اتخذها بنفسى وفكرى فمنذ كنت صغيرا وأنا مثلا أصلى ، وفى الوقت نفسه أذهب الى أمى وأبى فى المسرح — فى حين أن جدى كان يبيح لى الصلاة ولايبيح لى الذهاب الى المسرح . ولكننى كنت أذهب . واتسعت هذه المتناقضات حتى شملت كل المظاهر الاجتماعية القائمة ... حتى الدين فأنا قد نشأت وأنا اعيش كل تعاليم الاسلام ، ولكن أمى كان يقال عنها أنها مسيحية لأنها تحمل اسما مسيحيا .. وقد وصل بى الأمر أننى بدأت أتساءل لماذا أن مسلم ؟ ملتزم بالاسلام فى حين أن أمى مسيحية هل لمجرد أن أبى مسلم فأنا مسلم ؟ هذا لايكفى ومرت بى فترة وكنت فى حوالى السادسة عشرة من عمرى . أعلنت بينى وبين نفسى أننى لست مسلما ولا مسيحيا وانما يجب أولا أن اقتنع وأختار . وهى فترة كان لها أثر كبير فى حياتى اذ قضيت حوالى ستة أشهر وأنا مصاب بحالة نفسية أرقدتنى الفراش . ولو أننى فى هذه الفترة بدأت دراسة الاسلام دراسة واسعة . واعدت قراءة القرآن أكثر من ثلاث مرات وفى الوقت نفسه كنت أقرأ عن المسيحية . وكان أكثر مايتعبنى كما أذكر هو التفسير . خصوصا تفسير الآيات القرآنية . وانتهيت الى أننى أصبحت أفسر القرآن لنفسى . بعد أن تهت فى التفسيرات التى أقرأها وكانت نتيجة هذه الحالة أننى أصبحت مسلما عن اقتناع . وقد تدهشين عندما تعرفين أننى ملتزم التزاما كبيرا بالاسلام . يقابل هذا مع مرور السن كل المذاهب السياسية التى بدأت تشغل عقلى . وقد انتهيت الى ماانتهى به دائما وهو الالتزام بنفسى ، فرغم كل ماقرأته لاأستطيع أن أقول أننى ملتزم بالمذهب الرأسمالى مثلا ولا بالمذهب الماركسى أو المذهب

الاشتراكى ، أو المذهب الذى كان له تأثير كبير فى نفسى وهو الفابية. وانما أصبحت ملتزما فقط بما يخرج به فكرى مقتنعا به من كل هذه المذاهب مجتمعة . أى أننى لست ملتزما بمذهب من المذاهب السياسية أو الاجتماعية ولكننى ملتزم فقط بفكرى ، وترتب على هذا بالتالى عدم الالتزام بأى تنظيم أو تكوين أو حزب سياسى أو اجتماعى فلم يعرف عنى منذ بدأت بأننى كنت أنتمى الى أى حزب . وانما كنت أضع حريتى الفكرية فوق كل الأحزاب وكل التكوينات والتنظيمات . بل أيضا فوق كل الشخصيات. فرغم كل الشخصيات القيادية التى ارتبطت بها فى حياتى، الا أن هذا الارتباط لم يصل ابدا الى إرتباط فكرى. ففكرى دائما حر حرية شخصية يستمدها من طبيعتى ومن قدرتى على التحليل والتفسير . من هذا ودون أن ندخل فى التفاصيل تستطيعين أن تحكمى على بأننى لست ملتزما اطلاقا بأى شىء أو بأى فكر أو بأى مبدأ خارج مايقتنع فكرى الخاص . أى أن أهم ما أتمسك به هو حرية فكرى الخاص . فأنا اربط كل تصرفاتى بمدى حريتى فى اتخاذ هذه التصرفات واتيانها . وامكانية التعبير عن هذه الحرية سواء بالكتابة أو بالقول أو بالتصرف .

. . .

نص اجابة الكاتب أحمد بهاء الدين
السن : ٥٥ سنة

مفهوم الالتزام عندى هو : أول صفة له أنه اختيار حر . يعقبه التزام . وأنا أفسر الالتزام على نطاق واسع جدا فمثلا أحاول أن تكون كتابتى منطبقة مع ما اعتقده . ولكن هذا لايمنع أن أغير رأيى بعدة سنين . ومعنى هذا ان الالتزام عندى مخالف للجمود الفكرى ، فأنا دائما أعالج فى كتابتى السياسية مفاهيم تعتبر يسارية . ولكننى كنت أختلف مع بعض اليساريين الدجماطيقيين فأنا مثلا أقرأ كثيرا قراءات متنوعة فى فروع كثيرة وبالذات فى الانسانيات .

ولذا فأنا أعتبر نفسى قابلا لتطوير ما اعتقد فيه دون أن أتعارض مع الالتزام أى أننى أقرب انسان هناك تطابق بين ما اعتقده وماأكتبه وما أسلكه . وأنا الح على هذه النقطة بالنسبة للالتزام . لأن هناك الكثيرين ممن يكتبون ويقولون أنهم ملتزمون كما لو كانوا كتبوا عقدا . وهو لايمكن أن يكون قد أخذ أهم قرارات حياته وهو فى الـ ٢٥ من عمره . فليس مقبولا أن يكون بقية عمره هدرا . اذن ما أود تأكيده هو أن الالتزام لايعنى الجمود بل هو التطوير والتجدد .

فالانسان يختار قيما معينة . فمثلا أنا عندى حساسية خاصة ازاء الغنى والفقير ، وأنا يخيل لى أن بعض الناس يصلون الى اقتناعاتهم الاساسية عبر الكتب فقط ، ولكن هناك من لديه الاحساس بالغنى والفقير عن طريق خبرة حياتية ، وبعد ذلك يبحث عن ذلك فى الكتب . وهناك العكس .

أى ماأريد أن أقوله أن هناك انسانا لديه اقتناع عن طريق الخبرة والطفولة ثم قد يتدعم بالكتب أو بالحياة أو لايتدعم .

أزعم أننى التزم بهذا المعنى :

١ ــ فى اطار من الحرية .

٢ ــ فى اطار من التجديد الفكرى .

٣ ــ شبكة التزامية لدى احيانا تؤدى الى نتيجة غير منطقية أو غير مطلوبة . مثلا هناك شخص يعمل لثورة أو لتغيير متجه الى العدل الاجتماعى فيفكر فى الأشياء الاقتصادية فقط ، ولكن هناك أناس ــ وأنا منهم ــ أفكر فى غمرة هذا أشياء قد تبدو من صفات النخبة . فمثلا أنا أهتم بالفنون الجميلة ولكن قد يقول قائل أن هذا بذخ ليس وقته الآن فهناك المجارى والمياه . ولكن موضوع الأوبرا يعنينى وأتمنى لو حدث .. وأنا اعتبر أن ثورة ٢٣ يوليو اطلقت العنان لفئات اجتماعية كثيرة ولكن لم تكن مستعدة لتلقى ما قد يجلبه ذلك من تيارات كثيرة . وأنا رأيى أن أكبر غلطة للثورة هى أنها لم تصطدم كفاية بالكثير من العادات والتقاليد فى المجتمع المصرى . فمثلا محمد عندما وصل لتفاصيل التفاصيل .. النظافة النظام ... فهو لم يكن نبيا كهنوتيا أو عاديا وهنا مايؤثر على التزامى هو تعدد اهتماماتى .

اذن عندى ان الالتزام هو الأمانة مع النفس ولذا مايجعلنى فرديا لبعض الشيء .

نص اجابة الكاتب أحمد بهجت

السن : ٥٠ سنة

الالتزام عندى هو خضوع الكاتب لمجموعة من القيم الالهية ، التى تحكم مسار تفكيره ، وتوجهه أثناء الابداع الفنى . وتحكم سلوكه كانسان (اذا أمكن ذلك) . وأول هذه القيم هى الصدق مع الله ، واستشعار وجوده والحياء منه . وآخرها الوقوف جوار مايتصور الانسان أنه يمكن أن يرضى الله .

وفى رأيى أن الكتابة موهبة من الله ، والموهبة نعمة ، والأصل أن الموهبة تحتاج الى علم وعناء وتجارب ونضج . ولكنها فى النهاية موهبة من الله . فاذا كان الله قد منح انسانا ماقدرة فنية خاصة ، فان واجب الانسان أن يوجه هدية الله تعالى ومنحته فيما يرضى الله ، أو فيما يتصور أنه يرضى الله . ومن هذه البداية أرى الكاتب ملتزما فى البداية والنهاية أمام الله . وكل الكلام الفارغ الذى يقوله الكتاب عن التزامهم أمام الجماهير ليس سوى استجداء رخيص لرضا الجماهير . وهو أمر لايقنعنى فأنا أعرف أن الجماهير تقرأ وتنسى ، وهى تتأثر بالأكاذيب ويمكن أن تخدع وما أسهل اثارة حماس الجماهير وتحريك عاطفتها وقيادتها نحو الخراب ، اما الله سبحانه وتعالى فلا يمكن اخفاء الحقيقة عنه. فضلا عن محاولة خداعه سبحانه وتعالى . اما ابعاد الالتزام عندى فهى الوقوف الى جوار النص القرآنى الذى يقول « ولقد كرمنا بنى آدم » وهذا يعنى أن يقف الكاتب مع كرامة الانسان وشرفه . يفعل ذلك بالسلاح الذى يملكه وهو الكلمة .. وهو سلاح يبدو أثناء الأزمات مشلولا وبلا قيمة ولكنه مع الوقت يكشف عن مضائه وأثره الحيوى .

نص اجابة الكاتب توفيق الحكيم [1]
السن : ٨٠ سنة

انى أقول ــ وقد قلتها من قبل كثيرا ــ ان الأديب يجب أن يكون حرا ، لأن الأديب اذا باع رأيه ، أو قيد وجدانه ذهبت عنه فى الحال صفة الأديب ، فالحرية هى نبع الفن وبغير الحرية لايكون أدب ولا فن .

تلك هى النصيحة التى ينبغى أن تزجى الى الأديب أو الفنان ، ولا أتصور نصيحة أخرى خالصة يمكن أن تقدم اليه ، لأن الذى يقول لفنان أو أديب التزم بكذا أو بكيت ، فقد يقتله .. انما التزام الأديب أو الفنان شيء ينبع حرا من أعماق نفسه ، فان لم ينبع الالتزام حرا من قلبه وبيئته وعقيدته فلا تلزمه أنت ولاتلزمه قوة فى الوجود . يجب أن يكون الالتزام جزءا من كيان الأديب أو الفنان ، ويجب أن يلتزم وهو لايشعر بأنه ملتزم ، مثله مثل حمام زاجل ينقل رسالة وهو حر طائر . لايشعر بقيد فى ساقه ، ولا بغل فى جناحه . فاذا شعر الفنان لحظة واحدة بأنه يؤدى بفنه ضريبة عليه أن يؤديها وجوبا ، فان الذى سينتجه لن يكون فنا .. فاذا لم يشعر بأن الالتزام واجب وانما هو شيء طبيعى .. شى لو ارغمته على ألا يؤديه لفضاك وأداه ، لأنه جزء من طبيعته وتفكيره وعقيدته ، فان الذى سينتجه مع الالتزام سيكون هو الفن .

هكذا كان الالتزام عند الفنان المصرى القديم فيما اعتقد كان فنه ملتزما بخدمة عقيدة دون أن يشعر بارغام على ذلك لأن العقيدة فعلا عقيدته التى نشأ عليها ، وركبت فى طبيعته . فالالتزام المثمر للفنان فى رأيى هو الالتزام الذى ينبع من طبيعته ، وهنا لايتعارض الالتزام مع الحرية ، بل هنا ينبع الالتزام نفسه من الحرية . لذلك لم أقل يوما لأديب أو لفنان التزم .. بل قلت وأقول : كن حرا .

---

(١) أحال الكاتب المؤلفة حينا توجهت اليه بالسؤال المفتوح الى كتابه « فن الأدب » والنص هنا مأخوذ من هذا الكتاب ص ص ١١٣ ، ١١٤ .

نص اجابة الكاتب ثروت أباظة
السن : ٥٥ سنة

أولا : أريد أن أضع تفرقة بين الالزام والالتزام ، فالالزام صادر من خارج الانسان ، أما الالتزام تكليف للنفس من داخلها ، وفى تصورى أن الالتزام هو الموقف الذى يختاره الكاتب لنفسه بناء على آرائه ومعتقداته الشخصية . وهذه الآراء والمعتقدات وليدة تاريخه ومجتمعه ، واطاره الخلقى الذى تربى فيه ، واعتقادى أن كل كاتب غير ملتزم لايكون كاتبا ، وانما يكون مجرد أداة للتسلية وازجاء الوقت . الأمر الذى يقف بعيدا جدا عن مكانة الكاتب فى الحياة . أما الكاتب الملتزم فهو الذى يقف مع كلمته التى يرى أنها الحق . والحق واحد وليس اثنين . ولكنه واحد فى نفس الانسان ، وقد يكون حقا آخر فى نفس انسان آخر. ولكن على الكاتب أن يكون واثقا أنه يكتب مايقتنع به . وعليه بثقافته وبخلقه أن يستوثق من أن هذا الذى يقتنع به ليس نابعا من منفعة شخصية أو انتماء اجتماعى ، والا أصبح منافقا لنفسه ومنافقا للناس فى وقت ما . فالالتزام اذن هو حرص الكاتب على أن يكون صادقا مع نفسه وتكون منابع هذا الصدق هى الأمانة الخلقية وليست منافع شخصية .

نص اجابة الكاتب جلال الحمامصى
السن : ٦٨ سنة

الالتزام كما أفهمه ، وكما أطبقه فى كل ما أكتب هو التزام نحو الشعب أولا . وهو التزام لايعنى الامتثال لرغبات الشعب عامة ، فقد يكون فى هذه الرغبات مايتطلب التقويم والارشاد والاقناع .

وبطبيعة الحال ، فاذا كان الالتزام هو للشعب وحده ، فذلك يعنى أنه لصالح الشعب ككل .

والذى يحدد الالتزام فى نظرى هو الحرص على « الحقيقة » وافساح المجال لها كى تصل الى عقول الناس ، والحقيقة لاتفرض . بل أنها تستخرج من حوار حر وقادر ، ويمكن تعرض فى آراء المشتركين فيه على الشعب بكل الصدق والأمانة وعدم التدخل فى أى رأى منها بالحذف أو التعديل أو عدم النشر . ذلك ان هذا العرض السليم سيقود الشعب فى النهاية الى اختيار مايؤمن به ويؤيده ، ويمضى فى تأييده الى أقصى الابعاد .

ولقد فسدت كلمة الالتزام أخيرا فسادا جعل منها مادة للتندر . فكل ماتم يفسر الالتزام تفسيرا يفرض على الناس وتقديرهم الى الاقتناع برأيه ، أو بمعنى آخر أن لا التزام الا للحاكم ، بفكره ، واتجاهه ، وقراراته . وهو التزام يقود الى الامتثال للديكتاتورية . بأبشع مظاهرها ، وهذا مانرفضه ونعتبره مضيعة لوقت الشعب ومكاسبه وعدوانا على الحقيقة التى يحاول الحاكم اخفاءها تحت مفهوم الالتزام الذى يفسره .

ومن الصعب اقناع الناس بمفهوم الالتزام الحقيقى ، مالم تتحقق الديمقراطية الحقة . الديمقراطية التى لاتسمح باخفاء الحقيقة . وأنه اذا حاول الحزب الحاكم ذلك ، فان الحرية الصحفية التى تحميها الديمقراطية الفعلية قادرة على اظهارها بكل قوة .

وفى رأيى أن لكل كاتب الا يتردد فى تخليص نفسه من أى ارتباط بالحاكم. ذلك أن هذا الارتباط يعرقل اتجاهاته فى اظهار الحقيقة. وعليه الايمان المطلق بقدسية التعاقد غير المكتوب بينه وبين الشعب والذى ينص على تكليفه باظهار الحقيقة والالتزام بها، والدفاع عنها مهما سبب له ذلك من متاعب .

وبهذا نصل الى القول بأن قاعدة الالتزام هى الحقيقة وهذا هو المفهوم الذى أؤمن به .

نص اجابة الكاتب د. جلال أمين
السن : ٤٧ سنة

الالتزام هو الانحياز الفكرى لقضية مجردة تتعدى المصلحة الشخصية أو المباشرة للفرد . وطبقا لهذا التعريف يتبين أنه وصف لايستخدم الا فى وصف شخص يشتغل بعمل فكرى ، من أى نوع كان ، كاتبا كان أو صحفيا أو رساما أو موسيقيا ... الخ .

فلا اعتقد أنه يمكن أن يستخدم فى وصف مهندس أو طبيب أو محام أو موظف ولا حتى فى وصف رجل السياسة الا بمقدار مايمارس أى منهم عملا فكريا أيضا .

(فالمهندس المعمارى حسن فتحى مثلا يمكن أن يعتبر « ملتزما » لأن الهندسة المعمارية عنده قد تحولت الى قضية فكرية وليست مجرد عمل أو مهنة) .

ومن ناحية أخرى لايشترط بالضرورة ، لكى يوصف مفكر بأنه « ملتزم » مضمونا معينا لفكره . فأنت قد تكون مفكرا ملتزما سواء كنت يساريا أو يمينيا ، سلفيا أو تقدميا ، أى أيا كانت فلسفتك ، أو أيديولوجيتك ، وقد يكون مضمون فكرك قوميا أو انسانيا ، دينيا أو علمانيا ، اشتراكيا أو رأسماليا ، دون أن يمنع ذلك من أن تكون فى أى حال من هذه الأحوال « مفكرا ملتزما » .

فالذى يميز الملتزم عن غير الملتزم اذن ليس مضمون فكره بل الانحياز لقضية يؤمن بها ويشعر بدرجة عالية من الولاء لها ويكرس انتاجه الفكرى للتعبير عنها .

على أن هذا الانحياز لابد أن يكون لقضية مجردة وليس لمصلحة خاصة . فالكاتب الذى يكتب ماتريده السلطة دائما ، بصرف النظر عن طبيعة ماتريده السلطة ، ليس كاتبا ملتزما ، والفنان الذى يعتقد أن من حقه التعبير عن أى نزوة أو عاطفة يمر بها ليس فنانا ملتزما .

يترتب على ذلك أن شرطا أساسيا من شروط الالتزام ، توافر درجة قوية من « الحس الأخلاقى » ، وشعور قوى بالمسئولية ، أيا كان موضوع هذه المسئولية طالما أنها تتعدى حدود المصالح الخاصة . فقد يكون موضوع المسئولية أو محكها قضية قومية أو اجتماعية أو ذات طابع انسانى عام تشترك فى الافادة منها كل الأمم وكل الطبقات ، بشرط أن يكون المفكر ذا ولاء قوى وانحياز واضح لها ..

ولا أحبذ استخدام لفظ « الملتزم » لوصف أى صاحب موقف « أيا كان ومهما كان هذا الموقف» بعيدا عن الايمان بقضية عامة ، انسانية أو قومية أو اجتماعية ، كأن يوصف مثلا كاتب القصص الجنسية بأنه هو أيضا «ملتزم» أو الذى يتاجر بمواقفه السياسية فانه هو بدوره «ملتزم» فهذا يميع فكرة الالتزام ويجعلها خالية من أية فائدة .

كما أنى لا أحبذ استخدامه لوصف أى مؤمن بقضية عامة ولو لم يكن يمارس عملا فكريا ، كأن يوصف بالالتزام العضو فى حزب مؤمن بمبادئه وأن لم يقم بأى نشاط فكرى ، أو المهندس أو الطبيب الذى يؤمن بضرورة أن يقوم بخدمة عامة ولو على حساب مصلحته الشخصية المباشرة ، فهذا يوسع مفهوم الالتزام أكثر من اللازم وعلى نحو يقلل من فائدته .

نص اجابة الكاتب د. رشاد رشدى
السن : ٦٨ سنة

أتصور أن الالتزام هذا مسألة نسبية ، وتختلف من ثقافة الى أخرى فمثلا التزام الرجل الأوروبى غير الأمريكى غير الصينى غير اليابانى . هذا عن الاطار العام للالتزام وبالتحديد مايحيط من حضارات مختلفة أو ثقافات مختلفة .

كذلك فانه نسبى بالنسبة للفرد نفسه لأنه يمكن أن يلتزم الفرد بقيم معينة يتبين فيما بعد أنها خاطئة أو أنها ليست جديرة بالتزامه ، عندئذ يمكن أن يتبنى قيما أخرى ويلتزم بها . المهم أن يكون الانسان فى كل مرحلة صادقا مع نفسه وليس خاضعا لأية ضغوط خارج نفسه .

والواقع أن مفهوم الالتزام هذا رغم أنه حديث الاستخدام غير أنه قديم فى وجوده وفى حدوثه قدم البشرية ذاتها وسوف يظل أيضا حتى نهاية العالم . لأن أى انسان مهما كانت ثقافته ونسبه وحسبه وفكره ونشأته لابد أن تكون هناك مجموعة من المبادىء والقيم والسلوكيات يرتبط بها بينه وبين نفسه ويحرص عليها حتى وان كان لايعلن التزامه بهذه المبادىء أو القيم أو السلوكيات . فالمسألة اذن خاصة بالشخص نفسه دون تدخل من الآخر والا أصبح الالتزام مجرد الزام خارجى لاقيمة له .

نص اجابة الكاتب د. رفعت السعيد
السن : ٤٨ سنة

الالتزام معركة . فى بلد كبلدنا حيث الموقف نقيض المصلحة الذاتية وحيث كلمة المثقف يمكنها أن تصبح مشنقة أو تصبح بساطا ورديا نحو القمة . حيث يعيش المثقف ان كان مؤمنا بقضية أى قضية تناقضا يوميا بين التزامه نحو « ضميره / موقفه / ايمانه « وبين التزامه » بمستقبله الشخصى / اسرته / أولاده / مصالحه الذاتية » .

ذلك التناقض يتولد يوميا وفى كل لحظة فى مجتمع تسوده علاقات غير حضارية وغير انسانية بين السلطة أيا كانت وبين حق الانسان فى أن يعبر عن التزامه الحقيقى .

وفى اتون هذه المعركة بين الالتزامين يتساقط الكثيرون .. أو يجدون حلا وسطا أو يسكنون أو يبحثون عن مسالك ترضى التزامهم اقصد ضميرهم أو ماضيهم دون أن تخدش القشرة الفاصلة بين رضاء الحاكم وبين غضبه .

ولست أنأى بنفسى عن هذه المعركة فأحيانا اتعرض لتأنيب ضمير مرير المذاق لاننى تجاوزت هذا الالتزام أو ذاك . وأحيانا اتعرض لتناقض آخر ، التزامى بما أؤمن أنه يجب أن يقال وان يفعل وبين مصلحة حزبى ، فكلمة زائدة قد تؤذى الحزب وقد تفسر .. وقد ..

وهكذا يعيش فى داخل كل منا — وربما دون أن يدرى — كمبيوتر يحسب المواقف والتوازنات ولقد تختلف الحسابات لكن الكمبيوتر موجود على أى حال . وستظل دوما — طالما كان سيف السلطة مشرعا وقويا — عاجزين عن أن نقول بما يعتمل فى صدورنا التزاما بوطننا وشعبنا — والبعض يلم جذوره وينتقل بعيدا عن الوطن متصورا أنه « هناك » سيعبر عن التزامه الحقيقى ، دون جدوى ، « فهناك » تملى عليه التزامات الموقع والغربة والاغتراب ، ولن يمكنك ويدك فى الماء البارد أن تلتزم بمن يدهم فى الماء المغلى .

وأنا كواحد يكتب فى التاريخ (فكلمة مؤرخ أكبر منى بكثير) التزم بالحقيقة كاملة . نصف الحقيقة خطأ وكذب . التاريخ يعلمك أن تستخدم كل أجزاء الحقيقة . بعض الأجزاء يتناقض مع موقفك أو التزامك أو حتى تصوراتك قبل أن تبدأ الكتابة .. ولكن ان كنت صادقا مع نفسك خض ضدها معركة الالتزام بالحقيقة الكاملة . هذا الدرس اتعلمه يوميا وانا اكتب التاريخ .. وأنا أقرأ انصاف الحقائق التاريخية فى كتابات البعض فأحس أنها خدعة لأنفسهم قبل أن تكون خدعة للقارىء .

كرجل عادى — يعيش، يحب، يأكل ويشرب، يربى أولاده ليكونوا أفضل منه التزاما بما اعتقد أنه صواب ..أعلم نفسى ذلك وأخوض معركة مع نفسى فى كل ثنية من ثنيات الحياة ومع ذلك .. أحيانا عندما أجد فرصة احضر فيها بئر الذاكرة واجلس مع نفسى احاسبها اكتشف أن « الكمبيوتر » هو

عادة جهاز خادع انه « دش » ينظف المواقف مما فيها من شرف حقيقى ثم يحاول أن يكسوها بطلاء زائف يرضى الخير والشر معا .

فهل من حيلة ..

نعم .. ان تلتزم بالصدق فى الموقف .

والموقف هو موقف الوطن والشعب والناس البسطاء الذين لايعرفون السبيل الى الالتزام بالدفاع عن مصالحهم .

ان نقول مانعتقد . ولو مرة .

أن نعود الى قولة شبلى شميل التى اطلقها فى نهايات القرن التاسع عشر وهنا فى مصر « الحقيقة ان تقال لا أن تعلم » .

انه يضعفنا .. فما قيمة أن تعرف الحقيقة اذا لم تجرؤ على القول بها .. ونسلى انفسنا أحيانا ونمنحها الصبر قائلين اننا على أية حال أفضل من غيرنا .. ومع ذلك تظل ضمائرنا تؤنبنا .. هذا ان وجدت الفرصة لذلك .. أو وجدت هى بذاتها .

نص اجابة الكاتب د.زكى نجيب محمود
السن : ٧٧ سنة

نبدأ بمفهوم الالتزام : أول ماينبغى ملاحظته أن « الالتزام » من حيث اللغة ومن حيث الواقع هو علاقة بين المرء ونفسه . بمعنى أنه هو السائل والمسئول ـــ فحين يلتزم انسان خطا فكريا معينا أو خطا سلوكيا معينا ، فلابد أن يكون قد سبق ذلك عقيدة عنده عن تلك الفكرة أو عن ذلك السلوك . أنه هو الصواب . هنا تنشأ مشكلة العلاقة بين الفكرة (المعتقد) فى صوابها وبين حقيقة تلك الفكرة من الناحية الموضوعية هل هى حقا صواب كما أعتقد ، وأقول هذا لأفسر مايحدث فى كثير جدا من الأحيان ، ان يغير المرء الملتزم فكرته التى يلتزمها بفكرة أخرى يلتزمها أيضا . ومع ذلك لاينبغى أن يؤخذ عليه فى مثل هذه الحالة أنه تنكر لالتزامه . ومن هذه المقدمات أصل الى النتيجة التى أجدها تعبر عما أراه عن ناحية الالتزام ومعناه وهى أن الالتزام هو التزام أمام العقل على افتراض ان الفكرة الملتزم بها هى التى قد رضى العقل عنها لصدقها ، فاذا تكشف لهذا العقل نفسه أن فى الفكرة جانبا مخطئا واستوجب ذلك تعديلها فلا يقال عندئذ الا أن العقل لايزال هو العقل يصحح نفسه بنفسه ثم مايزال الملتزم أمام العقل ملتزما أمام العقل ، مادام التغير الذى يطرأ على الأفكار تغيرا قد أملاه العقل فى جميع حالاته .

وأضرب مثلا من حياتى الفكرية . فقد كنت حتى سنة ١٩٥٦ غير مؤمن بالوحدة العربية بين مصر وسائر الأقطار العربية . وكنت أعتقد أن مصر تختلف من حيث ثقافتها وأخلاقها وطريقة فهمها للعقيدة الدينية وحضاراتها ... الخ مما يميزها عن سائر العرب ، ولقد كتبت فى هذا الاتجاه أكثر من مرة ولكن حدث فى عام ١٩٥٦ ماجعلنى أرى رأيا آخر اذا اعتقدت منذ ذلك الحين أن العروبة لا هى جنس ولا تاريخ وانما هى ثقافة ثم اعتقدت منذ ذلك الحين وحتى هذه الساعة أن جذور الثقافة العربية التى هى روح ما نسميه بالعروبة متمثلة فى المصرى تمثلها فى سائر الأقطار العربية حتى وان اختلفت الدرجة . فالجوهر واحد . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد رأيت منذ ذلك الحين وحتى هذه الساعة أن مصر تستطيع أن تعبر عن مصريتها بشكل أقوى وأوضح اذا كانت جزءا من الأمة منها اذا انفردت وانعزلت .

أما عن أبعاد الالتزام فاننا لابد أن نأخذ فى اعتبارنا أن هذا المعنى العام للالتزام بمعنى أنه التزام أمام العقل ومايراه صوابا قد يتفرع تفريعات يختلف بعضها عن بعض من حيث الشكل باختلاف الميادين الفكرية والثقافية ، لأن التزام الفنان يختلف نوعا ما عن التزام الفيلسوف أو عن التزام العالم أو عن التزام الأديب . وهكذا . لأن مفهوم « العقل » وان يكن هو أساس الالتزام بصفة عام لا يثبت أو لا يثبت على صورة واحدة من حيث الظاهر فى تلك الميادين المختلفة . فالعقل عند العالم التجريبى مثلا هو أن يستدل القانون العلمى من المعطيات التى بين يديه ، فالتزام العالم معناه أن يعلن الحق الذى انتهى اليه . ودون أن يدخل عواطفه وميوله فى مثل هذا الالتزام . انه التزام بالحق كما هو . ولكن لننظر مثلا الى فنان

كالمصور أو أديب كالشاعر فليس الالتزام هنا هو وصول الى حق يجب أن يعلنه ، لأن الجانب الذاتى فى هذه الحالات يتدخل ، ويصبح فى هذه الحالات هو التزام الصدق مع نفسه . فلا يفتعل لوحة أو قصيدة لتأخذ الشكل الذى يرضى سواه ولهذا فنحن نفترض أن الصدق الفنى قريب من حيث طبيعته بالصدق العقلى بالرغم مما بينهما من الاختلاف المنطقى . وأن الصدق العقلى مشترك بين الناس ولأن الصدق مع النفس قد لايشترك فيه أحد مع صاحبه ، ومع ذلك لابد أن يلتزمه .

ولنأخذ مثلا أو بعدا آخر للالتزام ، وهو الالتزام الدينى أو العقائدى بصفة عامة سواء أكانت دينية أو مذهبية ففى مثل هذه الحالة تختلف صورة الالتزام من حيث الشكل الظاهر وان لم يمس جوهر الاساس الذى ذكرناه . وذلك لان الملتزم فى هذه الحالة لا هو التزام العالم فى معمله ، يعلن النتيجة التى وصل اليها هو . ولا هو ملتزم التزام الفنان أو الأديب يعلن ما وجده فى نفسه اعلانا صادقا . بل هو التزام بما أوحى اليه فأعتقد فى صوابه . فعندئذ يكون التزامه عن عقيدته . الا اذا تبين ما يوجب تصحيحها فيكون الالتزام هو أن يساير هذا التصحيح ، واضرب مثلا آخر من حياتى الفكرية : فقد اعتقدت منذ زمن طويل أن الذى ينقصنا فى حياتنا بصفة اساسية هو منطقية التفكير عندما يكون الموضوع المطروح مما يخضع للتفكير المنطقى فحملت أمام نفسى مسئولية الدعوة الى عملية الفكر الاعتقادى أنها لم تكن راسخة فى نفوس الناس بالقدر الكافى وكانت دعوتى تلك كثيرا مايخالطها شىء قد يوهم بضرورة غض النظر أو اهمال العاطفة وجوانب الايمان بصفة عامة . فرأيت منذ فترة من الزمن ان اكمل الصورة كما اراها . وأخذت اكتب مايدل على أنه لابد للانسان من التوازن بين الجانب العقلى والجانب الوجدانى دون ان نخلط بينهما، فتدخل هذا فى ذاك وذاك فى هذا، لقد أدخلت هذا التعبير ولا أحسب أنى تنازلت عن الالتزام الذى التزمته بهذه الاضافة . أى أن الانسان مع مايعتقده صوابا بعقله أو صادقا مع نفسه .. وهذا هو مدار الالتزام .

نص اجابة الكاتب طارق البشرى
السن : ٤٨ سنة

أتصور أن الالتزام ينطوى على نوع من الضبط الذاتى ، أى الاتساق بين مجموع القيم والمعتقدات التى يؤمن بها الفرد ، وبين مجمل تصرفاته وسلوكياته . بمعنى أن الانسان يجرى تصرفاته وفق ضوابط يحددها له مااستقر فى نفسه من معتقدات وقيم فالالتزام صلة بين الفكر والسلوك ، أو مايسمى القول والعمل .

وأتصور أن المصدر الأساسى للضوابط النفسية هذه يرد من خارج الذات أى من التلقين مجموعة القيم والأصول السلوكية التى لقنت للفرد منذ الصغر . وللتلقى فى الصغر مصدران فيما يبدو لى ، مأأدركه الضمير فى بدايات وعيه وتفتحه من سلوك المعايشين له الكبار ، ومدى مراعاة هؤلاء للتلاؤم بين القول والفعل ، وأسلوبهم فى التعبير عن أنفسهم من خلال التصرفات العملية . والمصدر الثانى ، هو ماتلقاه الصغير من أقوال ومأثورات وحكايات . وكذلك ماعومل به الصغير من ثواب وعقاب على تصرفاته المتباينة . ولا أقصد الثواب والعقاب الماديين وحدهما ، فقد يفضى كلاهما الى عكس النتيجة المبتغاة اذا وقعا لدى الصغير موقع التعارض مع مايتلقاه من قناعات . ولكن اقصد ما يصادف تصرفات الصغير من تعبيرات الرضا والغضب من المحيطين به ، وهذه تبدو فى تصورى أكثر تلقائية بالنسبة للمحيطين بالصغير وأفعل فى نفسه من غيرها .

وأتصور أن الدين يلعب دورا من أخطر الأدوار فى تشكيل البنية الذاتية للانسان ، وما يصدر عنه من ضوابط للسلوك بعد ذلك . وهو مصدر هام من مصادر الالتزام ، لأنه يهتم جدا ببناء هذا الجزء من الذات الذى تتحقق به الصلة بين المعتقد والسلوك . انه يوجه اهتمامه الى السلوك الفردى جنبا الى جنب مع اهتمامه بترسيخ المعتقد . وهو يوجب قيام الرابطة بين العقيدة من حيث كونها تشير الى وجود غيبى موضوعى ، وبين السلوك من حيث هو أسلوب الاستجابة لأوضاع البيئة الاجتماعية .

وهمزة الوصل بين هذين الأمرين هو الضمير . فالضمير معيار أو مقياس داخلى ، جهاز للرقابة الذاتية الداخلية ، هو احتكام ينبعث من الداخل ، وهو يستمد وظيفته المتحكمة من الاقتناع الدينى بصلة النفس الانسانية بالوجود الغيبى الموضوعى ، ومن فكرة رعاية الله للنفس وملاحظته لها ومن ثم يصير « الداخل » مفتوحا ومتصلا بالوجود الغيبى ، وتصير النفس مع كونها مكنونة ومستورة ، تصير مأهولة أنيسة ، أى ليست صماء ولامتغلقة موحشة . فأنت وحدك ولكنك لست وحيدا ، وتتصل قيمك بسلوكك فى مجال بصير ولايقوم فى النفس مجال خفى يمكن أن تنفصل فيه العلاقة بين المعتقد وبين السلوك ودوافعه . والسلوك هو المعبر بين المعتقد والقيم الداخلية ، وبين البيئة الاجتماعية الخارجية . وربط القيم الداخلية بالسلوك هو مايمكن من الافصاح عنها وتحققها فى البيئة الاجتماعية . وهو الذى يولد القدرة

على مقاومة الضغوط القائمة فى البيئة الاجتماعية والمعارضة لهذا المعتقد والضاغطة عليه . وان أحكام هذه العلاقة الداخلية بين المعتقد والسلوك هو مابه يتحول المعتقد الى وجود خارجي اجتماعى .

وأتصور أن الالتزام من حيث هو توافق بين المعتقد والسلوك ، يقوم فى علاقته بالخارج أى بالبيئة الاجتماعية المحيطة ، يقوم على عملية ، لا اسميها « صراعا » وان كان فيها من معناه ، ولكن اسميها دفعا أو مدافعة ، وهنا يظهر الاحتكاك المستمر والامتحان اليومى الذى لاينتهى أبدا ، الالتزام مدافعة مستمرة ، يحتاج الى كل ماتتطلبه المدافعة من مقاومة واقتحام ، ومن كر وفر ، ومن محاورة والتفاف . يحتاج دائما الى حركة ونشاط وبصر وفطنة ومراجعة وصدق وقلق ومجادلة . وفيه دائما من حركات التحدى والتحقق ومن التشبث والتغيير .

وصورة الالتزام فى ذهنى لاتشبه آلة صماء تقتلع أو تتحطم وتقتحم أو تتراجع بذات الرقابة ولكنها تشبه الموج يتتابع ، بعضه يقوى وبعضه يضعف ، بعضه ينكسر وبعضه يغمر ويفتت ، بعضه يضرب وبعضه يترقرق . وذلك كله حسب قوة العقيدة التى يصدر عنها وحسب قوة المقاومة التى يواجهها، وحسب التنوع الهائل فيما يواجه الانسان من أمور وظروف .

كتبت ماكتبت هنا محاولا أن أصور عن مطالعة ذاتية لما أتصوره أنا من معنى الالتزام ، أى لما يوحيه لفظ الالتزام عندى من تصورات ذاتية .

نص اجابة الكاتب عادل حسين
السن : ٥٠ سنة

١ ــ مفهوم الالتزام :

أى انسان فى أى مجتمع يتقيد فى سلوكه بعدد من المبادىء أو القواعد ولكن هذا الاقرار فضفاض ، وأوسع كثيرا من مفهوم الالتزام الذى نسعى الى تناوله هنا . فهذا التعريف تدخل فى نطاقه محاولة فرد ما التكيف أو التلاؤم مع نسق المبادىء السائدة فى مجتمع معين فى لحظة تاريخية معينة ، وليس هذا مقصدنا ، وقد يدخل فى هذا التعريف أيضا تقيد انسان ما بمبادىء تحقق منفعته الشخصية المباشرة ، « تعظم اللذة وتقلل الألم » ، وليس هذا نوع الالتزام الذى نعنيه .

الالتزام المقصود هو حالة انسان يلتزم فى قيمه وسلوكه بعدد ، وبنوع ، من المبادىء رغم أنها لاتحقق له (أو لذويه الأقربين) منفعة مادية مباشرة (بل وقد تحقق ضررا) ، ورغم معارضة أقسام واسعة من الوسط الاجتماعى لهذه المبادىء .

٢ ــ مضمون الالتزام :

عند مستوى عال من التجريد . نقول ان الانسان الملتزم يلتزم بمبادىء يتصور صاحبها أنها تفضى الى ظروف نفسية ومادية أفضل للجماعة هذا هو المضمون العام للالتزام الذى يكتسب فى الواقع ــ أى عند مستوى أقل من التجريد ــ أنماطا وأشكالا متنوعة . فقد يكون التزاما بانشاء وادارة ملجأ للأيتام ــ بإقامة مشروع تعاونى أو نقابى ــ بنشر التربية الدينية ــ بالدفاع عن الحريات وحقوق الانسان ــ بالمشاركة فى نضال سياسى من أجل تغيير كلى أو جزئى على مستوى المجتمع ــ الأمة ... الخ .

وواضح أن النمط المعين للالتزام يحدد مجال الحركة للانسان الملتزم ، فيكون هذا المجال : القرية ــ الحى ــ المصنع ــ قوى أو شرائح اجتماعية بعينها ــ الوطن ــ الانسانية ... الخ . وقد يتغير المضمون المحدد لالتزام الفرد ، وقد يتغير مجال حركته الملتزمة ، حسب تطور مفاهيمه أو حسب تطور ظروف البيئة المجتمعية أو الاجتماعية التى يتحرك من خلالها .

٣ ــ درجة الالتزام وكفاءته :

أيا كانت المجموعة المحددة من المبادىء الملتزم بها : فان صاحب هذه المبادىء يبذل ــ كما أوضحنا ــ جهدا ووقتا ومالا فى هذا السلوك أو النشاط الذى لايعود عليه بنفع خاص . وأهم من ذلك أن مضمون المبادىء نفسها يلقى رفضا أو نفورا من قبل عديد من الأفراد المحيطين أو من القوى الاجتماعية المؤثرة . ولذا يواجه الانسان الملتزم ضغوطا وعوائق تتفاوت فى حدتها ومداها حسب الحالة .

وقد تصل ضراوة المعارضة لسلوكه الى الايذاء البدنى أو القتل . ويتحدد مستوى المعارضة بطبيعة النشاط وأثره ، وبطبيعة النسق العام الذى يجرى فيه هذا النشاط ، وعبر هذه المواجهة تتحدد درجة الالتزام وتتحدد كفاءته أيضا . فالأفراد الملتزمون تتفاوت درجة تمسكهم بمبادئهم ازاء استمرار المعارضة لسلوكهم أو تصاعدها الا أن الملتزم ليس فى موقف الدفاع دوما وبالتالى فان معايير تقييمه لاتقف عند امتحان صموده فى احتمال المكاره . فهو مطالب بتسوية مبادئه وهو مطالب بهزيمة معارضيها ، وقد يكون امتحان التزامه عند الانتصار أشد قسوة من امتحانه وهو فى موقف الضعف والانكسار .

وفى الحالين ، فان درجة الالتزام العالية تتطلب فى الوقت نفسه كفاءة عالية فى السلوك الملتزم لتحقيق الهدف . ويتضمن ذلك أن درجة الالتزام العالية لاتتناقض مع ، بل أنها تتطلب ، اليقظة والمرونة فى السلوك الملتزم . ومع ملاحظة أن المرونة تعنى هنا أساسا اختيار الوسائل الملائمة لتحقيق المبادىء الملتزم بها ، ولكن من واجب الانسان الملتزم ان يخضع مبادئه نفسها للفحص والمراجعة فى ضوء خبراته وتطوراته الفكرية أو تطورات الظروف الموضوعية . وكل هذا لايسحب منه صفة الملتزم ، طالما أن جوهر موقفه لم يتبدل ، أى طالما أنه يلتزم أو يسعى للالتزام بنسق من المبادىء يتصور أنها تفضى الى ظروف نفسية ومادية أفضل للجماعة ، عند أى مستوى يختاره للجماعة . وأعتقد أن هذه المرونة وهذا الاستعداد للتجدد هو الذى يجعل الالتزام من علامات الصحة النفسية ، ومن عوامل التطور الاجتماعى نحو الأفضل ، وهو الذى يفرق بين حالة الالتزام وحالات التعصب أو التصلب .

٤ ـــ مولدات الالتزام :

التفاعل بين مكونات النسق الاجتماعى مسألة طبيعية ، بل هو دليل الحيوية والقدرة على التطور . وهذا التفاعل مولد للالتزام ومحدد لمضامينه المتباينة ، كما أن أصحاب المواقف الملتزمة يؤثرون تأثيرا أساسيا على مسار هذا التفاعل ونتائجه . فى مجتمع كمجتمعنا على سبيل المثال ، يمثل الغزو الحضارى الغربى ، بما يتضمنه من انتهاك لقيم ترتبط بشخصية المجتمع كأمة مشكلة تاريخيا . تحديا يولد موقفا ملتزما معينا (على مستويات مختلفة من العمل الاجتماعى وبدرجات متفاوته من الالتزام) ومن ناحية أخرى ، فان وضوح الحاجة الى ادخال مبادىء جديدة فى النسق الاجتماعى يمثل تحديا يولد موقفا ملتزما من نوع آخر . وبين هذين النمطين المتتاليين توجد أنماط بينية (توفيقية أو تركيبية) تولد بدورها مواقف ملتزمة . ولكن يلاحظ أن ظروف المجتمع وتفاعلاته معروضة على كل أفراد المجتمع ، فلماذا تقتصر الاستجابة (الالتزام) على بعض النفوس دون سواها ؟ ان هذا يعنى بطبيعة الحال أن مولدات الالتزام لاتوجد فقط فى البيئة الاجتماعية ، ولكن أيضا فى التركيب النفسى الخاص ببعض الأفراد . وأعتقد أن هذا التركيب النفسى الخاص لايكتسب . قد تعمل عوامل خارج النفس أو داخلها على تنمية هذا الاستعداد الخاص أو اضعافه ولكنها لاتنشئه . ويرتبط بهذا أن موقف الالتزام ليس اختيارا عقليا للانسان الملتزم ، العقل له أثر واضح فى تحديد مضمون الالتزام ولكن ليس فى تقدير أن يكون الشخص ملتزما أو غير ملتزم . العقل عند فرد ما قد يدرك المضمون النبيل أو المفيد أو العلمى للمبادىء التى يلتزم بها

آخرون ولكنه غير مسؤول عن تحويل هذا الادراك الى قرار بالالتزام الحسابات العقلانية الرشيدة قد تثبت أهمية مبادىء معينة للجماعة ، ولكنها تثبت أيضا ان الالتزام بهذه المبادىء يجلب المتاعب للانسان الفرد الذى يحملها ، وتقبل هذه المتاعب مسألة لايقررها العقل لصاحبه ، ولذا فان التركيب النفسى الخاص للانسان الملتزم لايحمل غلبة للعقل وحساباته الباردة (وان كان يتضمن ذلك) ، ولكنه يحمل غلبة « القلب » أو « الضمير » أو « الانا الأعلى » .. الخ وكلها مصطلحات غامضة (دينية ــ صوفية ــ ميتافيزيقية) تشير الى هذا المكون الذى يتضخم لدى بعض الأفراد لأسباب غير معروفة ، (أو غير علمية ؟) غلبة هذا المكون تولد الاستجابة الخاصة لدى البعض لتفاعلات اجتماعية معينة ، أى تولد الالتزام ، وتولد الحساب القاسى للنفس فى حالة الحيدة عن هذا الالتزام .

نص اجابة الكاتب د. عبد العظيم أنيس
السن : ٦٠ سنة

الالتزام عندى هو التزام قبل الشعب أى قبل مصالح هذا الشعب أى الغالبية الساحقة منهم ، من الفلاحين والعمال والمثقفين . أو بمعنى آخر من الطبقات المنتجة .. المشاركة بالفعل فى الانتاج . وأيضا الفئات المدافعة عن هذا الوطن .. الجنود مثلا . هذا بشكل عام للالتزام عندى . أى التزام قبل جماهير الفقراء فى مصر . هذا الالتزام هو فكرى أولا وهو أيضا التزام سياسى . التزام فكرى بمعنى : أنه شغلنى منذ أول فترات صباى . التفكير فى شيئين : كيف يمكن أن نفسر الأوضاع فى مصر فى الثلاثينات والأربعينات. وهى أوضاع سيئة جدا. ولعل هناك منهجا فكريا للوصول الى حقيقة هذا الوضع . وعندئذ كان هناك احتلال أجنبى . فقر مدقع . ثم فئات أجنبية ومصرية فى قمة الثراء . وغالبيتهم لايبدو أنهم كانوا مدركين أن هناك شعبا فقيرا . هذه كانت نقطة الانطلاق . وهذا أدى الى الاحساس بضرورة الالتزام بالعمل السياسى . وأنا أصلا نشأت فى جذور شعبية . وكانت عائلتى وفدية . وفى هذه الأحياء كانت هناك فكرة التضامن بين الناس كان هذا أساسيا . وبالتالى كان الانسان لايحس باغتراب فى مثل هذا الجو ، ولكن على الرغم من أن ذلك فى حى صغير ، هذا الجو جعل مفهوم الالتزام أسهل تقبلا له مما لو كان قد نشأ فى مجتمع شديد الفردية ومتسم بالعزلة عن بقية البيئة . هذا بالاضافة الى أن عائلتى كانت وفدية وكان الوفد يدافع عن مصالح الفقراء .

هذا شىء وشىء آخر هو أننا نشأنا فى فترات المعارك الشديدة . تفتحنا على المعارك حول الدستور .. الجلاء .. ولم يكن هذا سماعا نظريا وانما كانت تموج بها حياتنا .. بل كانت ممارسة يومية وشىء غير مفتعل . كل هذه كانت دوافع الى الالتزام السياسى والاجتماعى . ولايمكن تجاهله .

أيضا النشأة الفقيرة جعلت الانحياز الطبقى يصبح الى جانب الفقراء .

هناك نقطة أخرى : العلاقة التى تنشأ بين الطفل وأبويه . وأنا صلتى بأمى بالذات أثرت .. هى كانت انسانة ليست متعلمة ولكنها كانت ذات قيم شريفة .. وكنت متعلقا بها جدا .. وكان لى منها معاملة خاصة . وأعتقد أن هذا كان من عناصر التأثر بهذه القيم الانسانية الشريفة . واذن طبيعة العلاقة التى كانت بينى وبين أمى كان لها تأثير كبير على ارتباطى بمفهوم الالتزام .

نص اجابة الكاتب عمر التلمسانى
السن : ٨٠ سنة

الالتزام كلمة عذبة المنظومة ، ضخمة المحتوى ، شاملة المفهوم ، سعيدة المؤدى ، وكمسلم فحديثى عنها من وجهة اسلامية محققة ، قد لا أتطرق الى غيرها من الآراء والنظريات والمعتقدات .

الالتزام أن تقيم نفسك على وجه الدوام والاستقرار بما رضيت لنفسك أن تلتزم به عن طواعية واختيار ورضاء بعد اقتناع كامل ويقين راسخ .

وما ذلك من عندى ، ولكنها تعاليم الدين الذى آمنت به ، واسترحت اليه ، واطمأنت نفسى الى أصوله وفروعه . لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضح لنا هذا بقوله (الايمان هو ماوقر فى الصدر وصدقه العمل) فالتزامنا الاسلام لايكفى فيه المنطق بأنها دينية ، ولكن لابد من عمل ، يدل دلالة لاتقبل الشك على أنك ملتزم بهذا الذى استقر فى خاطرك . اذ أن الانسان اذا ما اعتنق دينا أو رأيا أو فكرة ، فلابد وأن يبرهن للناس على أنه ملتزم بمقتضيات هذا الذى آمن به من اراحة هذا الالتزام أو اتيانه بل ولو أضناه . ويستلزم هذا أن تكون ابعاد هذا بعيدة الآماد وبلا حدود .

فالمسلم يرى أن كل تصرفاته فى شتى ضروب الحياة ، ما صغر منها وما كبر ، خاصة لما آمن به من عقيدة ، لايشذ عنها يمنة ولا يسرة ، والا كان متناقضا مع نفسه ، غير موف أى غير ملتزم ، بتعاليم تلك العقيدة ، ان الالتزام تكاليف ثقيلة ، وطاعة لا حد لها فى أداء ما أمر به ، وهجر مانهى عنه ، يجد فى ذلك راحة نفسية مسعدة ، ان أدى ما عليه نحو ربه ، نحو مجتمعه ، نحو أمته ، نحو الانسانية كلها والبشر أجمعين نحو نفسه كذلك . كل ذلك فى وضوح لا لبس فيه ، وشجاعة لاتردد معها ، وجرأة لاتخشى الناس مهما كانت أوضاعهم .

الالتـــزام

ولايرهب التضحية بكل شىء فى حياته ، ولو اقتضاه هذا الالتزام بذل روحه سخيا بها فى سبيل ما التزم به .

ان المسلم يجد سعادته فى التزامه سرا وعلانية . فمن طبيعة غير المسلم ، انه اذا وجد مصلحته فى أمر ، قد يخالف ما أخذ نفسه به ، ويأتيه الرقباء وسطوة القانون ، فانه يقدم على ذلك غير متردد ولامتلبث أما المسلم فان التزامه دين ، أو من مقومات هذا الدين وهو يعلم أن الله معه فى كل أحواله ، فلن يقدم على المخالفة خشية حاكم ، أو لوم لائم ، ولكنه يرى تمام طاعته فى التزامه ، والا فأين المفر ممن يعلم السر واخفى ، هذا اذا كان مسلما يطلب الجنة ويأمل الثواب ، وهناك التزام اسمى من هذا ، وهو

اداء الأمر دون طمع فى ثواب أو خوف من عقاب ، ولكن ابتغاء وجه الله فقط ، وطاعة لمطلق الطاعة فقط ، وهذا منتهى مبتغاه .

والالتزام يقتضى من المسلم أن يكون قدوة للناس فى كل مايقول ويفعل ، حتى لايقع التناقض ، فتهتز قوائم الالتزام ، وينفر المنصفون منه ، لأنه لايبدأ بنفسه ثم بمن يدعوه ولاضرب مثلا لذلك ، سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام عندما أصبح هو وبنو اسرائيل محاصرين بين البحر وبين فرعون وجنوده ودخل اليأس قلوب بنى اسرائيل ، فقالوا « انا لمدركون » ولكن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام نبى مرسل ، فأجاب الاجابة التى تتفق والتزامه بمقتضيات رسالته وقال « كلا ان معى ربى سيهدين» وكانت النتيجة أن أوحى اليه ربه الذى يلتزم طاعته « فأوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق » وهنا سر الاستشهاد بهذه الآية فى مجال الالتزام . ذلك أن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام عندما أمر بضرب البحر بعصاه ، لم يتردد ولم يتساءل عن العلاقة بين الخطر الذى يتهددهم وبين ضرب البحر بالعصا . ولكنه نفذ الأمر فور صدوره من غير تعجب ولاتردد ولاتساؤل ، فكانت النتيجة انفلاق البحر ونجاة بنى اسرائيل وفى الآية ايجاز بالخوف ، اذ كان المفروض أن يقال فأطاع موسى عليه السلام الأمر ، ورفع عصاه وضرب بها صفحة البحر فانفلق ، ولكن كل هذا أضمر للدلالة على تمام الطاعة والخضوع لأوامر العلى العظيم .

وعند المسلمين الالتزام مرادف لكلمة الخضوع ، حتى أصبح التعبير الشائع بين المسلمين هو الخضوع للذات العلية اكثر من كلمة الالتزام . لأن المسلمين رأوا أن عزهم ومجدهم وقوتهم فى هذا الخضوع الكامل . لأن الذى يخضع للقوى القادر ، يتحرر من كل آثار الذل لغير الله . معنى تحقق المسلم بجلاء خضوعه لله ، فقد ساد الناس جميعا ، لقد أصبح لايخشى أحدا الا الله وحده ، لتبينه بأن ربه هو الغفار النافع ، فما عاد لاحد عليه من سلطان . وهكذا تكون نتيجة الالتزام أو الخضوع هى الاستمتاع بالحرية الكاملة فى حدود الأمر والنهى .

من هذا المفهوم نرى أن المسلم على حال واحد ، عند الأمن أو عند الخطر ، ولايتغير التزامه أو خضوعه بتغير الظروف والأحوال والملابسات فحركته التزام ، وسكونه التزام . اذا قيل له أقبل ، أقبل بكليته خنوعا لامر ربه ، يقبل ولو كانت صعاب الدنيا وأهوالها سدودا فى طريقه ، وعقبات تحول وتنفيذ الأمر ، وهذا الفارق الواضح من الالتزام عند المسلمين وعند غيرهم . فغير المسلمين يزن الأمور بعقله فقط، فان ثبتت لديه المصلحة أقدم، وان ترجحت لديه الخسارة أحجم، وليس هذا فى مجال الالتزام من شيء . أما المسلم اذا مادعاه داعى دينه الى أمر ، فمطلوب منه كذلك أن يستعمل عقله ، على شريطة ألا يجعل حكم العقل هو الفيصل ، ولكنه مع استعمال عقله تتدخل عاطفته الدينية وحبه لربه ، فيتفاعل الأمران ليصلا الى نتيجة واحدة ، هى الالتزام أو الخضوع ، فلا يقيم وزنا ، لتيقنه بأن وراء تقديره تقديرا أعظم وأضخم ، وأكبر وأحكم ، فهو لايلوى على شيء ، اثباتا لأنه ملتزم وخاضع . اما ما يبدو من الناس فى التزام حين تم العدول عنه الى غيره أو نقيضه ، فما ذلك الا لأنهم يفتقدون سر

الالتزام الاسلامى النبيل ولو أنهم أتوا فالتزموا ، لنجت كل التزاماتهم من التناقض والتنافر .

أخلص من كل هذا ، التزاما بعدم التوسع والاستطراد ، الى أن الالتزام الصحيح بمنطوقه ومحتواه ، ومفهومه ومؤداه ومقتضاه ، لايوجد الا فى الاسلام ، لأنه مبنى على عقيدة قامت أول ما قامت على الخشوع لرب العالمين ، والالتزام بأوامره والخضوع لتعاليمه وتوجيهاته وبغير ذلك فلن يكون اسلام . أى ان المصلحة الشخصية ، والظروف والملابسات ، لادخل لها بالمرة فى التزام المسلم ، لأنها كلها تتجمع وتتكتل وتتوحد فى وعاء واحد لاثانى له ، هو أن الخير كل الخير فيما أمر الله أو نهى ، فلا محيص من الالتزام أو الخضوع .

وانى وان كنت معتقدا أن هذا الايجاز لايفى بما أريد ، ولكن التزامى بأن اكتب من نصف صفحة الى صفحة حدد لى الوضع ، رغم أن السائل اباح لى اكثر من هذا الحيز ان تفضلت . وما كنت فى حياتى متفضلا على أحد ، فما أثقل التفضل على النفس ، اللهم الا اذا كان التزاما لامر الله أو خضوعا للكبير المتعال . وأخيرا فالالتزام أو الخضوع الحق فى الاسلام يتمركز فى هذه الآية الكريمة « قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

نص اجابة الكاتب فتحى رضوان
السن : ٧٢ سنة

أولا : أحب أن أصارحك بأننى لم أفكر مطلقا فى الالتزام سواء كان ظاهرة عقلية أو نفسية أو خلقية . وأشكرك اذ جنبت الالتزام عن أنواع مختلفة من السلوك تشبهه وان كانت ليست هى الالتزام ، كانبعاث نفسى راجع الى طبيعة الفرد وتكوينه الداخلى وتراثه الشخصى ، أى تراكمات تجاربه هو بالذات لا تجارب المجتمع المتمثل فى عائلته وفى المجتمع الصغير الذى يعيش كمدينة أو قرية . ثم المجتمع الانسانى العام . أنا كنت أولا اعرف شيئا واحدا هو الايمان . وكنت اعتبر أن الايمان هو الذى يربط الانسان بأشياء معينة ، وأنا استعمل كلمة اشياء لتشمل المعتقدات والمواقف ازاء المجتمع مطلقا ، وازاء السلطة بصفة خاصة . وأنا أعنى بالسلطة الحكومة والهيئات التى تبتغى الاحترام من الناس كرجال الدين ، وكبار الشخصيات العامة فى مختلف الاتجاهات ، وكان الايمان فى نظرى هو المحرك الأساسى للانسان فى المسائل الكبيرة والمسائل الصغيرة معا . وبما ان الايمان حركة ذات جوانب متعددة فهى حركة عقلية ، ثم حركة نفسية ، ثم حركة تقليدية وأنا دائما اعتبر أن الايمان لايمكن أن يكون الا كاملا . فاذا لم يصل انسان الى حد الاقتناع الكامل بفكرة ما ، بمعنى أن تخلد صلته بهذه الفكرة من أقل نصيب من الريبة أو الشك ، لم يكن هذا ايمانا ، وانما يكون اقتناعا ، تقديرا . فاذا ما ملأت الفكرة نفس الانسان واستولت على كل حواسه وقواه النفسية الرفيعة وأصبح لايطيق أى تحفظ بالنسبة لها . عندئذ يبلغ الانسان درجة الايمان . ولى مقالات تعلق على ماجاء فى القرآن من آيات ورد فيها مثل « زدناهم ايمانا » وشاركت فى البحث الذى يقوم به فقهاء المسلمون حول هل الايمان يزيد وينقص . فكان رأيى أن الايمان لايكون الا كحالة امتلاء الاناء الى حافته . بحيث لايحتمل أية اضافة ولو قطرة ماء ، وبحيث اذا نقص هذه القطرة لم يصبح ايمانا . وان بدا للناس أنه ايمان . اذ بمقدار نقص القطرة يمكن أن يختلط بماء الاناء مواد أخرى . فلا يكون اناء صافيا أو سائلا صافيا . وانما يصبح مزيجا من مواد مختلفة .

وبهذا الوصف كنت أرى أن الايمان أقوى القوى التى تجعل الانسان ملتزما . هذا الايمان كان هو الدافع الدائم والملح للانسان لأن يلتزم مايقتضيه هذا الايمان . اذا الالتزام هو ثمرة الايمان . وبما أن الايمان فى رأيى ليس حركة وجدانية ولا حركة نفسية ولا حركة عقلية وانما هو تمزيج من كل هذا وهذا هو سر قوته. وقد لايحس المرء بهذه العناصر الثلاثة لامنفصلة ولامتتابعة. ولأضرب مثلا فالحب المادى هو العشق وكنت اسمى الايمان هو الجنون أو جنون العقلاء . وهنا نعود الى الآية الكريمة « وزدناهم ايمانا » فأنا أقول أنا أرفض هذا . ورفضى قائم على أن الزيادة فى الايمان ليس مردها الزيادة فى الايمان داخل نفسه وانما هى فى الوعاء الذى يحتوى الايمان وهو النفس الانسانية . هذه النفس قابلة للاشباع والنمو . فاذا كان لديك اناء يحوى لترا من الماء فأنت قادرة على أن تكونى مالكة لعشرة لترات من الماء لأنك استطعت أن تحصلى على اناء كبير . فالنفس الانسانية تجربة والتعليم وسن يوسع فيها فيصبح ايمانها من درجة أعلى .

نص اجابة الاديب فتحى غانم
السن : ٥٥ سنة

أنا أوافق على أن الالتزام هو تعهد من النفس للنفس ، لأنه معنى يرتبط بمفهومى عن الالتزام فى الفن ، وهو الالتزام الذى حرصت عليه ، لأنه ربما يدخل فى اهتمامك أن تتعرف عليه من خلال تجربتى العملية . فاشتغالى بالفن والرواية فهو قرار اتخذته منذ كنت فى الثالثة عشرة ، وكان هناك دخل كبير لأبى فى اتخاذ هذا القرار ، لأنه توفى وأنا فى هذه السن . وقد مات وهو مشغول بتأليف كتاب ، جان دارك فى سبيل الوطن وبعد ان نشر الكتاب بحوالى سنة أو أقل كان قد توفى . هذا جانب من الجانب النفسية التى كونت الالتزام بالكتابة عندى .

معنى الالتزام اصطدم بنفسى بالمعنى الخاص بالالتزام السياسى كفرض نوع معين من الكتابة للدعوة السياسية ، وللمبدأ السياسى : كنت أرى أنه لايمكن أن يتحقق هذا الالتزام أولا . الا اذا كان معتنقا بالمبدأ الذى يريد أن يدعو اليه . ثانيا : لايصح الخلط بين الالتزام بالنسبة للفنان والالتزام بالنسبة للمبدأ السياسى . بمعنى أنه لايصح أن نضع قيمة للمذهب السياسى أعلى من قيمة الفن ، بحيث يؤدى الأمر الى اخضاع الفنان لالتزام يحول عمله الفنى الى مجرد نشرات دعاية واثارة ومساهمة للدعوة السياسية . وكنت أرى أنه مقبول تماما من الفنان أن يساهم فى العمل السياسى ولكن لاتكون هذه المساهمة على حساب فنه أو القيم الفنية ، اذ كنت أشعر بأنه لابد من أن تكون لهذه القيم استقلالها وتميزها الخاص بها ، لأنها تمثل حرية انسانية من المفيد لتطور الانسان أن يحافظ عليها لأنها من أهم الوسائل التى تساعد على تطوير الانسان ومذهبه السياسى .

وأعتقد أننى كتبت فى هذا المعنى فى الفترة التى كان يطرح فيها موضوع الالتزام السياسى كقضية للمناقشة . وهذا يعود بى الى أن أؤكد لك مرة أخرى أننى قريب من المفهوم القائل بأن الالتزام تعهد من النفس للنفس . واذا كان هناك شىء اريد أن أضيفه هو أن هذا الالتزام يرتبط بثقافة الانسان والعناصر التى تتكون منها هذه الثقافة وأحيانا يحدث تناقض أو صراع بين هذه العناصر فى ثقافة الانسان وهذا ما أشعر به أنا شخصيا من ناحية الثقافة التى اكتسبتها من تراثنا العربى الاسلامى والثقافة التى اكتسبتها من دراستى فى العلوم الانسانية التى أخرجتها وصورتها الينا الثقافة الغربية المعاصرة . ولا أستطيع أن الزم بأن الصراع بين الثقافتين داخل نفسى قد استقر ، ووصل الى مواقف محددة ، وربما السبب فى ذلك هو انى أشعر بحدس ما هو أن بقاء هذا الصراع قائما هو أكثر قربا للواقع من أن تحدث تصفية له بطريقة غير واقعية . وأن احتدام هذا الصراع يؤدى الى توليد أفكار ورؤى بالنسبة لحياتنا . وهذا موضوع يمكن أن يتناول رؤيتى التى اعرضها سواء فيما اكتب من روايات للشخصيات ، وأهم ما تتميز به هذه الشخصيات هو أن اختلاف الثقافات فى مجتمعنا وتناقضها وكذلك الصراع الذى يعتمل فى نفوسنا والذى لانعى به وعيا كاملا ، يؤدى الى أن نصل الى مواقف يصبح فيها الصدق عندنا شىء يقف على

حافة الكذب ، والكذب يقف على حافة الصدق . لأن التزامنا الذى نتعهد به من أنفسنا هو التزام الارادة فيه غير واضحة . والثقافة التى صنعت هذه الارادة ليست متبلورة فى رؤية لها رموز واضحة . ولغة هذه الثقافة أيضا أصبحت متشابكة بلغات أخرى حتى تستطيع التعبير عن متطلباتها أو تأدية وظيفتها . ومن هنا كان هذا الغموض الذى يكتنف الصدق أو الكذب .

نص اجابة الكاتب فيليب جلاب
السن : ٤٩ سنة

يبدو الالتزام للوهلة الأولى عبئا ثقيلا ، خاصة فى مجتمع لا تتأصل فيه جذور الديموقراطية ، ولايعرف الفرق بين الالتزام والالزام ، ولكن العاصم الوحيد من الرضوخ للالزام أو لسيف المعز أو ذهبه هو ذلك الالتزام القائم أولا وأخيرا على الاختيار الحر .

ومن هنا فالالتزام بكل تكاليفه ومشاقه يعصم صاحبه من التمزق أو مما يمكن أن نسميه « بالدعارة الفكرية » أى التقلب فى مختلف العهود والظروف وفقا لمشيئة السلطان .

ولذلك ففى مقابل الحياة « الهينة اللينة » التى يحياها ظاهريا المتحللون من أى التزام فكرى ، فانهم يفتقرون بالتأكيد الى أهم مايشعر به الملتزمون وهو احترام الذات أو احترام الانسان لنفسه .

وفى اعتقادى أن احترام الذات هو أحد الفروق الاساسية بين الانسان والحيوان الأدنى .

ولايعنى ذلك أن الملتزم شخص أصم لاتتطور أفكاره أو تتغير . فالمهم هو أن يصدر التطوير أو التغيير عن اقتناع كامل وارادة حرة .

نص اجابة الكاتب كامل زهيرى
السن : ٥٥ سنة

ظهرت قضية الالتزام كقضية فكرية بعد الحرب العالمية الثانية ، وتفشت فى أفكار جان بول سارتر ، تأسيسا على نظريته فى الحرية ، وتعريفه للانسان ، واعتباره الحرية التزاما لكل انسان ، وتداخلت هذه النظرة أو الأيديولوجية ولا أقول الفلسفة ، لان سارتر يعتبر نفسه أيدلوجيا لافيلسوفا ، مع النظرية الماركسية التى تطالب فى التطبيق الفكرى والأدبى والفنى بالالتزام بقضايا الجماهير ، وبلغت فى صورتها الجامدة فى الزدانوفية الستالينية ، نسبة الى زادنوف ونظرية الواقعية الاشتراكية ، وتحطمت هذه النظرية الجامدة على يد جارودى فى كتابه «واقعية بغير ضفاف» التى اعاد فيها الاعتبار لكافكا وبيكاسو، وكان الشيوعيون الفرنسيون فى أعقاب الحرب يعتبرون الوجودية غير انسانية ، ويعتبرون أدب كافكا من الأدب الأسود المتشائم ، وهذا الصراع العنيف صحبه صراع أيضا مع المدارس على الوجودية أو المعارضة للماركسية .

ويمكن القول أن هذه التيارات انعكست بصورة مشوهة على الحياة الفكرية فى مصر . وانتهت المنازعات صلحا ، بالاتفاق على الالتزام بغير الزام . وكان طه حسين أول من حاول التصالح ، بينما أنصار الفن للفن ساخطون ، وأنصار الفن للحياة مهللون . وقد انتهت هذه الهجمة ببدايتها ، فقد بدأت بكتاب أصيل وجديد كتبه محمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس ، هاجما فيه طه حسين ، فظن فيهما طه حسين أنهما قادمان بنفس الثورة التى قدم بها من فرنسا فى أعقاب الحرب العالمية الأولى . ولكن العالم وأنيس لم ينجبا بعد ذلك كتابا أو كتبا كما فعل طه حسين ، ولم يترجما هذه الشعارات التى ملآ بها كتابهما ولذلك ضاعت الحياة فى الرمال وتبخرت .

وعلى الرغم من اشتغالى بالصحافة السياسية ، وميولى الأدبية والفنية ودراستى القانونية وقراءاتى الاقتصادية ، الا أننى أعتقد أن رحلتين أثرت فى حياتى ، وهما رحلة الهند ، وقد أقمت فيها عاما بعد تخرجى مباشرة ، ورحلتى الى فرنسا وقد اقمت فيها ثلاثة أعوام ، وكان اثر هاتين الرحلتين كبيرا جدا ، لأن رحلة الهند فتحت لى آفاقا للوطنية الهندية وخاصة ان نهرو كان فى قمته عام ١٩٤٨ ، وهو الوطنى المنفتح على الماركسية ، واسبق الزعماء الوطنيين فى هذا المجال .

وقد كشفت لى تجربة الهند نسبية الفكر الأوربى . فهذا الفكر يدعى العالمية ، للتفوق الأوربى ، ولكن اكتشاف حضارات أخرى فى الصين والهند وايران وحضارة العرب جعلتنى اعب من الفكر الأوربى بقدر ما تمكنت ، ولكن ذلك لم يكن يخلبنى كما خلب البعثات التى ذهبت من مصر لأوربا ، ابتداء من ١٨٢٦ حتى محمد مندور ولويس عوض .

وذلك أننى اكتشفت أصول الفكر الأوربى الحديث فى عصر النهضة ، وبذور النهضة فى الفلسفة الأغريقية واكتشفت أيضا أن كل هذا البناء العظيم ليس هو البناء الحضارى الوحيد والأوحد ، ومن هنا

كانت بذرة العصيان عندى ، ورفض أن تصبح الأفكار عقيدة جامدة ، وانتباهى الى نقد النقد ، ومن هنا كان حرصى على التعرف على نقد الوجودية للماركسية ، ونقد الماركسيين للوجوديين ، وقد شجع ذلك على نوع من « السياحة » الفكرية ، أو نوع من « الموسوعية » ، وعدم التخصص ، وساعد على ذلك تأرجحى بين الحرب والسياسة ، وبين دراسة القانون والاجتماع .

ومن ثم كان الالتزام عندى لايرتبط بفكرة ما بقدر ما اعتبر أن هذه الفكرة تقريبية ، ونسبية ، ومؤقتة ، قد نظنها دائمة ، وهى بطبيعتها خاضعة للتطور والتفاعل مع الواقع .

ولذلك كان عملى الصحفى مفيدا لأنه يفتح لى الاستشعار من قرب بالواقع والتعرف على قوانينه، والرغبة فى تغييره ، وكان ضارا كذلك لأنه لم يسمح لى باستكمال الوقت ولا الايقاع الضرورى لانضاج ملاحظاتى وانطباعاتى .

ولذلك فالالتزام عندى هو الالتزام بعمل فى اتجاه محدد ليس حتما أن يكون الأصوب والأوحد بل هو حركة منفتحة تقوم على الحوار مع الواقع ، والتأثر به ، دون تعصب أو عنجهية فكرية . من هنا كانت خصومتى للنازية ـــ وهى ميراث ورثته من عيشتى بأوربا اكثر من تجربتى فى مصر ، وكانت خصومتى للصهيونية ، ويختلط فيها الفكر بالوجدان ، وهى خصومة التزم بها ولا أحيد عنها ، وكانت خصومتى للتخلف والاستعمار والاقطاع والبيروقراطية والاستبداد والقهر ، وكل هذه قيم فكرية ومعان جمالية أيضا ، لانى لم أفصل بين موقفى الفكرى وعاطفتى الفنية ، ذلك اننى انظر الى العدل على أنه جمال واتساق ، ولاتختلف روعة قطعة فنية ، عن وقع العدالة ، سواء كانت عدالة شخصية أمام القضاء ، أو عدالة عامة كتحرر وطن أو شعب مستعبد . ومن هنا فان الالتزام عندى ، حتى وهو نسبى ، ووقتى ، لاينسجم الا بانسجام العقل والقلب معا . ومتعة القراءة واكتشاف المجهول ، لاتختلف عن متعة العمل من أجل رفع احدى المظالم ، أو اقرار حق أو اقامة عدل .

ومن هنا ، فان الالتزام عندى يكون متواضعا لاصاخبا ، ومصدر ذلك هو اننى اؤمن بنسبية ما أؤمن به ، فى الزمان والمكان ، ولكننى حين انخرط فى الدفاع عما أدين به اعتبره مطلقا فى حيزى المتواضع من الزمان والمكان ، اعمل من أجله كأننى اموت غدا واؤمن به كأننى أعيش أبدا .

ولا أظن أننى كتبت ضد ما التزمت به أمام نفسى ومن واقعى . ولذلك اعتبرت نفسى كاتبا هاويا لا محترفا . وقد رأيت كثيرا من افكارى تتحقق . وهذه متعة الكاتب السياسى الملتزم . وحاربت قدر ما استطيع ضد ما لا أقبله وهذه النسبية والوقفية هى التى جعلتنى لا افرح كثيرا ، ولا أحزن كثيرا فى خارجى ، بينما فى داخلى موجات من الفرح الشديد والحزن الذى تخففه الفكاهة والسخرية ، لان حياة الكاتب الملتزم قصيرة ، واعباؤه كثيرة ، وهو يعيش بحارا فى قارب صغير ينتقل بين مرافىء متعاقبة ، فوق أمواج متلاطمة . وهذه هى حياة البحر . أو حياة الالتزام . لان الكاتب مخلوق برمائى هوائى . وهذه هى رسالته ومهنته .

نص اجابة الكاتب لطفى الخولى
السن : ٥٥ سنة

قبل خمسة وعشرين أو ثلاثين عاما ، كنت أميز بين كاتب ملتزم وبين كاتب غير ملتزم .

وكان مفهوم الالتزام عندى ، كغيرى من أبناء جيلى ، هو تجنيد كل الطاقة الانسانية فى تحرير الوطن والمواطن والانسان من القيود السياسية والاجتماعية ، والقيم البرجوازية والتقاليد الرجعية الموروثة .

وكان الالتزام يبلغ أوجه عندما ينتقد ، فى صياغاته التعبيرية المختلفة ، للاشتراكية والطبقة العاملة والانسان ، ضد الرأسمالية والبرجوازية وأعداء الانسان . وذلك على نحو مطلق تمتزج فيه العقلانية بالمشاعر والحكم الأخلاقية ، ويتجاهل تماما كل ماهو خارج هذه الدائرة فى الحياة .

وهكذا كان مفهوم الالتزام فى الخمسينات يتحدد فى صياغة فكرية ، سياسية ذات مضمون اشتراكى — أخلاقى .

وكان الكاتب الملتزم هو التعريف المتواضع عليه للكاتب الاشتراكى أو على الأقل التقدمى ، بمعيار ذلك الوقت . ولم يكن مقصورا أن يكون هناك كاتب ملتزم ، غير اشتراكى أو غير تقدمى . بل وكان غير الاشتراكيين من الكتاب ، فى السياسة أو الاجتماع أو الفن ، يجاهرون بعدائهم لفكرة الالتزام باعتبار أنها النقيض لحرية الانسان فى التعبير . حتى ولو كانوا كتابا فى اللاهوت أو معبرين عن مدارس دينية ، لها بالضرورة تحديداتها الصارمة .

وهكذا حدث التزاوج بين روحية ومواقف المناضل السياسى وبين ابداعات الخلق الفنى والأدبى ، فى ذات الكاتب الملتزم ، من أبناء جيلى ، الذين راحوا يقتحمون ميادين التعبير منذ أواخر الأربعينات وبداية الخمسينات .

وقد أفرز ، هذا التزاوج ظاهرة خاصة مميزة فى تاريخ الأدب والفن فى بلادنا . وأزعم أنها كانت بدرجة أو بأخرى سائدة عالميا ، فى نفس الفترة وتتجسد هذه الظاهرة فى كون أن غالبية الأدباء والفنانين الذين امتلكوا ، قوة التأثير فى مجتمعهم ، نبتوا أول مانبتوا فى حقل العمل والتعبير السياسى النضالى من أجل الحرية والاشتراكية . وكان انتقالهم الى الحقل الأدبى والفنى ، امتدادا ، بوسائل وصياغات أخرى ، لنفسية المناضل السياسى ورؤياه الاجتماعية التى تلزمه بأهداف استراتيجية وقيم كلية ، أملتها مسبقا ، ايدلوجية محددة . جرى اعتناقها وسط ظروف صراع اجتماعى — سياسى ، تميز — وطنيا وعالميا — باستقطاب ثنائى حاد بين القوى الرأسمالية أو الرجعية أو الاستعمارية (كل ما بات يعرف بالقديم المتهالك) وبين قوى الاشتراكية والتحرر الوطنى والتقدم (مابات يعرف بالجديد الصاعد) وذلك فى ظروف الحرب الباردة وبروز مجموعة الدول الاشتراكية وصعود حركة التحرر الوطنى العالمية التى انطلقت مع ثورة يوليو ١٩٥٢ ، بمصر ، فى أعقاب الحرب العالمية الثانية .

وهكذا شهدت الانسانية ، ومصر جزء منها ، على جميع المستويات الفلسفية والاجتماعية والأخلاقية والنفسية فى مرحلة تاريخية محددة فى الخمسينات والستينات من هذا القرن ، حروبا باردة وساخنة بين الكتاب الملتزمين (على اختلاف اتجاهاتهم داخل المدارس الثورية والاشتراكية) وبين الكتاب غير الملتزمين على تنوع مدارسهم واتجاهاتهم أيضا .

وكان لهذا كله تأثيره على العلاقات المستقرة بين الشكل والمضمون فى العمل الفنى والمباشرة وغير المباشرة الخ .

ومن هنا يمكن القول أن الالتزام ، بهذا المفهوم ، كان ظاهرة عالمية — وطنية ، فى تلك المرحلة ، ولأنه كان ذا طبيعة فكرية حادة ، فانه كان بسيطا فى تركيبه الفلسفى والتاريخى والاجتماعى ، أقرب ما يكون الى « القيمة المطلقة » سواء من جانب مؤيديه أو معارضيه ، يتسم فى تعامله مع الآخرين أو تعامل الآخرين معه ، بالتعصب والتطرف والجمود ، الامر الذى صادر امكانيات الجدل النقدى المتبادل ، أو سمم أجواء الحوار . ولهذا كان طبيعيا أن يستخدم الالتزام معيارا ، للفرز السياسى والاجتماعى والأدبى والفنى على المستويين الوطنى والعالمى على السواء . على نحو أقرب الى الميكانيكية الآلية من الجدلية الحية .

فى ذلك الوقت ، كنت أعتبر نفسى ، سياسيا وفنيا ، كاتبا ملتزما بهذا المفهوم ، دون تردد .

واليوم ، فى الثمانينات ، عندما اسائل نفسى ، هل لازلت كاتبا ملتزما بمفهوم الخمسينيات ؟ أجدنى أمام سؤال بات على درجة عميقة وهائلة من التعقيد . ولعل الجواب بالنفى ، على هذا السؤال ، يكون أقرب وأرجح من الجواب بالايجاب . وذلك على الرغم من استمرارى فى نفس النهج الفكرى الاشتراكى الثورى الذى كنت عليه فى الخمسينات . كيف ؟

اعتقد أن اصطلاح الالتزام ، لم يعد معيارا صالحا للفرز السياسى أو الاجتماعى والفنى بين الكتاب والمبدعين ، فى واقعنا وعصرنا الراهن . لماذا ؟

لأنه لم يعد الثوريون الاشتراكيون هم وحدهم الذين ينفردون بصفة الالتزام ، إذا صح التعبير . وانما صار كل كاتب من كل مدرسة ومذهب ورؤية ملتزما هو الآخر اذا صح التعبير ، بمجموعة من الأفكار والقيم ، قد لاتكون متجانسة تماما .

ولايستنكف ، اذا وعى بذلك ، أن يعترف به ويدافع عنه ، دون أن يرى فى ذلك انتقاصا من حرية التعبير .

الالتزام ، اذن ، كمصطلح أفرزته مرحلة الخمسينيات والستينيات ، قد فقد خصوصيته .

ذلك أنه على مدى المسافة الممتدة من الخمسينيات الى الثمانينيات تراكمت أحداث وأفعال فى التجربة الذاتية للحياة والتعبير للانسان ، تداخلت وتفاعلت مع أحداث وأفعال التجربة الموضوعية للوطن

والانسانية . هذا التراكم المزدوج المتداخل ، فجر ، من ناحية تغييرات نوعية فى الذات وفى الموضوع ، فى الفكر وفى الممارسة . كما ولد من ناحية أخرى نظرات نقدية أكثر عمقا ورحابة داخل المدرسة العقائدية الواحدة ذات البناء المعمارى الصارم وكذلك بين المدارس العقائدية المختلفة والمتصارعة تاريخيا ، باختصار حلت الجدلية الديناميكية بين الانسان والآخر .. بين المجتمع والآخر .. بين الفكر والآخر ، محل الحتمية التاريخية الصلدة ذات النكهة الرومانسية ، الميتافيزيقية فى العمق ، رغم مظهرها الثورى .

وقد وقع هذا كله فى معترك ثورة العلم والتكنولوجيا ، والتأرجح فى النظام الدولى بين حالة الصراع الحاد وبين حالة التعايش السلمى القلق ، وتوالى الثورات والثورات المضادة بكل مايتصل بها من ايجابيات وسلبيات . واستمرار تقديم الانسان ازاء تصاعد جبروت قوة الدولة وأجهزتها البيروقراطية والقمعية المتعددة الأشكال .. حتى فى التجارب الاشتراكية وتجارب ثورات التحرر الوطنى المعادية للرأسمالية والاستغلال والاستعمار والعنصرية الخ ... كل الموبقات من وجهة النظر الاشتراكية الثورية . وفى بلادنا ، ظهر تحد فكرى واجتماعى حركى جديد للفكر التحررى العلمانى والثورى الاشتراكى متجسدا فيما أصبح يعرف بالثورة الاسلامية أو الثورة الدينية عموما .

ومن هنا حدث تحول جوهرى للكاتب . فهو يبدأ من الواقع وصراعاته وليس من مجرد الاختيار الفكرى المسبق ، بل أنه صار يختبر فكره وصياغاته ولغته ، باستمرار ، فى خضم الواقع الذى اكتشف أن ثراءه نابع من تعدده وتنوعه ، وأن الاختيار الاجتماعى ــ الفكرى له لايسجنه فى حدود التزام ضيق جامد ، يتعالى أو يتجاهل أو يؤثم كل ماهو خارج هذه الحدود من أفكار وتجارب تاريخية أو حديثة . وانما يلتحم معها فى حوار جدلى دائم .

ومن هنا بات الالتزام ، بمفهوم الخمسينات ، يعنى التقوقع والجمود يعنى الالزام الأعمى بأفكار مقدسة مصونه لاتمس ولاتنقد .

وغدا البديل له فى الثمانينيات ، هو الانحياز الاجتماعى العام للكاتب دون أن ينفصل عن الحركة الاجتماعية وأفكارها المتصارعة ككل ، نقدا وتقيمبا والتعلم منها بتواضع فى نفس الوقت . وهذا ما يطور المضمون والشكل الى مستويات أرقى وأفضل فى تأثيرها . والا بات الكاتب تكرارا وعملا لنفس الذات ونفس التجربة ، وكأن الحياة توقفت تماما عند أول عمل أبدعه .

نص اجابة الكاتب د. لويس عوض
السن : ٦٨ سنة

معنى الالتزام أصلا هو ارتباط الفعل أو السلوك بالفكر أو بالقانون أو بالمبدأ ، الخ .... هذا فى العربية ، أما فى معناه الحديث الذى جاءنا من الحضارة الغربية فقد تجلى منذ نشأة الماركسية فيما كان يسمى ، « وحدة الفكر والفعل » Unity of Theory and Practice وهو نفس الشىء تقريبا ، وهذا المعنى قديم قدم الأديان ، ومع ذلك فهو يمثل المفهوم السلبى للالتزام ، وهو أضعف الايمان . أما المعنى الحديث للالتزام الذى جاءنا بمجىء الوجودية السارترية فهو يقوم على العملية العكسية ، أى على ارتباط الفكر بالفعل بمعنى وضع الفكر فى خدمة الحياة والمجتمع وتسخيره لتغييرهما وترقيتهما وتطويرهما . والالتزام بهذا المعنى فيه درجة متقدمة جدا من درجات المسئولية عن الانسان والانسانية وعن كافة المبادىء التى تكفل رقيهما كالحرية والمساواة وبقية حقوق الانسان . وهذا المفهوم الايجابى نفسه لاجديد فيه لأنه قديم قدم الأديان ودعوات الاصلاح الفكرى والاجتماعى والاقتصادى ، الخ .... حيث تتفشى ارادة التغيير حتى تبلغ مبلغ الدعوة للجهاد فى سبيل فكره أو فلسفة أو قضية . ويلاحظ أن الالتزام بهذا المعنى الايجابى ــ كظاهرة انسانية ــ يتفشى فى عصور الثورات حتى يتجاوز قادة الفكر ودعاة الاصلاح أو الحرية الخ ... ويمس رجل الشارع ، فيحس بمسئوليته المباشرة عن تغيير الحياة وعن تحرير الانسان، الخ .. أما فى عصور الاستقرار فيهدأ هذا الاحساس بالمسئولية عن الغير ويقوى الاحساس بالمسئولية عن النفس فقط ولايبقى من الالتزام الا معانيه السلبية فحسب . وفى عصور الانحلال يضيع حتى الاحساس بالمسئولية عن النفس ويقبل الانسان أن يطعمه الغير وان يحكمه الغير ، « الالتزام » هو الاحساس بالمسئولية عن تغيير العالم أو البيئة القريبة الى الأعلى والأرقى ، وهو يتجلى فى العمل الفنى أو العمل الأدبى كما يتجلى فى الكفاح السياسى المباشر . وهو يسمى بالفرنسية Engagement وبالانجليزية Commitement .

نص اجابة الكاتب مصطفى أمين
السن : ٦٥ سنة

الالتزام نوع من الايمان ، ولكن ايمانى لم ينبعث برسالة أو برأى أو بثقافة ، انما انبعث من أشياء غرست فى منذ الطفولة ، فأنا كان من حسن حظى أن اولد فى بيت سعد زغلول ، وعندما قامت ثورة ١٩ كان عمرى ٥ سنوات وكانت المعارك بين المصريين والانجليز تجرى أمام بيت الأمة ولذا فقد كنت أشهد المصريين وهم يقتلون وتحمل جثثهم الى داخل بيت ، فتنزل صفية زغلول وأمى ويغمضان عيون القتلى . فهذه المناظر المتكررة .. جعلتنى أن التزم بمحاربة الاستعمار من ذلك الوقت .

ثانيا : فى هذه السن المبكرة شعرت بأهمية الشعب .. كانوا الحفاة والعراة اكثر اخلاصا للثورة من الباشوات وكان سعد زغلول يردد كلمة « انا ارتدى بدلة التشريفة فوق جلابية الفلاح » . هذا ماكنت أسمعه من سعد زغلول جعل بينى وبين هؤلاء الناس رابطة قوية جدا . فأنا وجدت نفسى وأنا تلميذ اشترك فى المظاهرات من أجل الاستقلال والديمقراطية والحرية والدستور وجدت نفسى ضد رغبة أهلى اشتغل فى السياسة وأفصل ٣ مرات من المدارس .. ضد رغبة أهلى . اشتغلت فى الصحافة وهاجمت دكتاتورية الملك فؤاد واسماعيل صدقى . وسجنت وفصلت وحرمت من جميع الامتحانات . واشتغلت فى ٦ مجلات . ومع السيدة روز اليوسف والتابعى . أغلقها الدكتاتور ، ثم اشتغلت مع توفيق دياب فى ٥ صحف ، وأغلقت كلها ، خضرت مصارع الصحف وجنازات الحرية فهذا أدى الى ايمان بحرية الصحافة ومقاومة الدكتاتورية ، هذا هو الشعور الأول ولم اغير رأيى قط . بل جاء فى وقت من الأوقات حاربت الدكتاتورية البرلمانية .. حاربت كل أنواع الدكتاتوريات .

أيضا أنا تأثرت من الوجهة الاجتماعية .. أنا شفت صفية زغلول وهى تقود الثورة فى غياب زوجها . ورأيت النساء المصريات كيف يعملن من أجل الثورة . وكانت أمى تشترك فيها . طباعة منشورات ، الوقوف أمام المحلات الانجليزية لمنع الشراء منها . هذا جعلنى أؤمن بالمرأة المصرية . فطالبت لها بحق الانتخاب وبأن تكون نائبة وبأن تكون وزيرة . وكنت استخدم علاقاتى بقادة الدولة من أجل هذا — وكنت أشعر أن أمى أحكم من كثير من الرجال وفى كل حياتى أنا مدين لنساء كثيرات . وجدت فيهن شجاعة وبطولة وتضحية ولهذا احترم المرأة ولأحبها فقط . وهذا نوع من الالتزام .

ثالثا : ارتباط .. وأنا صغير كان سعد زغلول يتحدث مع الناس الحفاة كما يتحدث مع الباشوات ويفرح بهم أكثر . وهذا جعل بينى وبين رجل الشارع رابطة .. الاحساس بالناس .. ومن أجل هؤلاء الناس عملنا ليلة القدر وأسبوع الشتاء .. ومساعدات طلبة الجامعة ..وهنا أطبق التزاما احسست به وأنا طفل . فمثلا كان هناك نظام معمول : ان المسجونين السياسيين فى الثورة .. كانت صفية زغلول تبعث لأسرهم بنقود . ويعطونا هذه النقود لتوصيلها للناس ولا نفتش وشعرنا بالتزامنا نحو هؤلاء الناس أى لانتخلى نحو هؤلاء الناس ، ولهذا اشعر انه اذا فضل أتخذمن جريدة أحس أننى المسئول عنه .

تماما كما كانت تشعر صفية زغلول انها مسئولة عن أسرة شخص ضرب بالرصاص .

فهنا كونت آرائى والتزامى بالحرية والديمقراطية ولم أكونها من كبت ، بعد ذلك جاءت القراءة بعد هذا أى أننى اسلمت ثم قرأت القرآن .

نص اجابة الكاتب مصطفى بهجت بدوى
السن : ٦١ سنة

ربما كانت كلمة الالتزام فى ذاتها من الكلمات الطارئة أو الجديدة ككلمة وليس كمعنى . ولكن هذا لايفيد أنها بمفهومها كانت معدومة قبل استخدام هذه الكلمة ، هناك التزام جماهيرى مفروض وهو ما نحسد عليه البلاد التى قطعت شأنا بعيدا مثل المانيا وغيرها . وهذا ينشأ عادة بالتربية . لأن من ينشأ فى بيئة أرى فيها احترام القانون .. العرف العام .. الآخرين .. هناك قيم جمالية يراعيها . اذن هو يلتقط ويتربى عنده هذا الالتزام بعد هذا فى الحياة السياسية . هناك الالتزام الحزبى رأيناه فى مصر أيضا وقبل الثورة . أن الديمقراطية تنتقى مناقشة القضايا عن طريق أخذ الأصوات والأغلبية عندئذ الذى عارض هذا الرأى ولو أنه — غير موافق عليه — ان يلتزم به . ولكن اذا تكرر اختلاف رأى العضو مع رأى الحزب فلا مفر من أن يترك هذا الحزب . هذه كلمة عامة .

أما مفهوم الالتزام عندى فيما مارسته من عمل فى الصحافة أو عمل فكرى . ففى واقع الأمر أن البداية هى الايمان والانتفاع بأفكار معينة . قد تكون لى بعض تحفظات على جانب منها ولكن الاطار العام والمضمون العام اتفق معه بوضوح وأؤمن به بوضوح واقتنع بوضوح . فاذا توفر لى هذا فعندئذ أمضى فى هذا الاطار العام لأعبر عن أفكار معينة ، وبضرورة الصدق مع النفس ومع الآخرين ، لأن هذه أساس الالتزام . ثم لاينفى هذا من أننى وأنا ملتزم اتعرض بنقد فيما اكتب .. ببعض ممارسات عندى من وجهة النظر ما الاحظة وتقتضى أمانة الكلمة ان اكشف عنها وأطالب بتصحيحها جهرا حتى يكون كما تفضلت وذكرت كلمة ارسطو وهو الاتساق بين داخلى وخارجى . ندخل فى بعض التفاصيل مثلا : عندما وضع ميثاق العمل الوطنى . نوقش وانتهى الأمر باقراره . وأقول فى مجموعه كان هو وبعض مواقف الثورة ٢٣ يوليو اجتماعيا وسياسيا وانجازات وايجابيات . كانت بين أحلام صباى كمشتغل فى وقت مبكر بالعمل السياسى بالقدر الذى تيسر لى (كنت فى مصر الفتاة) وكانت هذه أحلاما ونحاول أن نعمل على تحقيقها . ثم مع قيام ثورة ٢٣ يوليو وما اعقب ذلك فى الميثاق وجدت أنه يمثل انطلاقة لتصحيح مسار الوضع السياسى فى مصر . ومن هنا ازعم أننى خلال اشتغالى بالصحافة فى الستينات ، ورئاسة تحرير الجمهورية فى عامى ٦٥ ، ٦٦ ، بل عندما عدت اليها فى عام ٧١ كان هذا الفكر الاشتراكى وفى تطبيقه عقيدة فى أعماق رغم أننى شاهدت فيما شاهدت أن ثمة انحرافات عن

هذا الخط ، لم أجبن عن (محاولة) الكشف عنها مثلا فى الالتزام عندما نقول اننا نؤمن أن مصر جمهورية . فأنا ادافع عن الجمهورية . نأخذ بالتطبيق الاشتراكى فأنا اعبر عن هذا وأدعو اليه وأتجاوب مع القيادة السياسية مما يعد التزاما .

أما الشيء الغريب الذى طرأ على ثورة ٢٣ يوليو وميثاق العمل الوطنى عام ١٩٦٢ أننى بصدق وبايمان وباقتناع سلمت بوجاهة فكرة تحالف قوى الشعب العاملة . داخل الاتحاد الاشتراكى وظللت ادافع عن هذه الفكرة رغم خلفيتى الحزبية ورغم ما قد يشوب هذه الفكرة من انتقاص للمعنى العام والحقيقى للديمقراطية بالمفهوم الليبرالى. لدرجة أن جريدة الجمهورية عندما كنت أرأس تحريرها وكانت هى من أشد المنتقدين لما يجرى فى الاتحاد الاشتراكى .. الا أننا لاحظنا أنه ربما نكون نحن ملتزمين بينما تفتقر بعض القيادات داخل الاتحاد الاشتراكى الى الالتزام اقول أنه رغم هذه الانتقادات فاننى لم افقد ثقتى بامكانية تصحيح مسار الاتحاد الاشتراكى . رغم فشل عديد من المحاولات فى ذلك . بل عندما بدأت الدعوة فى أوائل السبعينات وقبل المنابر لمناقشة امكانية العودة الى الأحزاب كتبت وفى الأهرام نفسه مطالبا بمحاولة اعادة الحياة والنقاء والاستقامة الى الاتحاد الاشتراكى حرصا منى على هذا المعنى الذى يكاد يكون قهرنى على أمرى وهو تحالف قوى الشعب العاملة . ومن المدهش أنه عندما بدأت المنابر .. ربما كانت المرحلة تسمح بهذا لأنه ثبت أن الاتحاد الاشتراكى العربى اذا لم يكن قد نجح فى تحقيق أهدافه فى عهد عبد الناصر فمن باب اولى فإنه لن يحدث فيما اعقبه وتحولت دون افتعال الى ليبراليتى التى كانت كامنة فى نفسى مطالبا بالاحزاب وتعددها رغم ايمانى السابق بتحالف قوى الشعب العاملة . هناك عنصر نفسى آخر هو أنه ماكان يحز فى نفس المصرى والكاتب وصاحب أى فكر .. أنه كان عندما يزور أى بلد اشتراكى ويشاهد ما فعل ربع قرن من الاشتراكية فى هذه البلدان . فى حين أنه مر ٢٠ سنة ـــ فى مصر ولم تحقق ما كنا نحلم به . كنا نشعر بأسى .

نص اجابة الكاتب د. محمد خلف الله
السن : ٧٨ سنة

الالتزام عندى هو التمسك بما جاء فى القرآن الكريم من ضبط لسلوكيات الانسان . لأن كتاب الله حينما نص على دقائق السلوك الانسانى كان يؤكد لنا أن الله أعلم بعباده وبضعفهم ، ولذا فقد وضع لهم القوانين لتحكم أفعالهم .

وأعتقد أن الالتزام ككلمة هى حديثة العهد ، ولكنها من حيث المعنى قديمة قدم الأديان ، بل حتى قبل الأديان السماوية .

وأتصور أن التمسك بما جاء به الدين الحنيف هو الذى يحمى الفرد والمجتمع من أية مزالق . وعلى الانسان أن يستفتى دائما القرآن حينما يريد أن يضبط سلوكه طالما أن الله منَّ عليه بنعمة الاسلام وهداه الى الدين الحنيف .

واذا كنت أريد أن أتحدث عن ابعاد الالتزام فهى أساسا أن يكون الانسان حرا فى سلوكه من أى قيد دنيوى أو من غيره من البشر لاننا زائلون جميعا . وكلما تحرر الانسان من قيود الدنيا وزهوها كلما جاء سلوكه نقيا .

نص اجابة الكاتب محمد صبيح
السن : ٧١ سنة

فى رأيى أن الالتزام ماهو الا طاعة الله عز وجل ، فهو الذى يلزمنا باتيان كل مافيه خير الانسانية ، والتزامنا بهذه الطاعة هو الذى يجعلنا فى اتساق مع أنفسنا ومع الله عز وجل لأن السؤال : هل يمكن أن يستطيع الانسان وضع أسس لسلوكياته أفضل من تلك التى وضعها الله للبشر فى أديانه السماوية وبالذات فى خاتم الأديان وهو الاسلام ٠ لا أعتقد لأن الانسان كائن ناقص أما الله هو الذات الكاملة وما تأمرنا به وماتلزمنا به انما هو الكمال ذاته الذى مابعده كمال . ومن هنا فالالتزام عندى هو أن يلتزم الانسان بأوامر دينه سواء أكان يهوديا أو مسيحيا أم مسلما . لأن فى الأديان التى أنزلها الله على أقوامه تكليفا بسلوكيات فيها الخير العميم ومن ثم وجب على الانسان أن يطيع أوامر دينه وهذا هو الانسان الملتزم التزاما صحيحا وحقيقيا .

نص اجابة الكاتب محمد سيد أحمد
السن : ٥٣ سنة

(١) من لايقرر لنفسه شكلا من أشكال الالتزام قد يعتقد أن تصرفاته « حرة » . ولكنها فى الحقيقة « مضبوطة » و« مقررة » بمقتضى أمور كثيرة ، منها العادات والتقاليد السائدة ، والأنظمة القائمة ، الى غير ذلك ، فهذا ملتزم دون أن يعلم أنه ملتزم . ولذلك كان الالتزام بوعى أفضل ، وتعبيرا عن قدر أكبر من الحرية ، لا العكس كما يتصور كثيرون .

(٢) والالتزام بوعى هو نقيض معان تلصق بمعنى الالتزام فى أحوال كثيرة . الالتزام بوعى لايعنى الالتزام الجامد ــ أو الأعمى ــ مايسمى أيضا بالطاعة . فذلك تمسك بشكل الالتزام مع تحوير بل مع الغاء مضمونه ، ولما كنا نعيش الآن عصرا يغلب عليه الشك أكثر من اليقين ، والتساؤل فى مسلمات كثيرة أخذناها فى عصر سابق على النقاش فيها غير وارد أصلا لايتعين أن يكون هذا مدعاة لالغاء الالتزام ، بل لاعمال الالتزام الواعى الى أبعد حد . أى ألا يكون الالتزام سببا للاحجام عن الاجتهاد ولاسببا للتخلى عن التفكير .

(٣) وتطويرا للفكرة السابقة ، أقول : انتهى عصر الالتزام ازاء مايمكن تسميته « بالأنظمة المغلقة » و « بالعقائد الثابتة » و « بالأمور النهائية » وأكبر مفكرى عصرنا ، وأكثرهم التزاما بما تعلموه هم الذين لايجدون خجلا من البدء من الصفر دائما . واعادة السؤال عما أخذوه حقائق مسلمة دائما . فليس عيبا أن يكون المرء بروليتاريا فى عقيدته . والا يعتبر أنه اكتنز ثروة من اليقين ابدا . وأن يكون قلقا دائما . يبحث عن الحقيقة دائما . فكأن هذا القلق مصدر ثوريته ومصدر حيويته ،ومصدر انتمائه الى الحياة .

نص اجابة الكاتب د.محمد عمارة
السن : ٥١ سنة

أعتقد أن مفهوم الالتزام يتطلب أن يكون للانسان غاية من حياته ، بمعنى أن الكاتب فى مستهل حياته الفكرية ، وأيضا فى عدد من منعطفات هذه الحياة ، عادة ما يسأل نفسه وقد يكون السؤال لاشعوريا ماهى الرسالة ؟ وماهو الهدف ؟ وبناء على الرسالة والهدف تكون ابعاد الالتزام . فالالتزام كقضية محورية يعني وضوح الهدف والرسالة . ثم تأتى الجزئيات والتفاصيل التى تمثل أبعاد هذا الالتزام . واذا شئنا أمثلة تطبيقية : فعلى سبيل المثال أنا اعتقد أن الأمة العربية والاسلامية عاشت لعدة قرون مرحلة انحطاط حضارى لأسباب داخلية وخارجية . والقضية المحورية فى تقديرى هى ضرورة النهضة الحضارية للأمة . وهناك رؤى متعددة لسبل متعددة تنهض بها الأمة . وما اعتقده هو أن الاسلام سواء من الجانب الدينى أو الحضارى أو السياسى هو السبيل الطبيعى والأمثل والأكثر أمانا لنهضة الأمة . هذه القضية المحورية تلعب دورا رئيسيا فيما التزم به . فأنا سواء بوعى أو بغير وعى أسعى لكل ألوان المعارف التى تخدم عطائى الفكرى الذى يغذى ويبرز وينير ويحدد هذه القضية المحورية . فاذا شئت أن اكوّن مكتبتى فهذا الالتزام يحدد اختياراتى .

واذا شئت أن أقيم علاقات فهذا الالتزام يحدد الاطر لهذه العلاقات . اذا شئت برنامجا لأولويات الانتاج الفكرى فالقضايا الجزئية الملحة والمرتبطة بالهدف وبالرسالة تتحدد جميعها بهذا الالتزام . أيضا — اتساقا مع هذه الرسالة — فلابد أن تكون أخلاقيات الاسلام ورسوله طابعة لسلوكياتى ولنمط الحياة الذى أحياه .

أيضا هذا الالتزام بقضية انهاض الأمة واحيائها بالاسلام أى تجديد دنيا المسلمين بتجديد دينهم يقيم الروابط الوثيقة بين الانسان وبين القيم التراثية التى لاتزال صالحة للعطاء فى المستقبل ، فهذا أيضا يعد من أبعاد الالتزام يقيم نوعا من الألفة مع كل ماهو أصيل فى حضارتنا وتراثنا من المعمار الى اللحن الى الأغنية الى الشعر الى الأثر.... الى جمهور الأمة وخاصة فى الريف . أولئك الذين لم يفسدهم الوافد ويمسخهم التغريب على النحو الذى حدث لشرائح عديدة فى مدننا .

نص اجابة الأديب نجيب محفوظ
السن : ٦٥ سنة

اذا كان للالتزام تعريف أستطيع أن أضعه فى الاطار التالى : ماذا أكون ؟ الاجابة على هذا السؤال تعود بنا الى عوامل بعضها بيولوجى وفسيولوجى وبعضها نفسى واجتماعى وأسرى وثقافى شىء يرتبط بالحاضر وبالماضى كل هذه العوامل مجتمعة صنعت عينة محددة ذات خواص هى أنا . فلما أقوم بعملى الأدبى طبيعى أن تنعكس خواص هذه الأنا فى أعمالى . فان كانت ذات طبيعة ملتزمة بشىء ما فهذا هو الالتزام كما ينعكس فى انتاجى الأدبى .

أما الالتزام الذى مارسته فقد كان هو الحرية المطلقة بمعنى الاختيار المناسب الذى استخدمه دائما وابدا فى تفضيل أشياء على أشياء أو أفكار على أفكار أو أشخاص على أشخاص أو موقف على موقف. أى أننى عندما أكتب لايهمنى أن أثبت أننى تقدمى أو رجعى كل ماأسعى اليه هو أن أكتب بأمانة مع نفسى. أى أن أكون صادقا مع نفسى، فلنفرض أن الناقد حسبنى أننى رجعى فيما كتبت، لأننى كنت صادقا مع نفسى وقتها . ولذا فان المثال أو الكلام العادى لايعبر عن ذاتى كما يعبر أدبى . لأن المقال والكلام العادى يخضعان لاعتبارات أخرى ، أما الأدب فهو الصدق مع النفس دون أى اعتبار .

نص اجابة الأديب نعمان عاشور
السن : ٦٣ سنة

أساس الالتزام فى أى مجال أو بأى عمل أو جهد أو انجاز هو الاحساس بالمسئولية والقدرة على تحملها . وهذا الاحساس وان كان لاينبع تلقائيا الا أنه لابد أن يصدر عن وجود نواة راكزة فى داخلية نفس الانسان الملتزم . فاذا خلا كيانه من وجود مثل هذه النواة فانه قد لايفقد امكانية الالتزام كلية . لأن الالتزام ينمو ويمكن أن يتطور أيضا بالممارسة . ولست أحب أن أدخل فى تحليلات استطرادية ولكنى أنفذ الى السؤال الموجه مباشرة عن مفهوم الالتزام وأبعاده عن ومن واقع تجربتى ومعاناتى فى المجال الذى عشت ووهبت له نفسى وجهدى وهو المجال الأدبى والفنى . وان كنت أحب أن أنوه مسبقا ، بأن الالتزام فى أى مجال يشكل ما يمكن أن نعرفه بأنه كل متكامل فى كافة المجالات الأخرى .... وذلك أمر بديهى لأن تحقق الالتزام قائم على العلاقات المتشابكة التى تنشأ وتنمو وتتبلور فى داخلية كل انسان كالعلاقة التى تجمعه بالبشر وتلك التى تجمعه بأهل بلده كمواطن وبالمجتمع كفرد فيه وبالأسرة كجزء منها .. ولذلك تنسحب كافة مقومات الالتزام أى احساس الواحد منا بالمسئولية والقدرة على تحملها على جميع اعماله وكافة توجهاته ولاتقتصر على الجانب الواحد الذى قد يبرز فيه أو يعرف به .

والالتزام كالالهام لأنه حسى تلقائى راسب وراسخ فى داخلية نفس الانسان الملتزم ، لكن استمراره وثباته يخضع بالضرورة للارادة الواعية ، لأنه لا يرسخ فى تلقائيته الا اذا توافرت لصاحبه هذه الارادة الواعية . ولذلك يسهل على الانسان الملتزم اذا توافرت له الارادة المدركة الواعية ان يتخلى عن التزامه تماما مثلما يتخلى أى انسان عن اخلاقياته امام شهواته واطماعه ونوازعه التى يستعصى عليه التحكم فيها .

والالتزام بالنسبة للأديب أو الفنان يعادل فى ضرورته وأهميته ، مايتمتع به من موهبة اذ يستحيل الاحتفاظ بالموهبة الابداعية داخل كيان يعانى صاحبه من عجز فى تنميته والحفاظ على التزامه بها .. وأعنى بذلك الاحساس بما يقتضيه منه وجود هذه الموهبة عنده أو لديه من مسئولية فى مواجهة ماتمده موهبته هذه من طاقات وقدرات . فاذا هو عجز عن رعاية وحماية موهبته بالالتزام سهل عليه الانحراف وبالتالى فانه يبدد مواهبه بخدمة ماينافض التزامه بها .. والالتزام القوى لاتحفظه الا موهبة قوية يشهد بذلك تاريخ الحياة الأدبية والفنية على مر العصور وفى كافة الأوطان اذ يثبت أن أصحاب المواهب الكبرى هم بالضرورة اكثر التزاما فى كل انتاجهم ومنجزاتهم ، ولذلك فليس اسهل ولا أسرع لدى أصحاب المواهب الضعيفة أو الملكات العاجزة فى تحللهم من أى التزام وبالتالى تخليهم عن ثبات وصلابة مواقفهم بحيث يستطيع الواحد منهم أن يقول الشىء ونقيضه .. ويصبح اليوم على غير ماكان عليه بالأمس .. وبالتالى يفقد كل ابعاد التزامه .

نص اجابة الأديب يحيى حقى
السن : ٧٥ سنة

لا اعتقد أن هذا السؤال مثار فى السياسة فهذا أمر مفهوم وانما هو مثار فى الأدب ، أى خصوصا أدب الرواية والقصة أو الشعر ،، فالسؤال هو هل ينبغى للأديب أو للشاعر أن يستخدم أدبه لصالح المجتمع مباشرة ، وقد ثارت هذه القضية بشكل حاد بعد ظهور الشيوعية ، وجوابى على ذلك : أن الاديب لايعمل فى فراغ ، وانما يعيش فى مجتمع ، فهو بالضرورة مرتبط به ، وهو يخاطبه ، وهو أحق الناس — بسبب رهافة حسه — أن يشعر بمتاعب ونواقص هذا المجتمع ، ولكن اشترط أن يكون العمل مستوفيا للشروط المفروضة للرواية أو القصة . أما اذا خرجت الرواية معيبة شكلا ، فانها لن تخدم المجتمع بل قد تضره . لأنها ستروج لأفكار خاطئة وربما حجبت الأعمال الجيدة عن الظهور بسبب هجومها على السوق .

وأخيرا خلصت الى الرأى الآتى : اننى أخدم الفن أولا غير ناظر اذا ما كان هذا العمل ملتزما أم غير ملتزم . لأن الانقسام بين الملتزمين وغير الملتزمين ينبغى أن يرتفع الى مستوى انسانى واحد ، ولابلوغ هذا المستوى الا عن طريق القصة ، فأنا أريد من الملتزم ومن غير الملتزم أن يكونا هما الاثنين مثالين جميلين للانسانية .

نص اجابة الكاتب د . يوسف أدريس
السن : ٥٥ سنة

هذه هى أول مرة تتاح لى أن أبدى رأيا فى هذا الموضوع لأنى كنت أتحاشى ذلك . لأنه شىء داخلى فى نفسى ، وأفكر أننى كتبت احذر من مطالبة الناس بالالتزام . باعتبار أن هذا نوع من الالزام . بمعنى أن مطالب الكاتب غير الاشتراكى أن يكتب فى الاشتراكية . هذه تصبح كارثة . لأنه طبعا سيخالف طبيعته ويلوى قضية الاشتراكية . بينما نستطيع القول بأن هناك اناسا اشتراكيين بطبيعتهم حتى لو لم يعرفوا شيئا عن الاشتراكية ، ذلك أننى أؤمن أن مضمون الكاتب لا يتشكل فقط لا بثقافته وتطلعاته ولكنه محصلة لكل حياته . من أبويه قبل أن يولد . وبعد ولادته فى طفولته . ومراحل حياته المختلفة . وقد يصعب التفريق فى أحيان بين الالتزام النابع عن التثقف والالتزام النابع عن محصلة الحياة . وقد عانيت من هذا كثيرا اثناء عملى بالحركة الوطنية . فالحركة الوطنية خير معبر عما أقول . لأن هناك اناسا ينضمون لا بالسلبية الغيرية الناشئة عن احلال الوطن فى اللاوعى محل الأم والأب أو كليهما .

وأيضا هناك من يعتنقون الفكر الوطنى أو امتداده الاشتراكى عن تثقيف ، وتعليم . وبخبرتى اكتشفت أن معظم الانحرافات فى الحركة الوطنية والاشتراكية راجعة الى هؤلاء الذين ينطبعون بالفكر الوطنى والاشتراكى . بينما مضمونهم الحقيقى غير كفاحى . فالالتزام كما أحسه أنا شىء لم أفكر فيه اطلاقا واذكر أننى بعد أن درست الاشتراكية اثناء مرحلة تلمذتى على الحركة الوطنية وانغماسى فيها ، رجعت الى قصصى الأولى التى كتبتها قبل أن أعى اشتراكيا . فوجدت أنها اشتراكية . وأول قصة كان اسمها « نوال » . هذا قبل ما اقرأ فى الاشتراكية وهذا يدلل على أن الالتزام قد يتكون قبل التثقف . بل النشأة الأولى. أى الأعوام العشرة الأولى من حياته هى مضمونه، وما محاولاته بعد ذلك إلا واحد من اثنين: اما أن ينحى هذا المضمون ويخلق فيه . واما أن يحاول أن يغير . وفى الغالب يفشل . فهذا المضمون منه بين الحين والحين ، ويتبدى أحيانا بأشكال بالغة التنكر . وحين اشتغلت بالحركة الاشتراكية وسجنت مع الماركسيين . اكتشفت فيها أن المبالغين فى الثورية هم الذين أول من يستسلم للارهاب . بينما الناس الذين يبدو عليهم الاعتدال بل والتخاذل هم الذين يكونون أصلابا ، بينما الذين يرفعون اعلى الشعارات هم أول من يفرون .

هناك قضية نفسية فى مسألة الالتزام: وهى مسألة احلال الوطن محل الأب والأم. لأنى لاحظت بينى وبين نفسى حينما أكتب عن مصر اشعر بارتباط عنيف . وهذا هو أقوى أنواع الالتزام . أى عملية الابدال أو الاحلال بين الأم والأب الى الوطن . أى الاحلال البيولوجى كما أسميه لأنه غير قابل بحكم بيولوجيته للضياع . فقد تعرضت شخصيا فى مجال عملى ككاتب لاغراءات كثيرة ومليون عرض بمليون شكل. ولم يكن ذلك له قيمة لأننى لاأحتمل الحياة الا بهذا الالتزام . ولكن أنا أوفر الصدام حين

يكون هناك ضرورة للصدام . اما اذا وجد استبداد فانا لابد أن أقاوم الاستبداد داخل قضية الوطن وأن أصمد أمام كل الصعاب . اذن هناك قضيتان : قضية خاصة نابعة من ظروف الكاتب الشخصية ، وقضية عامة تشمل فى داخلها القضية الخاصة قد تكون الوطن أو أى قيمة أخرى .

الفصل الخامس

النتائج المستخلصة من تحليل النصوص

نتائج التحليل الكمى

يوضح الجدول التالى رقم ١ التكرارات التى حصلت عليها كل فئة من فئات التحليل والنسبة المئوية لهذه التكرارات .

الفئـــة	تكرارها بين الكتاب ن = ٣٠	النسبة المئوية
١ ـــ حرية الاختيار	١٢	٤٦٫١٥
٢ ـــ التجدد وعدم التجمد	١١	٤٢٫٣
٣ ـــ العمل لصالح الجماعة	١١	٤٢٫٣
٤ ـــ التنشئة الأولى وتكوين الالتزام	١١	٤٢٫٣
٥ ـــ الصبر على المكاره وتحمل الصعاب	١٠	٣٨٫٤٦
٦ ـــ الالتزام والنظام السياسى	١٠	٣٨٫٤٦
٧ ـــ ماليس التزاما	٩	٣٤٫٦١
٨ ـــ الموهبة والالتزام شيء واحد فى الأدب .	٨	٣٠٫٧٦
٩ ـــ الالتزام كتاريخ	٧	٢٦٫٩٢
١٠ـــ الالتزام هو العمل وليس التفكير فقط	٧	٢٦٫٩٢
١١ـــ دور العقل والوجدان فى تكوين الالتزام .	٥	١٩٫٢٣
١٢ـــ الاحساس بالمسئولية والحساب القاسى للنفس .	٥	١٩٫٢٣
١٣ـــ ارتباط الالتزام بثقافة الانسان	٥	١٩٫٢٣

١٤ــ الضبط الذاتى للسلوك	٤	١٥٫٣٨
١٥ــ الالتزام هو قول الحقيقة والجهر بها	٤	١٥٫٣٨
١٦ــ دور الدين فى تكوين الالتزام	٤	١٥٫٣٨
١٧ــ عدم الانطلاق من منفعة شخصية	٤	١٥٫٣٨
١٨ــ الانساق بين القول والفعل	٤	١٥٫٣٨
١٩ــ وضوح الهدف والرسالة فى الحياة	٤	١٥٫٣٨
٢٠ــ التكامل فى السلوك	٤	١٥٫٣٨
٢١ــ الطاعة لله والخنوع له وحده	٤	١٥٫٣٨
٢٢ــ الالتزام كقيمة مطلقة	٤	١٥٫٣٨
٢٣ــ دور القدوة فى تكوين الالتزام	٣	١١٫٥٣
٢٤ــ الصمود أمام المغريات	٢	٧٫٦٩
٢٥ــ الالتزام كجمال	٢	٧٫٦٩
٢٦ــ الالتزام عملية احلال بيولوجى	١	٣٫٨٤

مناقشة نتائج التحليل الكمى للفئات :

١ ــ كشفت نتائج التحليل الكمى كما ورد فى الجدول السابق عن أن فئة حرية الاختيار حصلت على أعلى تكرار بين الفئات الأخرى مما يشكف عن أهمية عنصر الحرية فى مفهوم الالتزام وكيف أنه عنصر جوهرى فى معنى الالتزام . وهو مايجعل مفهوم الالتزام مختلفا تماما عن الالزام حيث يوجد فى الأخير عنصر ضغط خارجى ليس مصدره الفرد نفسه ، ذلك أن اتفاق ١٢ كاتبا من أفراد العينة على أن الحرية هى شرط أساسى فى معنى الالتزام .وأن الانسان الملتزم لايعد كذلك الا اذا اتخذ « قراره » بمحض حريته . وفى هذا الصدد يقول أحد أفراد العينة ما نصه « مفهوم الالتزام بالنسبة الى مايتعلق تعلقا كاملا بمفهوم الحرية الفكرية » . ويقول آخر : « مفهوم الالتزام عندى هو أن أول صفة له أنه اختيار حر يعقبه التزام » .

ويقول ثالث ما نصه « واذا كنت أريد أن أتحدث عن ابعاد الالتزام فهى أساسا أن يكون

الانسان حرا فى سلوكه من أى قيد دنيوى أو من غيره من البشر . لأننا زائلون جميعا . وكلما تحرر الانسان من قيود الدنيا وزهوها كلما جاء سلوكه نقيا » .

وتتبلور اجابات الكتاب الـ ١٢ الذين ادرجت اجاباتهم تحت فئة « حرية الاختيار » حول المعانى التى أوردنا لها أمثلة من اجابات الكتاب الثلاثة السابقين .

٢ ــ وتأتى فئة التجدد وعدم التجمد بعد فئة حرية الاختيار مباشرة من حيث حصولها على أعلى التكرارات . فقد أجاب ١١ كاتبا من أفراد العينة بأن التجدد وعدم التجمد عند أفكار معينة هو عنصر أساسى فى تكوين الالتزام ومعناه . يقول أحد الكتاب فى هذا الصدد « ولايعنى ذلك أن الملتزم شخص أصم لاتتطور أفكاره أو تتغير . فالمهم هو أن يصدر التطوير أو التغيير عن اقتناع كامل وارادة حرة » . ويقول كاتب آخر مانصه « ومعنى هذا أن الالتزام عندى مخالف للجمود الفكرى ، فأنا أعالج فى كتاباتى السياسية مفاهيم تعتبر يسارية ، ولكننى كنت أختلف مع بعض اليساريين الدوجماطيقيين ، ولذا فأنا اعتبر نفسى قابلا لتطوير ما أعتقده دون أن أتعارض مع الالتزام » .

ومعنى هذا أن الالتزام بعيد كل البعد عن الجمود الفكرى أو الدوجماطيقية التى تجعل الفرد العادى أو الكاتب أو المفكر يتجمد عند أفكار بعينها لايحيد عنها مهما اقنعته التجربة العملية أن أفكاره خاطئة .

٣ ــ وتتساوى فئة العمل لصالح الجماعة مع الفئة السابقة من حيث حصولها على التكرارات ، اذ اتفق أيضا ١١ كاتبا على أن العمل لصالح الجماعة شرط من شروط الالتزام . وفى هذا يتبدى عنصر « اللافردية » فى مفهوم الالتزام ، وأن الشخص الملتزم لاتحركه فقط منافعه الشخصية وأطماعه الذاتية ، وانما يسعى الى العمل لصالح الجماعة سواء أكانت أسرته الصغيرة أو مجتمعه ككل أو الشعب الذى ينتمى اليه ، يقول أحد الكتاب فى هذا الصدد : « فى هذه السن المبكرة شعرت بأهمية الشعب ، كان الحفاة والعراة أكثر اخلاصا للثورة من الباشوات«ويقول كاتب آخر : « عند مستوى عال من التجريد نقول أن الانسان الملتزم يلتزم بمبادىء يتصور صاحبها أنها تفضى الى ظروف نفسية ومبادية أفضل للجماعة » .

وهنا يتداخل معنى العمل لصالح الجماعة بمعنى عدم الانطلاق من منفعة شخصية وهو ماسوف نعود اليه عند الحديث عن هذه الفئة ، حيث يتكامل معنى العمل لصالح الجماعة مع معنى التحرر من قيود المنافع الذاتية والانطلاق الى العمل لصالح الجماعات .

٤ ــ أيضا يتضح من الجدول رقم (١) أن فئة التنشئة الأولى وتكوين الالتزام قد تساوت مع الفئتين السابقتين عليها من حيث الحصول على التكرارات . فقد اتفق ١١ كاتبا على أن التنشئة الأولى للفرد تساهم فى تكوين التزامه . وفى هذا الصدد يقول أحد الكتاب مانصه « وأتصور أن المصدر الاساسى للضوابط النفسية هذه يرد من خارج الذات ، أى من التلقين : مجموعة القيم والأصول

السلوكية التى لقنت للفرد منذ الصغر . وللتلقى فى الصغر مصدران : ماادركه الصغير فى بدايات وعيه وتفتحه من سلوك المعايشين له من الكبار ، ومدى مراعاة هؤلاء للتلاؤم بين القول والفعل ، والمصدر الثانى هو ماتلقاه الصغير من أقوال وحكايات ومأثورات ، وكذلك ما عومل به الصغير من ثواب وعقاب على تصرفاته المتباينة » . ويقول كاتب آخر من أفراد العينة : « الالتزام نوع من الايمان ، ولكن ايمانى لم ينبعث برسالة أو برأى أو بثقافة ، وانما ينبعث من أشياء غرست فيه منذ الطفولة » .

٥ ـــ يتبين من الجدول السابق حصول فئة الصبر على المكاره على ١٠ تكرارات ويعنى أن ١٠ كتاب قد اتفقوا على أن الصبر على المكاره وتحمل الصعاب شرط من شروط الالتزام . يقول أحد أفراد العينة مانصه : « يبدو الالتزام للوهلة الأولى عبئا ثقيلا ، خاصة فى مجتمع لاتتأصل فيه جذور الديمقراطية ولذا فان الالتزام بكل تكاليفه ومشاقه .. » ويقول آخر : « الالتزام معركة » . وفى هذا يتضح أن الانسان الملتزم لايلين ولايتراجع عند أول منعطف يواجهه أو عند أول صعوبه يواجهها . بل ان هذه الصعوبات هى المحك الأساسى لقوة ايمانه بما يعتقد من مبادىء وأفكار .

٦ ـــ يكشف الجدول السابق عن اتفاق ١٠ كتاب أى ثلث عدد أفراد العينة على أن هناك صلة وثيقة بين مفهوم الالتزام والنظام السياسى الذى يعيش الفرد فى ظله . سواء أكان هذا النظام حكومة معينة أو سلطة أو مذهبا سياسيا . ويتبدى هذا المعنى فى قول أحد الكتاب « والالتزام يتجلى فى العمل الفنى أو الأدبى أو فى الكفاح السياسى المباشر » . ويقول آخر : « وهكذا كان مفهوم الالتزام فى الخمسينات يتحدد فى صياغة فكرية سياسية ذات مضمون اشتراكى اخلاقى ، وكان الكاتب الملتزم هو التعريف المتواضع عليه للكاتب الاشتراكى أو على الأقل التقدمى » . وتشير هذه الفئة وما حصلت عليه من تكرارات الى أن الانسان الملتزم لايكون غير عابىء بما يجرى حوله على الساحة السياسية ، طالما أن هذه الساحة سوف تنعكس قراراتها على المجتمع الذى يعيش فيه وعلى أفكاره وطموحاته .

٧ ـــ أما فئة « ما ليس التزاما » فقد حصلت على ٩ تكرارات وهذا مايؤكد معنى السواء فى مفهوم الالتزام حيث يفرق الكتاب التسعة الذين ادرجت اجاباتهم تحت هذه الفئة على اختلاف مفهوم الالتزام عن مفاهيم أخرى مثل الالزام أى حدوث ضغط خارجى على الفرد يجعله يتخذ قرارا معينا نتيجة هذا الالزام ، كذلك فهو يفرق بين الالتزام ومفاهيم مرضية أخرى مثل « التعصب ـــ التصلب ـــ التطرف »[١] .

وفى هذا الصدد يقول أحد الكتاب : « التقلب فى مختلف العهود والظروف وفقا لمشيئة السلطان لايسمى التزاما » . ويقول آخر : « فغير المسلمين يزن الأمور بعقله فقط ، فان ثبتت لديه المصلحة أقدم ، وان ترجحت لديه الخسارة أحجم ، وهذا ليس من الالتزام فى شىء » . ويقول ثالث « فالالتزام هو حركة تقوم على الحوار مع الواقع والتأثر به دون تعصب أو عنجهية فكرية » .

(١) راجع الجزء الخاص بمعنى السواء فى الالتزام فى الفصل الثانى من الدراسة .

٨ ـــ يتبين من الجدول رقم (١) أن فئة الموهبة والالتزام شيء واحد فى الأدب قد حصلت على ٨ تكرارات أى أن ٨ كتاب من أفراد العينة قد رأوا أن الموهبة صنو للالتزام فى الأدب . وأن الموهبة الحقة هى التى تجعل الأديب أو الكاتب يلتزم بمجموعة من المبادىء والأفكار ولايتأرجح تبعا لمشيئة السلطان ، أو نفاقا لبشر . وفى هذا الصدد يقول أحد الكتاب « واعتقادى أن كل كاتب غير ملتزم لايكون كاتبا ، وانما يكون مجرد أداة للتسلية وازجاء الوقت . الأمر الذى يتطلب أن يقف بعيدا جدا عن مكانة الكاتب فى الحياة » .

ويقول آخر : « الالتزام بالنسبة للأديب أو الفنان يعادل فى ضرورته وأهميته مايتمتع به الأديب من موهبته ، اذ يستحيل الاحتفاظ بالموهبة الابداعية داخل كيان يعانى صاحبه من عجز تنمية هذه الموهبة والحفاظ على التزامه بها » .

وفى هذا الصدد يؤكد كاتب ثالث « أن الكتابة موهبة من الله . والموهبة نعمة . واصل أن الموهبة تحتاج الى علم وعناء وتجارب ونضج ولكنها فى النهاية موهبة من الله فاذا كان الله قد منح انسانا قدرة فنية خاصة ، فان واجب الانسان أن يوجه هذه الموهبة أى هدية الله تعالى ومنحته فيما يرضى الله».

٩ ـــ واذا أردنا الآن تجميعا لبعض الفئات التى حصلت على اتفاق بين أكثر من ثلث الكتاب وعلى فئات أقل من ثلثهم بقليل أى الفئات التى اتفق ازاءها ٨ كتاب وهى الفئات من ١ الى ٨ ، كما يبين الجدول لاستطعنا أن نلخص الصفات التى اتفق هؤلاء الكتاب على أنها صفات جوهرية فى الالتزام أو هى مكونات أساسية فى مفهوم الالتزام لكانت كالتالى :

« أن الشخص الملتزم هو حر فى اختياراته ، وأن التزامه هذا لايعنى تجمدا فكريا ، كما أنه يسعى للعمل لصالح الجماعة وأنه تأثر بما لقن له فى تنشئته الأولى ، وأنه شخص يصبر على المكاره ويتحمل الصعاب ، كما أن له موقفا معينا من النظام السياسى الذى يعيش فى ظله ، وهو لايلتزم بفعل ضغط قوى خارجية ، ولا هو متعصب أو متصلب أو متطرف ، كما أنه اذا كان كاتبا أو أديبا فان التزامه هو صنو وتوأم لموهبته » .

ويتبدى فى الفقرة السابقة « تكامل » الابعاد الفلسفية والاجتماعية والنفسية والسياسية ، وكذلك بعد السواء والبعد الجمالى بالنسبة لمفهوم الالتزام .

١٠ ـــ يشير الجدول رقم (١) الى أن هناك ٧ كتاب من أفراد العينة قد عالجوا مفهوم الالتزام من حيث تاريخه . سواء ككلمة أو كمعنى . وفى هذا الصدد يقول أحد الكتاب « ظهرت قضية الالتزام كقضية فكرية بعد الحرب العالمية الثانية ، وتفشت فى أفكار جان بول سارتر قياسا على نظريته فى الحرية وتعريفه للانسان ، واعتباره أن الحرية التزام لكل انسان . وتداخلت مع النظرية الماركسية التى تطالب فى

التطبيق الفكرى والأدبى والفنى بالالتزام بقضايا الجماهير » . وجاء فى اجابة كاتب آخر من أفراد العينة مانصه : « أما الالتزام فى معناه الحديث الذى جاءنا من الحضارة الغربية فقد تجلى منذ نشأة الماركسية فيما كان يسمى وحدة الفكر والعقل ، وهذا قديم قدم الأديان » . وفى هذه الفئة تظهر أهمية معالجة تاريخ الالتزام كظاهرة ، حيث من الضرورى لفهم أية ظاهرة التعرف على تاريخها سواء ككلمة أو كفعل أو كمعنى وقد تعرضنا لذلك تفصيلا فى الاطار النظرى فى الجزء الخاص بالمنظور التاريخى . وتناولنا كيف أن تاريخ الالتزام كمعنى الى تاريخ الفكر البشرى ككل ، وأنه تبلور أكثر من ظهور الأديان غير السماوية أولا ثم بعد ذلك فى الأديان السماوية ، وتبلور بشكل أخص فى الاسلام حينما نزل القرآن الكريم محددا للسلوكيات اليومية للمسلمين حتى اذا اختلفوا فيما بينهم ازاءها عادوا الى الكتاب الكريم .

وعقب ذلك تعرضت الماركسية الى المفهوم عن طريق ربط الفعل أو السلوك بالفكر أو القانون أو المبدأ .

١١ — يتبين من الجدول رقم (١) أيضا اتفاق ٧ كتاب من أفراد العينة أى بنسبة ٢٩٫٩٢٪ على أن الوحدة بين الفكر والسلوك أمر ضرورى فى مفهوم الالتزام ، وأن التفكير وحده أو الايمان وحده بمبدأ من المبادىء لايكفى لكى يكون الفرد ملتزما ، وانما يجب أيضا أن يقترن هذا الفكر بعمل يترجمه ويتسق معه ، وألا يكون العمل بعيدا عما يفكر فيه الانسان أو يؤمن به .

يقول الله تعالى فى سورة الفتح « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم » . صدق الله العظيم .

وقال تعالى فى سورة المائدة « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى ، من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا ، فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون » . صدق الله العظيم .

ويقول محمد أحمد خلف الله فى هذا الصدد « جعل الله دخول الجنة جزاء من آمن وعمل صالحا ، اذ الايمان بغير عمل صالح لايكفى لتزكية النفس واعدادها لهذا الجزاء . ولايكاد يوجد الايمان بغير العمل الصالح الا أن يموت المرء فلا يتسع الوقت لظهور هذا الايمان »[(١)] .

١٢ — ويتبين من الجدول نفسه اتفاق ٥ كتاب من أفراد العينة (أى بنسبة ١٩٫٢٣) على أن للعقل والوجدان دورا هاما فى تكوين الالتزام وتوجيهه بل ان أحد أفراد العينة جعل الالتزام أمام العقل أساسا وهو فى هذا الصدد يقول « ومن هذه المقدمات أصل إلى النتيجة التى أجدها تعبر عما أراه من ناحية الالتزام ومعناه وهى أن الالتزام هو التزام أمام العقل على افتراض أن الفكرة الملتزم بها هى التى قد رضى عنها العقل لصدقها » . وقال آخر : « وبما أن الايمان أو الالتزام حركة ذات جوانب عقلية ونفسية » . وقال ثالث : « ومن هنا فان الالتزام عندى — حتى وهو وقتى ونسبى — لاينسجم الا

(١) محمد أحمد خلف الله ، القرآن والثورة الثقافية، الانجلو المصرية، ١٩٧٤، ص ٨٢ ، ٨٣ .

بانسجام العقل والقلب معا » .

١٣ ــ واذا كان ٥ كتاب قد اتفقوا على دور العقل والوجدان فى تكوين الالتزام فان ٥ كتاب آخرين اتفقوا على أن الالتزام هو احساس داخلى بالمسئولية وحساب قاس للنفس . فيقول أحد أفراد العينة « ولست أنأى بنفسى عن هذه المعركة ، فأحيانا اتعرض لتأنيب الضمير بشكل مرير المذاق لأننى تجاوزت هذا الالتزام أو ذاك » . ويقول آخر « يترتب على ذلك أن شرطا أساسيا من شروط الالتزام ، توافر درجة قوية من « الحس الأخلاقى » وشعور قوى بالمسئولية ، أيا كان موضوع هذه المسئولية » . ويتأكد الخلاف بين الكتاب فيما يخص دورى العقل والضمير فى تكوين الالتزام فى قول أحد الكتاب ولذا فان التركيب النفسى الخاص للانسان الملتزم لايحمل غلبة العقل وحساباته الباردة (وأن كان يتضمن ذلك) ولكنه يحمل غلبة « القلب » أو « الضمير » أو « الأنا الأعلى » ... الخ .

١٤ ــ يشير الجدول رقم (١) الى أن ٥ كتاب من أفراد العينة قد تناولوا ارتباط الالتزام بثقافة الانسان ، بمعنى أن مضمون الالتزام يتأثر باختلاف الثقافات والحضارات التى يعيش فيها الانسان ويتنفسها . وهنا يرى أحد أفراد العينة أن « الالتزام مسألة تختلف من ثقافة الى أخرى . فمثلا التزام الرجل الأوروبى غير الأمريكى غير الصينى غير اليابانى . هذا عن الاطار العام للالتزام وبالتحديد مايحيط به من حضارات مختلفة . أو ثقافات مختلفة » .

ويقول آخر « هكذا كان الالتزام عند الفنان المصرى القديم فيما اعتقد . فقد كان ملتزما بخدمة عقيدة دون أن يشعر بارغام على ذلك (لاحظ أيضا فكرة حرية الاختيار بدون ضغط) لأن العقيدة فعلا عقيدته التى نشأ عليها وركبت فى طبيعته » .

١٥ ــ أما بالنسبة لفئة الضبط الذاتى للسلوك فقد اتفق ٤ كتاب من أفراد العينة على أن الالتزام مصدره ضبط ذاتى من داخل الانسان لسلوكه ، أى بشكل سيبرنيتى(١) . وفى هذا الصدد يقول أحد أفراد العينة «أتصور أن الالتزام ينطوى على نوع من الضبط الذاتى للسلوك ، أى الاتساق بين مجموع القيم والمعتقدات التى يؤمن بها الفرد وبين مجمل تصرفاته وسلوكياته » . ويقول آخر : « الالتزام هو انبعاث نفسى راجع الى طبيعة وتكوين الفرد الداخلى وتراثه الشخصى » . وكاتب ثالث يقول مانصه : « هذه أول مرة تتاح لى أن أبدى رأيا فى هذا الموضوع لأننى كنت أتحاشى ذلك . لأن الالتزام شىء داخلى فى نفسى » .

١٦ ــ ويشير الجدول نفسه أيضا الى أن ٤ كتاب من بين أفراد العينة اتفقوا كذلك على أن الالتزام هو قول الحقيقة والجهر بها . فليس كافيا أن يكون الانسان عالما بحقيقة شىء ولايجهر بما يعلمه .

وهذا المعنى نجده أيضا فى الاسلام . يقول الله تعالى

(١) راجع الجزء الخاص بالضبط الذاتى للسلوك ، فى المنظور النفسى . الفصل الثانى من هذه الدراسة .

« يا أيها الذين آمنوا لاتكتموا الشهادة ، ومن يكتمها فانه آثم قلبه » .

وفى هذا الصدد يقول أحد الكتاب « الالتزام هو أن نعود الى قولة « شيل شميل » التى اطلقها فى نهاية القرن التاسع عشر « الحقيقة أن تقال لا أن تعلم » .

ويقول آخر من أفراد العينة : « والذى يحدد الالتزام هو الحرص على « الحقيقة » وافساح المجال لها لكى تصل الى عقول الناس . والحقيقة لاتفتعل بل انها تستخرج من حوار حر وقادر . (نلاحظ هنا اقتران قول الحقيقة بمفهوم الحرية الانسان ، حيث لايخشى الانسان أحدا من البشر وانما هو يجهر بما يعتقد أنه حق بحرية . وهنا يلاحظ تداخل بعض المعانى المكونة لمفهوم الالتزام وهذا مايؤكد أنه مفهوم مركب وثرى وليس بسيطا) .

١٧ ــ يشير الجدول نفسه أيضا الى أن ٤ كتاب من أفراد العينة قد اتفقوا على أهمية دور الدين فى تكوين الالتزام اذ يقول أحد هؤلاء الكتاب مانصه « واتصور أن الدين يلعب دورا من أخطر الأدوار فى تشكيل البنية الذاتية للانسان ، ومايصدر عنه من ضوابط للسلوك بعد ذلك . وهو مصدر هام من مصادر الالتزام » . ويقول آخر مانصه . « وكنت فى حوالى السادسة عشرة من عمرى ، اعلنت بينى وبين نفسى أننى لست مسلما ولامسيحيا ، وانما يجب أولا أن اقتنع وأن اختار ، وهى فترة كان لها أثر كبير فى حياتى اذ قضيت حوالى ستة أشهر وأنا مصاب بحالة نفسية ارقدتنى الفراش . ولو أننى فى هذه الفترة بدأت دراسة الاسلام دراسة واسعة ، واعدت قراءة القرآن اكثر من ثلاث مرات وفى الوقت نفسه كنت أقرأ فى المسيحية » .

وفى هذا الجزء من النتائج يتأكد دور الدين كأحد مكونات الالتزام بغض النظر عن مضمون تعاليم هذا الدين أو ذاك .

١٨ ــ يتبين من الجدول نفسه اتفاق ٤ كتاب من أفراد العينة على أن التكامل فى سلوك الانسان عنصر هام من عناصر الالتزام . ويقول أحد أفراد العينة فى هذا الصدد مانصه « الالتزام فى أى مجال يشكل مايمكن أن نعرفه بأنه كل متكامل فى كافة المجالات الأخرى» ويؤكد كاتب آخر « فالمسلم يرى أن كل تصرفاته فى شتى ضروب الحياة ماصغر منها وماكبر خاضعة لما آمن به من عقيدة لايشذ عنها يمنة ولايسرة، والا فانه يبدو متناقضا مع نفسه » .

وفى مفهوم التكامل هذا تتأكد ضرورة الاتساق بين سلوكيات الانسان بعضها مع البعض الآخر بمعنى أنه من غير المعقول أن يتصرف الانسان بروح ديمقراطية مثلا مع أولاده ثم يأتى ويتصرف بعكس ذلك مع مرؤوسيه فى العمل ، أو أن يكون أمينا فى حياته العامة وغير أمين فى حياته الخاصة ، أو أن يكون كذابا فى أقواله ولكنه أمين مع زوجته ، فهذه الفئة أى فئة « التكامل فى السلوك » تشير الى ضرورة أن يكون الانسان متكاملا فى سلوكياته ككل .

١٩ ـــ اتفق أيضا ٤ كتاب من أفراد العينة كما يتبين من نتائج التحليل الكمي للبيانات على أن الاتساق بين القول والفعل عنصر ضروري فى الالتزام كمفهوم . ويهمنا فى هذه الفئة أن حصولها على ٤ تكرارات فقط لايعنى أنها هامشية فى معنى الالتزام . لأنه باستعراض الفئات الأخرى التى حصلت تكرارات عالية مثل حرية الاختيار تتداخل هذه الفئة معها . بمعنى أن حرية الاختيار تعنى أن الانسان يفعل طبقا لما يقول غير خاضع لأى ضغط يحد من حريته فى الفعل الذى يتسق مع أقواله . لأنه من المفهوم أن الفرد يضطر الى أن يفعل بشكل غير مطابق لأقواله خوفا من ضغط أو لوم معين . ولكنه حينما تتحرر ارادته من أية ضغوط خارجية فانه سوف يسلك طبقا لما يفكر ولما يقول . ولذلك فان حصول هذه الفئة على تكرارات أقل لايعنى هامشيتها فى مفهوم الالتزام لأنها فى معناها تتداخل مع فئات أخرى ، كما سبق وأشرنا عند الحديث عن تداخل بعض الفئات مع بعضها الآخر .

والأتساق بين القول والفعل هو نقيض لما يسمى بالازدواجية duality وفى هذا الصدد فنحن نتساءل من منا لم يلتق فى حياته بذلك الانسان الذى ينادى بمثل وقيم معينة ولكنه أبدا لايطبقها فى حياته ؟ مثل من ينادى مثلا بتحرر المرأة ولكنه يعامل زوجته بقهر شديد واهدار لحقوقها . أو ذلك الذى ينادى بتطبيق الاشتراكية ولكنه يعيش حياته الخاصة فى بذخ شديد ، أو ذلك الثرى الذى يهاجم استغلال الانسان لأخيه الانسان ، واذا به يستغل أقرب الناس اليه وفى أقرب فرصة يتعرض فيها لهذا الامتحان .

وفى القرآن الكريم نجد أن الله يحذر عباده من هذه الرذيلة فيقول فى سورة الصف « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لاتفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون » .

ويقول ابن كثير فى شرح هذه الآية مانصه « قال قتادة والضحاك أن هذه الآية نزلت توبيخا لقوم كانوا يقولون : قتلنا ، ضربنا ، طعنا ، وفعلنا ، ولم يكونوا فعلوا ذلك »(١) .

وجاء فى شرح آخر للآية نفسها لابن زيد : « نزلت فى قوم من المنافقين كانوا يعدون المسلمين النصر ولايفون لهم بذلك »(٢) .

وفى سورة آل عمران يقول تعالى « يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون » .

وفى تفسير ابن كثير لهذه الآية « أنها تعنى أنهم يقولون القول ولايعتقدون فى صحته »(٣) .

والواقع أن فئة الاتساق بين القول والفعل نجد أنها تتداخل مع فئة ، الالتزام هو العمل وليس

---

(١) ابن كثير . المجلد الثالث . ص ٤٩٢ .
(٢) ابن زيد . المجلد الأول ، ص ٦٨ .
(٣) ابن كثير ، المجلد الأول ، ص ٣٣٥ .

التفكير فقط . ويظهر هذا التداخل فى اجابة أحد أفراد العينة بما نصه « بمعنى ان الانسان يجرى تصرفاته وفق ضوابط يحددها له ما استقر فى نفسه من معتقدات وقيم ، فالالتزام صلة بين الفكر والسلوك أو ما يسمى القول والعمل » .

وفى اجابة هذا الكاتب نلاحظ التداخل بين مفهومى اتساق التفكير والعمل ثم اتساق القول والفعل . وهذا الاتساق سواء الأول أو الثانى هو انعكاس لتداخل ثلاثة مستويات داخل الفرد نفسه ونعنى بها مستويات :

١ ــ المعرفى Cognitive

٢ ــ الانفعالى Affective

٣ ــ سلوكى behavioural

أى أن هناك ثلاث دوائر هى كالتى تتداخل فيما بينها :

معرفى انفعالى سلوكى

ويتبين من السياق السابق أن الاتساق بين هذه الدوائر الثلاث هو الأصح نفسيا للفرد وللمجتمع على السواء ــ أى أن تكون هناك وحدة واتساق بين الفكر والقول والسلوك لدى الانسان السوى .

وقد أسهبنا قليلا فى هذه الفئة نظرا لأن حصولها على تكرارات قليلة نسبيا أمر زائف لأن أجزاء من معانيها قد تداخلت فى فئات أخرى حصلت على تكرارات عالية كما سبق وأشرنا .

٢ ــ يشير الجدول رقم (١) الى اتفاق ٤ كتاب من أفراد العينة الى أن « وضوح الهدف والرسالة فى الحياة » عنصر هام فى مفهوم الالتزام وفى هذا يقول أحد أفراد العينة مانصه : « اعتقد أن مفهوم الالتزام يتطلب أن يكون للانسان غاية وهدف من حياته . وبناء على الرسالة والهدف تكون أبعاد الالتزام . فالالتزام كقضية محورية يعنى وضوح الهدف والرسالة ثم تأتى الجزئيات والتفاصيل » . ويقول آخر « أنا أعرف شيئا واحدا هو الايمان ، وكنت أعتبر أن الايمان هو الذى يربط بين الانسان باشياء معينة ، وانا استعمل كلمة اشياء لتشمل المعتقدات والمواقف ازاء المجتمع مطلقا وبشكل واضح » .

ونلاحظ أيضا تداخلا بين هذه الفئة وفئات أخرى مثل فئة الصبر على المكاره وتحمل الصعاب لأن هذه الفئة تعنى وضوح الهدف فى داخل الفرد ولرسالته فى الحياة ، والا ففيم كان الصبر على صعاب ؟ هل من أجل الأهداف أو من أجل هدف غامض ومبهم ؟ أيضا تتداخل فئة وضوح الهدف

والرسالة مع فئة الاساس بالمسئولية والحساب القاسى للنفس . والا ففيم هذا الحساب اذا لم يكن طبقا لرسالة وهدف معين يقاس عليهما ؟

ولذا فان التداخل أحيانا بعض الفئات يجعل حصول هذه الفئات على تكرارات قليلة أمرا يجب تعليله بشكل مفصل .

٢١ ـــ اتفق ٤ كتاب من أفراد العينة على أن الالتزام هو طاعة الانسان لربه والخنوع لأوامره ونواهيه وفى هذا الصدد يقول أحد الكتاب مانصه : « الالتزام فى رأيى هو طاعة الله عز وجل . فهذا الذى يلزمنا باتيان كل مافيه خير الانسانية ، والتزامنا بهذه الطاعة هو الذى يجعلنا فى اتساق مع أنفسنا ومع الله عز وجل » . ويقول كاتب آخر « وعند المسلمين فالالتزام مرادف لكلمة الخنوع حتى أصبح التعبير الشائع بين المسلمين هو الخنوع للذات العلية أكثر من الالتزام » .

وكما يلاحظ فان هذه الفئة تتداخل مع فئة دور الدين فى تكوين الالتزام ، وقد اسهبت الباحثة قليلا عند الحديث عن هذه الفئة الأخيرة .

٢٢ ـــ يشير الجدول رقم (١) الى أن ٤ كتاب من أفراد العينة قد أجابوا بأن الالتزام هو قيمة مطلقة بغض النظر عن مضمونه . وفى هذا الصدد يقول أحد الكتاب مانصه « ولايشترط بالضرورة لكى يوصف مفكر بأنه « ملتزم » مضمونا معينا لفكرة . فأنت قد تكون ملتزما سواء كنت يساريا أم يمينيا ، سلفيا أم تقدميا ، اشتراكيا أم رأسماليا» .

ويقول آخر « ومن هنا يمكن القول أن الالتزام بهذا المفهوم كان ظاهرة عالمية ووطنية فى تلك المرحلة ، ولأنه كان ذو طبيعة فكرية حادة فانه كان بسيطا فى تركيبه الفلسفى والتاريخى والاجتماعى أقرب مايكون الى « القيمة المطلقة » سواء أكان من جانب مؤيديه أم معارضيه » .

على أن لنا رأيا فى هذا الصدد سوف نتعرض له بالتفصيل عند اختتام هذه الدراسة بوجهة نظرنا فى موضوع الالتزام .

٢٣ ـــ وعند هذا الموضع من مناقشتنا لنتائج التحليل الكمى لابد من وقفة أخرى نضيف بها ماكنا قد بدأناه فى وقفة أولى عند الانتهاء من تناول فئة « الموهبة والأدب شيء واحد فى الأدب » وبلورنا خلال تلك الوقفة المعانى الجوهرية فى مفهوم الالتزام وهى التى جاءت فى اجابات أكثر من ثلث العينة أى فى الفئات من ١ ـــ ٨ . أما فى وقفتنا هذه ، فاننا سوف نتناول المعانى التى اتفق عليها من ٧ الى ٤ كتاب من أفراد العينة وهى المعانى التى وردت فى الفئات من ٩ ـــ ٢٢ ، وبذلك نضيف المعانى التى تحتل موقعا متوسطا فى المعانى الداخلة ضمن مفهوم الالتزام وتتبلور فى الفقرة التالية :

« الالتزام يعنى كلمة لها تاريخ معين ، وأنها تعنى العمل وليس التفكير فقط ، وللعقل والوجدان دور هام فى تكوين الالتزام وهو يعنى الاحساس بالمسئولية والحساب القاسى للنفس وهو يرتبط بثقافة

الانسان ، وفيه يتحقق ضبط ذاتى للسلوك ، كما أنه يتضمن معنى الصدق وأن يجاهر الانسان بما يعلمه من حقائق ، وللدين دور فى تكوين الالتزام ، وفيه لاينطلق الانسان من منفعة شخصية ، وهو يتبدى فيه ذلك الانسان بين القول والفعل ، وفيه تكون رسالة الانسان وهدفه من الحياة واضح ، كما أنه يتطلب تكاملا فى السلوك من جانب الانسان ، وأحيانا هو يعنى أن يطيع الانسان لله ويخضع له تماما فى سلوكياته ، وهو قيمة مطلقة بغض النظر عن مضمونه » .

وبهذا نكون قد استعرضنا الفئات والمعانى الداخلة فى مفهوم الالتزام سواء منها الجوهرى أو الذى يحتل مكانة متوسطة فى مفهوم الالتزام » .

ننتقل الآن الى بقية نتائج الجدول رقم (١)

٢٤ ــ اتفق ٣ كتاب من أفراد العينة على أن للقدوة دورا فى تكوين الالتزام . فقد ذكر أحد أفراد العينة « فاشتغالى بالفن والرواية هو قرار اتخذته منذ كنت فى الثالثة عشرة ، وكان هناك دخل كبير لابى فى اتخاذ هذا القرار ، لأنه توفى وأنا فى هذه السن . وقد مات وهو مشغول بتأليف كتاب « جان دارك فى سبيل الوطن » وهذا جانب من الجوانب النفسية والاجتماعية التى كونت الالتزام بالكتابة الأدبية عندى » . ويقول آخر : « هناك نقطة أخرى . العلاقة التى تنشأ بين الطفل وأبويه ، وأنا صلتى بأمى بالذات اثرت .. فهى كانت انسانة لِيست متعلمة ولكنها ذات قيم شريفة . وكنت متعلقا بها جدا . وكان لى منها معاملة خاصة . واعتقد أن هذا كان من عناصر التأثر بهذه القيم الانسانية الشريفة فاذن طبيعة العلاقة التى كانت بينى وبين أمى كان لها تأثير كبير على ارتباطى بمفهوم الالتزام » .

والواقع أيضا أن حصول هذه الفئة على تكرارات قليلة أمر زائف أيضا لايبرز أهمية هذه الفئة ، وهذا يرجع فى رأينا الى تداخل هذه الفئة مع فئة التنشئة الأولى وتكوين الالتزام التى حصلت على تكرارات عالية (١١) لأن التنشئة الأولى تتضمن بشكل جوهرى دور الأبوين أو أى قدوة أخرى فى تشكيل معانى الالتزام .

٢٥ ــ حصلت فئة الصمود أمام المغريات على اتفاق بين اثنين من الكتاب فقط ، يقول أحدهما : « فقد تعرضت شخصيا فى مجال عملى ككاتب لاغراءات كثيرة ومليون عرض بمليون شكل ولم يكن ذلك له أية قيمة ، لأننى لااحتمل الحياة الا بهذا الالتزام » . ويقول الكاتب الثانى « الا أن الملتزم ليس فى موقف الدفاع دوما ، وبالتالى فان معايير تقييمه لاتقف عند امتحان صموده أمام المكاره ، فهو مطالب بتسوية مبادئه ، وهو مطالب بهزيمة معارضيها ، وقد يكون امتحان التزامه عند الانتصار أشد قسوة من امتحانه فى موقف الضعف والانكسار . وفى الحالين فان درجة الالتزام العالية تتطلب فى الوقت نفسه كفاءة عالية فى السلوك الملتزم لتحقيق الهدف » .

ولعل حصول هذه الفئة على تكرارين فقط ما يلفت النظر الى أنها تتداخل بشكل كبير مع فئتين أخريين هما « الصبر على المكاره وتحمل الصعاب » و « عدم الانطلاق من منفعة شخصية » ولذا فان

هذا التداخل يسلم الى نوع من الاتساق داخل المعانى الثلاثة لهذه الفئات الثلاثة . بمعنى أنه حينما يصبر الانسان على الصعاب والمكاره فانه فى الوقت نفسه يعزف عن المغريات .. مغريات الحياة بكافة اشكالها ، وهو فى الوقت ذاته يضع التزامه فوق أية منفعة شخصية أو ذاتية .

ولذا فان حصول هذه الفئة على تكرارات قليلة لايعنى أنها غير هامة أو غير جوهرية فى مفهوم الالتزام وامتحان صاحبه . بل اننا نذهب الى أبعد من هذا ونتفق مع الكاتب رقم ٦ حينما قال « وقد يكون امتحان الالتزام عند الانتصار اشد قسوة من امتحانه فى موقف الضعف والانكسار» .

٢٦ ـــ اتفق اثنان من أفراد العينة على أن الالتزام فيه عنصر جمالى وذلك فى فئة « الالتزام كجمال » يقول أحد الكاتبين مانصه : « الالتزام هو الاحساس بالمسئولية عن تغيير العالم أو البيئة الى الأعلى أو الأرقى وهو يتجلى فى العمل الفنى أو العمل الأدبى » . ويقول الآخر « وكل هذه القيم فكرية وجمالية ايضا ، لأننى لم أفصل بين موقفى الفكرى وعاطفتى الفنية ، وذلك لأننى انظر الى العدل على أنه جمال واتساق ولاتختلف عندى روعة قطعة فنية عن وقع العدالة ، سواء كانت عدالة شخصية أمام القضاء، أو عدالة عامة كتحرر وطن أو شعب مستعبد، ومن هنا فان الالتزام عندى ـــ حتى وهو نسبى ورقتى ـــ لاينسجم الا بانسجام القلب والعقل معا. ومتعة القراءة واكتشاف المجهول لاتختلف عن متعة العمل من أجل رفع أحد المظالم او اقرار حق أو اقامة عدل » .

وفى هذه الفئة « الالتزام كجمال » يتبدى معنى غريب فى مفهوم الالتزام ، وهو أنه يحمل فى طياته احساسا بالجمال يستشعره صاحبه : فهو ليس دائما صبرا على المكاره أو معركة أو معاناة فقط . وانما هو أيضا يجلب للشخص رضاء عن نفسه ، واحساسا بالجمال والمتعة . ونظرا لجدة هذا المعنى فهو جدير بدراسة متعمقة فى هذا الصدد ، تميط اللثام عن دهاليز هذا المعنى وأبعاده .

٢٧ ـــ جاءت بعد ذلك اجابة لكاتب واحد من أفراد العينة جديرة بالتوقف أمامها ومناقشتها وهى أن الالتزام « عملية احلال بيولوجى » يقول الكاتب الأوحد فى هذا الصدد « فقد لاحظت بينى وبين نفسى مثلا حينما أكتب عن مصر ، أشعر بارتباط عنيف . وهذا هو أقوى أنواع الالتزام . أى عملية الابدال أو الاحلال بين الأم والأب الى الوطن . وهو الاحلال البيولوجى كما أسميه ، لأنه غير قابل ـــ بحكم بيولوجيته ـــ للضياع » .

وفى هذه الاجابة نعثر على مايمكن تسميته « بالبديل الوالدى Parental substitute » أى هو يعتبر أن حاجة الطفل لوالديه حاجة بيولوجية . ومن خلال تواجد الأب والأم أثناء الاشباع البيولوجى يحدث ارتباط بهما (ارتباط وإشباع ثانوى) وهذا يجعله يحب والديه نتيجة لعملية الاشباع . ونتيجة لهذا لو أن الانسان وجد فى وطنه اشباعا لتحقيق حاجاته ، وبخاصة عند حرمانه من هذا الاشباع عن طريق والديه ، يصبح الوطن فى هذه الحالة هو البديل العقلى للوالدين . فيتحقق الاشباع للحاجة البيولوجية الأصلية التى كان الوالدان يقومان بتحقيقها . ولذا فقد أطلق عليه هذا الكاتب ما سماه « بالاحلال البيولوجى » .

ومن المعروف فى علم النفس ان الاتجاه المتطرف يولد النقيضين . ذلك أن أبحاث علم النفس تشير مثلا الى أن النبذ كاتجاه لدى الأم مثلا قد يؤدى الى نبذ شديد أو الى حنان زائد لدى المنبوذ (أى أولادها) .

وهنا فان على علماء النفس أن يجيبوا على هذا السؤال هل الحب الشديد للوطن يتطلب بالضرورة أن يعانى الانسان من فقدان لحب الوالدين حتى يحدث ذلك الاحلال البيولوجى بين الانسان والوطن . هذه النقطة تتطلب اجراء بعض البحوث النفسية المتعمقة فى هذا الصدد .

والى هنا تنتهى مناقشة النتائج التى تضمنها الجدول رقم ١ من التحليل الكمى وهنا ينبغى لنا من وقفة ثالثة تتبلور من خلالها معانى اضافية فى مفهوم الالتزام بالاضافة الى المعانى التى تتضمنها الوقفتان الأولى والثانية أى عند الفئة رقم ٨ التى حصلت على اتفاق بين ٨ كتاب من أفراد العينة ، والأخرى عند الفئة رقم ٢٢ التى حصلت على اتفاق ٤ كتاب من أفراد العينة . أما الوقفة الثالثة التى نحن بصددها الآن فهى تتضمن المعانى التى بدأت من الفئة رقم ٢٣ وهى فئة دور القدوة فى تكوين الالتزام حتى الفئة الأخيرة رقم ٢٦ وهى فئة الاحلال البيولوجى .

وعندئذ نجد أن المعانى التى تضاف الى المعانى السابقة فى مفهوم الالتزام هى كالتالى : « ان الالتزام يعنى ان للقدوة دورا فى تكوينه ، وأنه يتطلب صمودا أمام ما يعترض الفرد من مغريات مادية أو معنوية ، كما أن له معنى جميلا يستشعره الشخص الملتزم ، وهو نادرا ماينتج عن عملية احلال بيولوجى يقوم بها الشخص » .

الجدول رقم (٢) يوضح الفئات وتكرارها داخل محتوى أو مضمون جميع الكتاب والنسبة المئوية لهذه التكرارات

الفئـة	تكرارها فى اجابات الكتاب أنفسهم ن = ٣٠	النسبة المئوية
١ ــ فئة التجدد وعدم التجمد	٢٥	١٠٫١٢
٢ ــ العمل لصالح الجماعة	٢١	٨٫٥
٣ ــ التنشئة الأولى وتكوّن الالتزام	١٨	٧٫٢٨
٤ ــ الصبر على المكاره وتحمل الصعاب	١٥	٦٫٠٧
٥ ــ الالتزام هو العمل وليس التفكير فقط	١٥	٦٫٠٧

٦ ـ الموهبة والالتزام شيء واحد فى الأدب	١٤	٥٫٦٦
٧ ـ حرية الاختيار	١٤	٥٫٦٦
٨ ـ الالتزام كتاريخ	١١	٤٫٤٥
٩ ـ الالتزام والنظام السياسى	١٠	٤٫٠٤
١٠ـ الألتزام هو الطاعة والخنوع لله وحده	١٠	٤٫٠٤
١١ـ ماليس التزاما	١٠	٤٫٠٤
١٢ـ دور العقل والوجدان فى تكوين الالتزام	٩	٣٫٦٤
١٣ـ الاحساس بالمسئولية والحساب القاسى للنفس	٩	٣٫٦٤
١٤ـ الاتساق بين القول والفعل	٨	٣٫٢٣
١٥ـ الالتزام هو الضبط الذاتى للسلوك	٧	٢٫٨٣
١٦ـ الالتزام هو قول الحقيقة والجهر بها	٧	٢٫٨٣
١٧ـ عدم الانطلاق من منفعة شخصية	٧	٢٫٨٣
١٨ـ الالتزام هو التكامل فى السلوك	٦	٢٫٤٢
١٩ـ الالتزام كقيمة مطلقة	٦	٢٫٤٢
٢٠ـ وضوح الهدف والرسالة فى الحياة	٥	٢٫٠٢
٢١ـ ارتباط الالتزام بثقافة الانسان	٥	٢٫٠٢
٢٢ـ دور الدين فى تكوين الالتزام	٥	٢٫٠٢
٢٣ـ دور القدوة فى تكوين الالتزام	٣	١٫٢١
٢٤ـ الالتزام هو احلال بيولوجى	٣	١٫٢١
٢٥ـ الصمود أمام المغريات	٢	٠٫٨
٢٦ـ الالتزام كجمال	٢	٠٫٨
المجموع الكلى للتكرارات	= ٢٤٧	

مناقشة نتائج الجدول رقم (٢) من التحليل الكمى :

أ) يشير الجدول السابق رقم (٢) الى التكرارات التى حصلت عليها فئات التحليل الكمى عبر اجابات الكتاب أنفسهم . أى فى داخل نص اجابة كل كاتب . فمثلا اذا أخذنا فئة التجدد وعدم التجمد نجد أنها قد تكررت داخل اجابات الكتاب ٢٥ مرة أى مايوازى نسبة ١٢ر١٠ مئوية . فاذا كان ١١ كاتبا قد اتفقوا على هذه الفئة كما يشير الجدول رقم (١) . فان من هؤلاء الكتاب من كرر هذه الفئة فى اجابته مرتين أو ٤ مرات مثلا . ولذا فقد حسبت عدد المرات التى كرر فيها الكاتب هذه الفئة . ثم اجريت عملية جمع لهذه المرات فى الخانة الخاصة بـ « تكرارها فى اجابة الكاتب نفسه » . وذلك كما تشير ملاحق الجداول الخام المرفقة فى نهاية الدراسة .

ب) بمقارنة النتائج فى الجدول رقم (٢) بالنتائج التى تضمنها الجدول رقم (١) نجد التالى :

١ ـــ لم يتغير كثيرا الشكل العام للجدول رقم (٢) عن الجدول رقم (١) . بمعنى أن الفئات التى كانت تحتل المركز الأول من حيث الحصول على التكرارات ظلت هى فى « مجموعها » تحتل المركز الأول أيضا فى الجدول رقم (٢) . وكذلك الفئات التى كانت تحتل مرتبة متوسطة فى الجدول الأول . ظلت أيضا فى مرتبة متوسطة فى الجدول رقم (٢) . وكذلك الفئات التى احتلت مرتبة أقل فى نهاية الجدول رقم (١) ظلت فى مجموعها أيضا فى المرتبة الأقل فى الجدول رقم (٢) . ولكن هذه النظرة العامة سوف يطرأ عليها شىء من التغيير عند النظرة المتأنية . ولكن معنى الشكل العام الواحد فى الجدولين يشير الى أن المعانى الجوهرية فى مفهوم الالتزام (فى رأى عينة الدراسة) ظلت تقريبا هى المعانى الجوهرية سواء عبر الكتاب ككل أو عبر اجابة الكاتب نفسه .

٢ ـــ عند النظرة المتأنية التى تقف على التفاصيل نجد أن بعض فئات الجدول رقم (١) قد تبادلت مراكزها مع فئات أخرى قبلها أو تليها فى الجدول رقم (٢) . فمثلا فئة حرية الاختيار حصلت على أعلى التكرارات (وبالتالى أعلى نسبة مئوية) فى الجدول الأول ، بينما هى فى الجدول الثانى جاء ترتيبها السابع وأصبحت فئة التجدد وعدم التجمد هى الفئة رقم (١) فى الجدول الثانى . كذلك فان فئة العمل لصالح الجماعة قد تبوأت المركز الثانى فى الجدول رقم (٢) وكانت فى المركز الثالث فى الجدول رقم (١) .

٣ ـــ كذلك فئة التنشئة الأولى وتكوين الالتزام كانت رقم ٤ فى الجدول (١) فأصبحت رقم ٣ فى الجدول (٢) . أما فئة الصبر على المكاره وتحمل الصعاب فقد كانت فى الجدول رقم (١) تحتل المركز الخامس وأصبحت رقم ٤ فى الجدول رقم (٢) . وكذلك فئة الالتزام والنظام السياسى كانت هى الفئة رقم ٦ فى الجدول (١) وأصبحت رقم ٩ فى الجدول (٢) .

٤ ـــ فى الجدول رقم (١) كانت فئة ماليس التزاما تمثل المرتبة السابعة وأصبحت فى الجدول (٢) فى المرتبة الحادية عشرة ، أما فئة الموهبة والالتزام شىء واحد فى الأدب فقد كانت رقم ٨ فى الجدول (١)

وأصبحت رقم ٦ فى الجدول رقم (٢) . وقد طرأ تغير طفيف على فئة الالتزام كتاريخ فقد كانت الفئة رقم ٩ فى الجدول (١) وأصبحت رقم ٨ فى الجدول (٢) .

٥ ــ أما فئة الالتزام هو العمل وليس التفكير فقط فقد كانت الفئة رقم ٧ فى الجدول (١) و أصبحت الفئة رقم ٥ فى الجدول (٢) . وفئة دور العقل والوجدان فى تكوين الالتزام فقد كانت رقم ١١ فى الجدول (١) وأصبحت رقم ١٢ فى الجدول (٢) . وفيما يتعلق بفئة الاحساس بالمسئولية والحساب القاسى للنفس فقد كانت رقم ١٢ وأصبحت فى الجدول (٢) تحتل رقم ١٣ .

٦ ــ واذا تتبعنا هذه المقارنة بين أرقام الفئات فى الجدولين نجد كما أشرنا فى أمثلة عديدة فى الفقرات السابقة ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ أنه لم يطرأ الا تغيير طفيف فى مراكز الفئات باستثناءات قليلة جدا ، ويظهر هذا واضحا فى الفئات التى حصلت على أقل التكرارات فى الجدول الأول وحصلت أيضا على اقل التكرارات فى الجدول الثانى .

وفى رأى الكاتبة أن هذا يرجع الى أن المعانى الجوهرية فى مفهوم الالتزام هى معانٍ أصيلة ظهرت سواء فيما بين الكتاب ككل أو فى اجابة كل كاتب على حدة ، وقد تأكدت هذه فى الأفكار المحورية التى استخرجت فى عملية التحليل الكيفى كما سنتناولها بالتفصيل عند الحديث عن نتائج التحليل المنظومى .

أما بالنسبة لفئة الاحلال البيولوجى فعلى الرغم من أنها قد حصلت على أقل التكرارات فى الجدول (١) حيث لم يذكرها الا كاتب واحد ، ولكنها لم تكن فى أدنى مرتبة فى الجدول الثانى لأن هذا الكاتب نفسه كان قد كرر هذه الفئة فى اجابته ٣ مرات اذ كانت تمثل لديه الفكرة المحورية فى الالتزام كما يعنيه . أما فئة الالتزام كجمال التى تبوأت المركز قبل الأخير فى الجدول الأول نجدها جاءت رقم ٢٦ فى الجدول الثانى لان الكاتبين اللذين ذكراها طبقا للجدول الأول لم يشيرا اليها الا مرة واحدة فى اجابة كل منهما .

وبهذا نكون قد انتهينا من مناقشة نتائج التحليل الكمى للفئات لكى نتناول بعد ذلك نتائج ادراج الفئات فى أبعاد ثم نتبعها بمناقشة هذه النتائج .

جدول رقم ٣ ويبين أبعاد مفهوم الالتزام
وعدد الفئات الداخلة فى كل بعد ونسبتها المئوية

البعـــد	عدد الفئات الداخلة فيه	النسبة المئوية
١ ــ البعد النفسى	١١	٤٢
٢ ــ البعد الفلسفى	٤	١٠٫٥
٣ ــ البعد الاجتماعى	٢	٥٫٢٥
٤ ــ البعد الدينى	٢	٥٫٢٥
٥ ــ البعد الجمالى	٢	٥٫٢٥
٦ ــ البعد السياسى	٢	٥٫٢٥
٧ ــ البعد السياسى	٢	٥٫٢٥
٧ ــ بعد السواء	١	٢٫٧٥
٨ ــ البعد التاريخى	١	٢٫٧٥
٩ ــ البعد الحضارى ــ الثقافى	١	٢٫٧٥
المجموع الكلى للفئات	٢٦ فئة	

مناقشة نتائج الجدول رقم (٣) :

١ ــ يتبين من الجدول رقم ٣ أن البعد النفسى قد تضمن أكبر عدد من الفئات (١١ فئة من ٢٦) وبالتالى على أعلى نسبة مئوية (٤٢٪) وهذا مايؤكد أن البعد النفسى فى مفهوم الالتزام هو أهم الأبعاد جميعا . فاذا كنا قد عرفنا البعد النفسى بأنه البعد الذى يتناول العلاقة بين الفرد ونفسه تبين ان التزام الفرد بمجموعة من المبادىء أو القيم انما يرجع الى اختياراته هو داخليا . فاذا كانت بعض الأبعاد الأخرى سواء منها الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية ... الخ تدخل فى مفهوم الالتزام وتشكيله ، الا أن الفيصل الاساسى هو البعد النفسى . فهو البعد الذى يحدد الموقف أو السلوك الذى سيتخذه الفرد ازاء مايواجهه من اختيارات . فاذا كان الفرد كغيره من أفراد المجتمع يتنفس مناخا حضاريا وثقافيا معينا ولكنه دون غيره من هؤلاء الأفراد يتخذ موقفا ملتزما ازاء بعض القضايا فان ذلك يتم على نحو سيبرنيتى فى داخله هو عن طريق عملية تغذية رجعية* .

* راجع الجزء الخاص بالتغذية الرجعية فى المنظور النفسى فى الفصل الثانى من هذه الدراسة .

٢ ــ احتل البعد الفلسفى المرتبة الثانية عقب البعد النفسى مباشرة حيث تضمن ٤ فئات من ٢٦ أى بنسبة ١٥,٥٪ من الفئات وتفسير ذلك أنه اذا كان البعد الفلسفى قد تضمن الفئات ذات المعنى الفلسفى فان ذلك يرجع الى أن « خلع معانى فلسفية » على مواقف الحياة نابع كذلك من داخل الانسان . وهنا نجد تداخلا بين البعدين النفسى والفلسفى من حيث كون كليهما من داخل الانسان نفسه . فاذا كان البعد النفسى هو البعد الحاسم فى مفهوم الالتزام حيث هو نابع من ذاتية الفرد فان البعد الفلسفى من حيث هو أيضا نابع من ذاتية الفرد نفسه يصبح هو البعد التالى مباشرة فى مفهوم الالتزام .

٣ ــ على الرغم من أن هناك تداخلا بين الظاهرة النفسية والظاهرة الاجتماعية حتى ليمكن القول أنه لاتوجد ظاهرة نفسية محضة، الا أن البعد الاجتماعى قد تضمن فئتين فقط من فئات التحليل (٢٦ فئة) وان كان هذا لايقلل من شأن البعد الاجتماعى اذا ماوضعنا فى الاعتبار أن التكوين النفسى للفرد لاينفصل مطلقا عن التكوين الاجتماعى لان صلة الطفل بأسرته بوصفها هى « الوكيل السيكلوجى » عن المجتمع كما أشرنا من قبل أن تبدأ منذ ولادته مباشرة وبالتحديد وعمر الوليد لايتجاوز أسبوعين[١] .

وبناء على هذا فاننا نجد أن الابعاد الثلاثة النفسية والفلسفية والاجتماعية تتميز بأكبر قدر من التداخل كأبعاد مميزة لمفهوم الالتزام .

بمعنى أنه اذا كان الفرد يحدد اختياراته أمام القيم نفسيا وفلسفيا فان تكوينه الاجتماعى وبالذات السنوات الأولى لطفولته تساهم هى الأخرى فى تحديد هذه الاختيارات[٢] .

٤ ــ يتبين من الجدول رقم (٣) أن للالتزام بعدا دينيا ضم فئتين من فئات التحليل هما « دور الدين فى تكوين الالتزام » و « الالتزام هو الطاعة والخنوع لله وحده » . فالدين هنا بما يضمنه من أوامر ونواهى وبما يتضمنه من تقنين للسلوك الانسانى يساهم فى تكوين مايسمى « بالضمير » أو « الأنا الأعلى » بلغة التحليل النفسى . بل ان أصحاب الاتجاه الدينى المحض يجدون فى الدين أنه يكاد يكون المصدر الأوحد للالتزام . وهم يرون أن الالتزام انما يكون أمام الله وحده ، « فهو الذى لايمكن اخفاء الحقائق عنه ، فضلا عن خداعه » طبقا لما جاء فى اجابة أحد أفراد العينة ، ويرى كاتب آخر من أفراد العينة أن الالتزام « قديم قدم الأديان » . ومن أصحاب الاتجاه الدينى من يرى أن مجرد كلمة « الالتزام » يرادف تماما كلمة « الخنوع والطاعة لله » . ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن الالتزام هو التمسك بما جاء فى الكتب السماوية الثلاثة ، أما أصحاب الاتجاه الاسلامى فيرون أن الالتزام هو « التمسك بما جاء فى القرآن الكريم من ضبط لسلوكيات الانسان » . وهم يرون أن مجرد تمسك المسلم

---

(١) حامد زهران . علم نفس النمو ، عالم الكتب ، ١٩٧٧ ، الفصل الثالث .

(٢) راجع المنظور الاجتماعى فى الفصل الثانى من هذه الدراسة .

بما جاء فى الكتاب الكريم سوف يجعله يلتزم بالفضائل جميعا بحيث لايحتاج المرء الى أية مؤثرات دنيوية . وفى هذا الصدد يتضح دور الدين فى تكوين التزام الفرد فكرا وقولا وسلوكا[1] .

٥ ـــ يشير الجدول رقم ٣ الى أن للالتزام بعدا جماليا ضم فئتين من فئات التحليل (٢٥٫٥٪) هى : « الموهبة والالتزام شيء واحد » فى الأدب » و « الالتزام كجمال » . ومعنى هذا البعد أن الشخص الملتزم يستشعر معنى جماليا فى التزامه بقيم وبقضايا مجردة ، تماما كما يستشعر هذا المعنى حينما يتأمل « عملا فنيا » . بل ان أحد أفراد العينة قد وحد بين عملية الابداع الفنى نفسها وبين الالتزام بمعناه الجمالى . وهو يقول فى هذا الصدد « فلما أقوم بعملى الأدبى ، فطبيعى أن تنعكس خواص « الأنا » هذه فى أعمالى فان كانت هذه « الأنا » ملتزمة بشيء ما فان هذا الالتزام ينعكس فى انتاجى الأدبى » . ولذا فان الدلالة الانسانية للفن يتبلور فيها معنى الالتزام بمفهومه الجمالى حيث تنعكس الذات المبدعة على « الموضوع المبدع » . ذلك أن « المحسوس الجمالى على شكل (علاقة) أو (امارة) فانه يشير الى شيء أو حقيقة أو قضية أو ظاهرة أو واقعة أو أى موضوع آخر من الموضوعات »[2] .

٦ ـــ يتبين من الجدول رقم (٣) أن للالتزام بعدا سياسيا ضم فئتين من فئات التحليل هما « الالتزام والنظام السياسى » و « العمل لصالح الجماعة (الشعب ـــ الوطن ـــ الأمة) » وهو خاص بصلة الانسان بالسلطة أو الحكومة أو المذهب السياسى من ناحية وبالشعب أو الوطن أو الأمة التى ينتمى اليها من جهة أخرى . وهذه العلاقة بين الفرد والسلطة هى علاقة مركبة تتطلب أن يختار الانسان الى أى القوى يكون انحيازه . فاذا كانت السلطة هى سلطة قمع أو سلطة خداع للشعب ، فعلى أى الصور يختار الفرد انحيازاته ؟ وفى هذا البعد غالبا مايتجلى الحسم فى اختيارات الأفراد فهل سيختار تجنيد طاقاته لممالأة السلطة ومهادنتها اتقاء لشرورها وسبل قمعها ، أم هو سيضحى بأمنه الشخصى من أجل مايلتزم به من الانحياز الى جانب شعبه ووطنه . ولاينبغى أن ننظر الى أن موقف الفرد من السلطة سيكون دوما هو موقف المواجهة والتصدى ، وانما السؤال هو الى أى القوى سوف ينحاز الفرد فى المواقف الحاسمة القاطعة التى تتطلب اجابة لا لبس فيها . ولعل الحركة الوطنية خير معبر عن ذلك . ففى خلال ثورة ١٩١٩ مثلا انضم الناس « بالسليقة الغيرية » اذا صح هذا التعبير الى بعضهم البعض ضد الباشوات . وكان الحفاة والعراة أكثر اخلاصا للثورة من علية القوم . واشترك الآلاف فى المظاهرات من أجل الاستقلال والديمقراطية والدستور .

ففى موقف كهذا يتجلى « الامتحان الصعب » لأى فرد من أفراد الأمة ، فهذه ثورة تنادى بالاستقلال والدستور وهناك سلطة تقمع الثوار ، وهنا يظهر الانسان الملتزم بمبادىء يتصور أنها تفضى

---

(١) للاستزادة نحيل الى : محمد أحمد خلف الله ، ١٩٧٤ ، مرجع سابق .

(٢) نحيل فى هذا الصدد الى زكريا ابراهيم ، مشكلة الفن ، مكتبة مصر ، ١٩٦١ .

ببلاده الى ظروف نفسية ومادية أفضل . وهناك أنماط وأشكال متنوعة بعد ذلك . فقد يأخذ شكل الالتزام فى مستوى أدنى من التجريد بانشاء جمعية خيرية أو مستشفى أو مشروع تعاونى ما ، وهى أشكال تعبر جميعا عن الدفاع عن حقوق اجتماعية أو انسانية .

وقد يساهم الملتزم فى نضال سياسى مباشر ضد السلطة بتصور أنه يؤدى الى تغيير ما للمجتمع . وقد يلتزم فرد ما بقضية انهاض الأمة واحيائها بتراث الاسلام مثلا ، ويجد فى ذلك الخلاص من كافة أنواع الفساد والتغريب .

ولكن اذا كان سيف الدولة مشرعا وقويا فعندئذ على الانسان أن يحدد التزامه بشكل حاسم : هل يهادن هذه السلطة على حساب وطنه وشعبه ، أم يذهب بعيدا عن هذا الوطن ، أم يضحى بأمنه الشخصى بل وأمن ذويه الأقربين وقد يفقد حريته بل وحياته كلها من أجل مايعتقد أنه واجب وطنى تهون فى سبيله الحرية الذاتية والأمان الشخصى بل والحياة بأسرها .

وعلى هذا فان البعد السياسى للالتزام هو محدد أساسا باختيارات الشخص ازاء موقفه من النظام السياسى الذى يحكم بلاده . وهناك أيضا الالتزام بمذهب سياسى معين يجد الفرد أنه فى حقبة ما من حياته مذهب ملائم لتغيير مجتمعه أو أمته الى الأفضل . وهو يركز جهده ونشاطه وفكره بما يمليه عليه هذا المذهب السياسى أو ذاك . ولكن لايعني هذا « الانغلاق » على مذهب معين أو عقيدة ثابتة لأن من معانى الالتزام الأساسية هى أنه غير جامد بل هو متجدد ، ولكن المهم أن ينبع التجدد من ذات الفرد بدون ضغوط خارجية ، وأن يكون هذا التغيير من أجل قضية مجردة أو فكرة ليست نابعة من مصلحة شخصية ، وانما تنبع أساسا من الايمان بضرورة العمل لصالح الأمة ككل ، وليس الايمان بفكر حاكم معين يفرض على الناس مبادىء بعينها . لأن الالتزام بفكر حاكم بعينه انما يقود الى الدكتاتورية بصورها البشعة .

وربما يتبلور البعد السياسى للالتزام فى أنه كاد أن يقتصر « فى حقبة الخمسينات فى صياغة فكرية سياسية ذات مضمون اشتراكى اخلاقى ، وكان الكاتب الملتزم مثلا هو التعريف المتواضع عليه للكاتب الاشتراكى أو على الأقل التقدمى بمعيار ذلك الوقت » . وذلك كما فى اجابة أحد أفراد العينة . ولكن فى أعقاب ذلك تطور المفهوم فى بعده السياسى بأنه الموقف الذى يختاره الفرد أو المواطن ازاء القضايا السياسية التى تثور فى مجتمعه ، وفى موقف هذا الفرد ازاء السلطة-القائمة فى بلاده .

وينبغى الانتباه الى وجود نوع من التداخل بين البعدين السياسى والاجتماعى للالتزام . ذلك أنه فى الوقت الذى يحدد الفرد موقفه من السلطة فى بلاده انما يحدد فى الوقت ذاته اختياراته ازاء الغالبية الساحقة من أفراد شعبه . وفى هذا الصدد يقول أحد أفراد العينة « فى طفولتى كان هناك احتلال أجنبى. ثم فقر مدقع، ثم فئات أجنبية ومصرية فى قمة الثراء، وغالبيتهم كانوا مدركين أن هناك شعبا فقيرا . وكانت هذه نقطة الانطلاق . وهذا أدى الى ضرورة الالتزام بالعمل السياسى » . وفى هذه الفقرة

من اجابة أحد أفراد العينة يظهر بوضوح التداخل بين البعد الاجتماعي للالتزام والبعد السياسى له . فالفرد أمام سلطة غاشمة هى سلطة الاحتلال وهناك شعب فقير فقرا مدقعا . وطبقات ثرية كل الثراء .

وهنا على الفرد أن يحدد الى أى الجوانب سوف ينحاز . وهنا يتبدى مفهوم الالتزام بمعناه السوى والصحى. هل سينضم الى الحركة الوطنية ويقاوم الاحتلال على اعتقاد أن هذه هى أول خطوة لتحرير وطنه سياسيا وتحرير شعبه اجتماعيا؟ أم أنه سوف ينحاز الى السلطة سعيا وراء الثراء هنا يختلف الأفراد.. ويختلف سلوكهم .. وتختلف محصلة حياتهم ككل .

٧ ــ يشير الجدول رقم (٣) الى أن هناك مايسمى ببعد السواء فى الالتزام . وهو البعد الذى يتضح فيه اختلاف مفهوم الالتزام عما قد يختلط معه فى الأذهان من مفاهيم أخرى ، مثل التصلب والتعصب والتطرف أو الالزام . وقد تناولت الكاتبة معنى السواء فى الالتزام تحت هذا العنوان ذاته فى الاطار النظرى فى الفصل الثانى من هذه الدراسة . ولكن ماينبغى أخذه فى الاعتبار ازاء هذا البعد أنه يحدد المعانى والقضايا التى تدخل فى مفهوم الالتزام وهى أبعد ماتكون عن معانى الضغط أو القهر (الالزام) أو معانى التجمد عند أفكار بعينها (التصلب) ولا هى المعانى الواردة فى مفهوم التعصب من كراهية غير مبررة ازاء فئة من الناس . فالالتزام بمعانيه النفسية والاجتماعية والفلسفية والسياسية والدينية لايتداخل قط مع هذه المفاهيم التى أشرنا اليها من قبل وهى (الالزام ــ التعصب ــ التصلب ــ التطرف) ومن هنا كان معنى السواء فى الالتزام .

٨ ــ يتبين من الجدول رقم (٣) أن للالتزام بعدا تاريخيا يتعلق بتاريخ الكلمة ككلمة وبتاريخها كمعنى تضرب فى جذور الفكر البشرى ذاته . ولكن المفهوم تبلور اكثر عند ظهور الأديان وبالذات فى الاسلام ثم فى الماركسية ثم فى الوجودية على يد سارتر . وقد تناولت الكاتبة هذه القضايا بالتفصيل فى المنظور التاريخى فى الفصل الثانى من هذه الدراسة .

٩ ــ يشير الجدول رقم (٣) الى أن البعد الحضارى ــ الثقافى قد ضم فئة واحدة من فئات التحليل هى فئة « الالتزام كثقافة » أى بنسبة ٢٫٧٥٪ من مجموع الفئات البالغ عددها ٢٦ فئة . والواقع أن هذا البعد يشير الى دور الحضارة والثقافة فى تكوين الالتزام من حيث مضمونه وكما جاء فى اجابة أحد أفراد العينة « ان الالتزام مسألة تختلف من ثقافة الى أخرى . فمثلا التزام الرجل الأوروبى غير الأمريكى غير الصينى غير اليابانى . هذا عن الاطار العام للالتزام وبالتحديد مايحيط به من حضارات مختلفة أو ثقافات مختلفة » . ويقول آخر « ان الالتزام يرتبط بثقافة الانسان » .

وقد عرف العديد من المفكرين الثقافة تعريفا اصطلاحيا نتبناه فى هذه الدراسة وهو « ان الثقافة هى الكل المتراكم من المعارف والمعلومات والعادات والقيم »[1] . ويرى أحمد أبو هلال فى كتابه

(١) مجلة الخفجى . مجلة شهرية تصدرها شركة الزيت العربية ، ١٩٨٢ ، العدد ٧ ص ٢٤ .

الانثروبولوجيا التربوية أن الانسان يقف من الثقافة ثلاثة مواقف هى :
١ ــ مستقبل لها .
٢ ــ ناقل لها .
٣ ــ مبتكر للثقافة .

وهو يشبه الثقافة بالسجن الاختيارى للانسان »(١) .

« والانسان يولد فى ثقافة كانت موجودة قبل مجيئه ، وتبقى أثناء حياته وبعد موته ، عن طريق تعهد الأجيال اللاحقة لها ، بمعنى أن الثقافة راسخة ومتأصلة يصعب زحزحتها وازالتها . فهى ليست متوقفة على فرد بحد ذاته ، انما لها طابع فوق الفرد Super-individual فهى بهذا متميزة وذات صفة فريدة متمثلة فى البقاء حتى بعد موت حاملها »(٢) . واكن اذا كان للالتزام بعد ثقافى وحضارى يتبلور أساسا فى أن المثقف يتميز فى أى مجتمع بصفتين أساسيتين :

« ١ ــ الوعى الاجتماعى ،. الذى يمكن الفرد من رؤية المجتمع وقضاياه من زاوية شاملة ومن تحليل هذه القضايا على مستوى نظرى متماسك .

٢ ــ الدور الاجتماعى الذى يمكنه وعيه الاجتماعى من أن يلعبه بالاضافة الى القدرات الخاصة التى يضفيها عليه اختصاصه المهنى أو كفايته الفكرية »(٣) .

ومن هاتين الميزتين اللتين يتميز بهما المثقف يتحدد دوره فى المجتمع ويبرز معنى التزامه ووجهة هذا الالتزام . ذلك ان المثقف اما أن يتودد الى السلطة ويحاول كسب رضاءها أيا كانت هذه السلطة فى بلاده . أو أنه يبادر فيحمل على كاهله هموم مجتمعه ومشاكله وآماله وتطلعاته نحو الغد الأفضل لهذا المجتمع . ولذا فان دور المثقف يتحدد فى واجبات بعينها هى كالتالى :

١ ــ المحافظة على هويته حضاريا وثقافيا .
٢ ــ معاصرة عالمه بكل مايحمله من تفاصيل .

وعلى هذا فان الدور الذى يلعبه المثقف فى مجتمعه هو نتاج أولا لما دخل فى نسيجه ثقافيا وحضاريا وثانيا هو نتاج لاختياراته هو كانسان .

ويقول أحد أفراد العينة أن ثقافة الانسانِ هى التى تحدد له أى وجهة سوف يتجه ويضرب مثلا بالالتزام لدى الفنان المصرى القديم ويقول فى هذا الصدد ما نصه « كان الفنان المصرى ملتزما بخدمة ...

(١) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .
(٢) المرجع السابق ،
(٣) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

عقيدة دون أن يشعر بارغام على ذلك . لأن العقيدة فعلا عقيدته التى نشأ عليها وركبت فى طبيعته » . وفى تلك العبارة تتبلور فكرة هامة وهى أن المثقف الملتزم بثقافة معينة وبحضارة معينة لايخترع هو بذاته هذه الثقافة أو الحضارة وانما هو « تنفسها » منذ ولادته اذا صح هذا التعبير ثم حدد اختياراته ازاءها بعد ذلك لكى تعبر عن نفسها فى نشاطه الفكرى أو الثقافى أو الابداعى اذا كان مثقفا مبدعا[1] .

تلك كانت الأبعاد التسعة التى وصلنا اليها من عملية ادراج فئات التحليل فى الأبعاد الملائمة لها . وقد يكون للالتزام ابعاد جديدة تسفر عنها دراسات جديدة ولكن « التزامنا » اساسا كان بنصوص اجابات أفراد العينة فقط . ويلاحظ على هذه الأبعاد مايلى :

١ ــ احتل البعد النفسى المرتبة الأولى كما أسلفنا من حيث احتوائه على ٤٢٪ من عدد فئات التحليل ، ويتلوه البعد الفلسفى حيث احتوى على ١٠,٥٪ من الفئات ثم تلت ذلك الابعاد : الاجتماعى والدينى والجمالى والسياسى حيث ضم كل منها فئتين من فئات التحليل . ولكن ينبغى الاشارة مرة أخرى الى أن هذه الأبعاد تتكامل فيما بينها ، وليست هناك حدود فاصلة تماما بينها ولذا فان كل بعد يلقى بظلاله على البعد الآخر ، ولكن تناولها بشكل تحليلى مفصل هو الذى صبغها بهذا التجزىء .

٢ ــ جاءت الأبعاد : السواء والتاريخى والحضارى والثقافى متساوية هى الأخرى من حيث عدد فئات التحليل حيث لم تتجاوز فئة واحدة لكل بعد .

بهذا نكون قد انتهينا من نتائج التحليل الكمى ومناقشتها فى ضوء بعض المعطيات فى اجابات أفراد العينة .

وعقب ذلك سوف نتناول نتائج التحليل الكيفى (المنظومى) ثم نقارن بين نتائج التحليلين الكمى والكيفى بشكل مختصر .

نتائج التحليل الكيفى

سوف تقتصر نتائج التحليل الكيفى على تناول ظهور الابعاد التسعة ــ السابق الاشارة اليها ــ فى المنظومات حتى لانقع فيما يسمى بـ « ارهاق النص » .

كنا قد ذكرنا عند تناول دواعى التحليل المنظومى أن اللجوء اليه انما كان أساسا لتفادى اقتطاع معنى معين فى عملية التحليل الكمى بشكل زائف لايظهر فى المعنى الكلى لاجابة الكاتب .

ويبين الجدول التالى رقم (٤) نتائج التحليل المنظومى من ظهور الأبعاد فى المنظومات .

(١) للاستزادة نحيل الى : زكى نجيب محمود ، هموم المثقفين ، دار الشروق القاهرة ، ١٩٨٠ .

الجدول رقم (٤) ويوضح الأبعاد التسعة للالتزام
وعدد مرات تواتر كل منها ونسبتها المئوية

الأبعـــاد	عدد مرات تواترها	النسبة المئوية
١ ـــ النفسى	١٩ مرة	٦٣٪
٢ ـــ الفلسفى	١٤ مرة	٤٦٪
٣ ـــ الاجتماعى	١٣ مرة	٤٣٪
٤ ـــ السياسى	١٢ مرة	٤٠٪
٥ ـــ الثقافى	٨ مرات	١٠٫٥٪
٦ ـــ الدينى	٧ مرات	٢٠٫٣٠٪
٧ ـــ التاريخى	مرتان	٦٫٦٠ ٪
٨ ـــ الجمالى	مرتان	٦٫٦٠ ٪
٩ ـــ السواء	مرة واحدة	٣٫٣٠ ٪

١ ـــ يتبين من الجدول رقم ٤ ظهور البعد النفسى فى المنظومات (٣٠ منظومة) ١٩ مرة أى بنسبة ٦٣٪ . وهو مايتفق مع نتائج التحليل الكمى حيث احتل البعد النفسى المرتبة الأولى من حيث احتوائه على أكبر عدد من فئات التحليل . وهو مايؤكد من جديد أن البعد النفسى فى الالتزام هو أهم الأبعاد جميعا وأكثرها جوهرية فى مفهوم الالتزام .

٢ ـــ ظهر البعد الفلسفى فى المنظومات ١٤ مرة أى بنسبة ٤٦٪ وهو مايتفق مع نتائج التحليل الكمى أيضا حيث احتل البعد الفلسفى المرتبة الثانية بين الأبعاد التسعة .

٣ ـــ تلا البعد الاجتماعى البعد الفلسفى من حيث ظهوره فى المنظومات حيث ظهر ١٣ مرة أى بنسبة ٤٣٪ وهذا يتفق أيضا مع نتائج التحليل كميا . ويلاحظ هنا أن الأبعاد الثلاثة : النفسى ـــ الفلسفى ـــ الاجتماعى تحتل المرتبة الأولى فى مفهوم الالتزام بما يفيد أنها أبعاد جوهرية فى المفهوم . سواء فى التحليل الكمى أو المنظومى الذى لايجتزىء معانى معينة من النص ككل .

٤ ـــ يلاحظ فى الجدول رقم (٤) أن البعد السياسى قد ظهر فى ١٢ منظومة من المنظومات الـ ٣٠ . أى بنسبة ٤٣٪ وهو مايختلف عن نتائج التحليل الكمى من حيث الأبعاد حيث يشير الجدول رقم (٣) الى أن البعد السياسى قد تساوى من حيث عدد الفئات المدرجة تحته مع الأبعاد : الاجتماعى

والدينى والجمالى . ولكن نلاحظ فى حالة التحليل الكيفى أن البعد السياسى احتل المرتبة الرابعة بعد الابعاد النفسى والفلسفى والاجتماعى . وقد يرجع ذلك الى أن التحليل المنظومى قد كشف عن معانٍ سياسية اشتملت عليها المنظومات بشكل كلى أكثر من الشكل الجزئى فى التحليل الكمى .

٥ ـــ ظهر البعد الثقافى فى التحليل الكيفى فى ٨ منظومات أى بنسبة ٢٠٫٥٪ وهو مايتفق الى حد ما مع التحليل الكمى حيث ضم هذا البعد فئة واحدة من فئات التحليل ولكن جاء ترتيبه الخامس فى التحليل الكيفى فى حين احتل المرتبة الأخيرة كميا .

٦ ـــ ظهر البعد الدينى فى ٧ منظومات أى بنسبة ٢٠٫٣٠٪ فى حين أن هذا البعد كان قد تساوى فى التحليل الكمى مع الابعاد : الاجتماعى والسياسى والجمالى .

٧ ـــ لم يظهر البعد التاريخى الا فى منظومتين فقط أى بنسبة ٦٫٦٠٪ وهو مايتفق أيضا مع ترتيبه تقريبا فى الجدول رقم (٣) للتحليل الكمى حيث تبدأ المرتبة الثامنة فى حين تبوأ المرتبة السابعة فى الجدول رقم (٤) .

٨ ـــ ظهر البعد الجمالى مرتين فى المنظومات أى بنسبة ٦٫٦٠٪ وهو مايختلف عن التحليل الكمى حيث كان ترتيب البعد الجمالى هو المركز الخامس فى حين أنه احتل المرتبة الثامنة فى التحليل الكيفى .

٩ ـــ أما بعد السواء فلم يظهر الا فى منظومة واحدة بنسبة ٣٫٣٠٪ ويفسر هذا أن معنى السواء لم يرد بشكل محورى الا فى منظومة واحدة ، ولكنه ورد بشكل جزئى عابر فى بعض الاجابات ، مما جعله فى مرتبة متقدمة نوعا فى التحليل الكمى عنه فى التحليل المنظومى أو الكيفى .

وبهذا تكون قد انتهينا من مناقشة نتائج التحليل الكيفى . وكما يلاحظ فانها تتفق فى مجملها مع نتائج التحليل الكمى وتفسير ذلك كما سبق وأسلفنا يرجع الى أن التحليل الكمى والكيفى نابعان من أصل واحد هو نصوص اجابات أفراد العينة ، فضلا عن أن كاتبة هذه السطور هى نفسها التى قامت بالتحليل فى الحالين .

مقارنة بين هذه الدراسة ودراسة كيسلر

تناولنا فى الفصل الثانى من الدراسة تحت عنوان « الدراسات السابقة » بشيء من التفصيل الدراسة التى اجراها كيسلر عن الالتزام على المستوى النفسى والتى استغرقت عدة سنوات وصدر بصددها كتاب يعتبر Progress Reoport عن هذه الدراسة .

وسوف نعقد مقارنة ــ بشكل سريع وموجز ــ بين دراسة كيسلر ودراستنا من حيث ثلاثة جوانب رئيسية هى كالتالى :

أ ــ من حيث نوع الدراسة ومكانها فى علم النفس الاجتماعى .

ب ــ من حيث العينة والمنهج المستخدم .

جـ ــ من حيث النتائج التى توصلت اليها كلتا الدراستين .

أولا : من حيث نوع الدراسة ومكانها فى علم النفس الاجتماعى :

يؤكد كيسلر أن دراسة الالتزام على المستوى النفسى لاتزال فى مراحلها الأولية ، ورغم ذلك فقد بدأ بدراسة الالتزام فى دراسات تجريبية فى حين أن دراستنا الراهنة دراسة استطلاعية أو كشفية . ونعتقد أن المنطق يحتم أن تبدأ الدراسات فى أى مجال « بكر » بدراسة أو دراسات كشفية تحاول أن تميط اللثام عن الملامح الرئيسية للظاهرة المراد دراستها .

واذن فالفرق الأول بين دراسة كيسلر ودراستنا أن الأولى دراسة تجريبية فى حين دراستنا دراسة كشفية . غير أن كلتا الدراستين تقعان فى مجال علم النفس الاجتماعى وبالتحديد فى مجال القيم .

ثانيا : من حيث العينة والمنهج المستخدم :

١ــ كانت عينة دراسات كيسلر هى من الأفراد العاديين فى حين أن عينة دراستنا كانت من الكتاب والمثقفين الذين يتبوأون مركزا بارزا فى المجتمع ويساهمون اسهامات فعالة فى تغيير وعى المجتمع وتنميته ، وقد تناولنا مميزات هذه العينة بالتفصيل عند الحديث عن ملامح عينة الدراسة الراهنة .

٢ ــ استخدم كيسلر المنهج التجريبى فى كل دراساته عن الالتزام ، أما منهج هذه الدراسة فكان تحليل المضمون مما أتاح التوصل الى نتائج أغزر من تلك التى توصل اليها كيسلر .

ثالثا : من حيث النتائج :

١ ــ توصل كيسلر الى مجموعة من الملامح الرئيسية للالتزام على رأسها أنه وليد لاتجاه الفرد الذى لايمكن أن تلمسه ولكنك تستنتجه من أشياء أخرى فى حين أننا لم نتعرض فى دراستنا لمفهوم الاتجاه .

٢ ـــ يرى كيسلر أن الالتزام يظهر فى « سلوك » الأفراد بغض النظر عن اتجاهاتهم . أى أن الالتزام يتبلور فى سلوك الانسان وليس فيما كان يعتزم القيام به أو مايفكر فيه . وهذا مايوازى فئة « الالتزام هو العمل وليس التفكير فقط » التى توصلت اليها هذه الدراسة فى مرحلة التحليل الكمى .

٣ ـــ يتحدث كيسلر عما سماه بالسمات السلبية فى الالتزام بوصفه « السلوك المنسجم أو المتسق مع المعتقد وهى تشمل :

١ ـــ احساس المرء واحتمال أن يكوم مخطئا .

٢ ـــ ان الفعل أو السلوك يكشف المرء ويعرضه لانتقاد الآخرين .

٣ ـــ ان السلوك يكلف المرء وقتا وجهدا ومالا .

وهذه النقاط الثلاث توازى فئة « الصبر على المكاره وتحمل الصعاب » فى دراستنا . وكذلك معانى التورط التى أشار اليها كيسلر حينما تحدث عن مزيد من السمات السلبية للسلوك بما يتفق مع المعتقد .

٤ ـــ يقول كيسلر فى تعريفه للالتزام أنه « الزام المرء لنفسه أو تعهد لها بانتهاج عمل ما » . وهذا التعريف هو مايقابل فئة « الضبط الذاتى للسلوك » فى دراستنا .

٥ ـــ أشار كيسلر الى الحرية أو الاختيار فى الالتزام وهو مايتطابق تماما مع فئة « حرية الاختيار » فى دراستنا ولكنه لم يولها العناية نفسها التى أوليناها نحن فى دراستنا الراهنة لأنها كانت من الفئات التى حصلت على تكرارات عالية فى التحليل الكمى كما أنها وردت فى عدد من المنظومات فى عملية التحليل الكيفى .

٦ ـــ يشير كيسلر فى دراسته الى أنه كلما قلّ الدافع المادى للسلوك الملتزم كلما تزايدت مقاومة الفرد الملتزم للهجوم على مايعتقده فى وقت لاحق. وهو مايتلاءم مع فئة «الصمود أمام المغريات» التى توصلنا اليها فى دراستنا . أى أن كيسلر يتفق معنا على أن الدافع المادى لايؤثر على سلوك الملتزم بل هو يجعله أكثر تمسكا بما يعتقد .

٧ـــ تحدث كيسلر عما سماه بالتأثير المرتد boome range effect وهو عنصر لم نجده فى دراستنا الا اذا كان ذلك الرضا الذى يستشعره الشخص حينما يأتى سلوكه متسقا مع نفسه . أى اتساق الفكر والعمل وهو ماتناولناه بالتفصيل عند الحديث عن فئتى اتساق الفكر والعمل والقول والفعل .

٨ ـــ يشير كيسلر الى ما سماه بدرجة الالتزام المرتفعة التى تجعل الشخص يصمد أمام هجوم الآخرين لسلوكه ويقول أن درجة الالتزام هذه هى التى تحدد رجوع أو عدم رجوع الفرد عن معتقده وسلوكه المنسجم مع هذا المعتقد . وهنا نرى وجه شبه الى حد ما بين هذا وبين فئة « التجدد وعدم التجمد » . وان كانت فى دراستنا تعنى أن الالتزام ليس مفهوما جامدا وانما هو متجدد بشرط أن ينبع من ذاتية الفرد بدون ضغوط خارجية .

٩ ــ يتحدث كيسلر عما أسماه بالصفات المعزوة attribute للشخص الملتزم من تكرار سلوكه المنسجم أو المتسق مع مايعتقد وهذا يوازى فى دراستنا مجموعة الصفات العامة التى يتميز بها الشخص الملتزم والتى تبلورت فى الفئات الـ ٢٦ التى توصلنا اليها . هذا بشكل عام ولكن لم يتحدث كيسلر عن هذه الصفات بشكل مفصل كما تناولتها هذه الدراسة .

١٠ ــ يقول كيسلر فى كتابه « ان الالتزام ينبغى أن يتساوى بالمسئولية الذاتية » وهو مايوازى فى دراستنا فئة « الاحساس بالمسئولية والحساب القاسى للنفس » .

تلك كانت مقارنة سريعة بين دراسة كيسلر ودراستنا الراهنة ويلاحظ اتفاق كلا الدراستين فى بعض الملامح الرئيسية للالتزام واختلافهما فى البعض الآخر . ولكن فى اعتقادنا أن دراستنا ومنهجنا قد أتاحا لنا التوصل الى ملامح أكثر تفصيلا للالتزام وللشخص الملتزم تحتاج الى مزيد من الدراسات الأمبريقية والتجريبية .

---

(١) Kiesler, C.1971.p.167.

خلاصـــة

لقد حاولنا فى هذه الدراسة ما وسعنا الجهد أن نبدد الظلمة التى تحيط بمفهوم الالتزام .

ففى الفصل الأول من الدراسة استعرضنا جوانب موضوعها والأهداف العامة والخاصة من هذه الدراسة وعقب ذلك عرضنا فى الفصل الثانى للاطار النظرى العام فى معالجة مفهوم الالتزام من زوايا خمس اطلقنا على أربع منها تسمية « منظورات » وهى منظور نفسى . ومنظور اجتماعى ومنظور فلسفى ومنظور تاريخى ثم زاوية خامسة هى معنى السواء فى مفهوم الالتزام .

وفى الفصل الثالث تعرضنا بالتفصيل لملامح عينة الدراسة من الكتاب والمثقفين ودواعى اختيار هذه العينة بالذات لدراسة مفهوم الالتزام ، ثم انتقلنا الى استعراض تفصيل لخطوات الدراسة والمنهج المستخدم وهو منهج تحليل المضمون بشقيه الكمى والكيفى .

وفى الفصل الرابع أوردنا نصوص آراء الكتاب والمثقفين بشأن مفهوم الالتزام .

وفى الفصل الخامس أوردنا عرضا مفصلا لنتائج الدراسة ككل وحاولنا تفسير هذه النتائج ثم عقدنا مقارنة بين دراسة كيسلر ودراستنا .

وبعد هذا نجد من الملائم أن نتوقف قليلا وقفة تأمل لكى نضع أيديناعلى أهم النتائج العامة لهذه الدراسة ونوجزها فيما يلى :

١ ـــ النتيجة الأولى :

ان مفهوم الالتزام مفهوم مركب وجدير بالعديد من الدراسات السيكلوجية سواء منها الاستطلاعية كبحثنا أو الأمبريقية أو التجريبية ، حتى يمكن أن تتراكم لدينا أعداد من النتائج تتيح لنا المزيد من فهم ظاهرة الالتزام التى وجدت منذ بدء الفكر البشرى ولا نزال نراها ونمارسها ـــ بدرجات متفاوتة ـــ ولكن ليس بعد فى أيدينا مايتيح لنا فهمها كغيرها من الظواهر السيكلوجية الأخرى التى قطع شوط بعيد فى فهمها وتفسيرها واخضاعها تجريبيا ومعمليا وهذا مايحقق الهدف الأول لهذه الدراسة وهو كشف النقاب عن الشق النفسى بكافة ظلاله لمفهوم الالتزام .

النتيجة الثانية :

ان مفهوم الالتزام له أبعاد تسعة أهمها جميعا البعد النفسى مما يؤكد أن المفهوم جدير بدراسات سيكلوجية ـــ اجتماعية متلاحقة ومختلفة المناهج والعينات .

كذلك أمكن الاجابة على بعض التساؤلات التى طرحت فى بداية هذه الدراسة وكانت بالتحديد كالتالى :

أ ـــ تم استخلاص فئات تدخل فى مفهوم الالتزام نتيجة تحليل اجابات أفراد العينة على المستوى الكمى .

ب ـــ أمكن ترتيب هذه الفئات طبقا لشيوعها أو ندرتها فى نصوص الاجابات وهذا ما تحقق فى الجدول رقم (٢) وهو مايجيب علىٰ التساؤل الثانى من تساؤلات الدراسة .

جـ ـــ أمكن التوصل الى ترتيب الأبعاد التى توصلت اليها الدراسة طبقا لاهميتها فى مفهوم الالتزام وقد تحقق ذلك فى الجدول رقم (٣) وهو ما يجيب على التساؤل الثالث من تساؤلات الدراسة .

د ـــ تم التوصل الى تكميم الفئات والأبعاد الداخلة فى مفهوم الالتزام طبقا لشيوعها أو ندرتها وقد تم ذلك طبقا للجدولين الأول والثالث .

هـ ـــ تم التوصل الى اعادة تركيب الابعاد التى اسفر عنها تحليل المضمون بشقيه الكمى والكيفى .

النتيجة الثالثة :

هناك نتيجة ثالثة لهذه الدراسة تعتبر من أهم النتائج العامة للبحث وهى امكانية التوصل الى « منظومة عامة » أو « منظومة كلية » ان صح هذا التعبير تتبلور فيها « القسمات الرئيسية » لمفهوم الالتزام وهى جماع المنظومات كلها . وهذه المنظومة كالتالى :

منظومة مفهوم الالتزام :

ان الالتزام يعنى الحرية فى الاختيارات ، وهذا الالتزام لايعنى التجمد الفكرى ، وهو يعنى العمل لصالح الجماعة وهو يتأثر فى تكوينه بما يلقن للانسان فى تنشئته الأولى وهو يعنى الصبر على المكاره وتحمل الصعاب ، وله صلة وثيقة بموقف الفرد من النظام السياسى الذى يعيش فى ظله ، وهو لايتحقق بفعل ضغط قوى خارجية ، وهو غير التعصب والتصلب والتطرف . كما أن مفهوم الالتزام يعنى فى حالة الكتابة الأدبية أو الابداع الفنى أنه صنو لهذه الموهبة الأدبية والفنية .

كذلك فان الالتزام يعنى كلمة لها تاريخ معين كما أنها تعنى العمل وليس التفكير فقط ، وللعقل والوجدان دور هام فى تكوين الالتزام ، وهو يعنى الاحساس بالمسئولية والحساب القاسى للنفس ، والالتزام يرتبط بثقافة الانسان ، وفيه يتحقق ضبط ذاتى للسلوك ، كما أنه يتضمن معنى الصدق وأن يجاهر الانسان بما يعلمه من حقائق ، وللدين دور فى تكوين الالتزام ، وفيه لاينطلق الانسان من منفعة شخصية ، يتبدى فيه ذلك الاتساق بين القول والفعل ، وفيه تكون رسالة الانسان وهدفه فى الحياة

واضحين ، كما أنه يتطلب تكاملا فى السلوك من جانب الانسان وأحيانا هو يعنى أن الانسان يطيع الله ويخضع له تماما فى سلوكياته ، وهو قيمة مطلقة بغض النظر عن مضمونه .

كذلك فان مفهوم الالترام يعنى أن للقدوة دورا فى تكوين الالتزام وهو يتطلب صمودا أمام مايعترض الفرد من مغريات مادية أو معنوية ، كما أن له معنى جميلا يستشعره الشخص الملتزم ، وهو نادرا ماينتج عن عملية احلال بيولوجى يقوم بها الشخص ، والالتزام كمفهوم له أبعاد تسعة أهمها الابعاد : النفسى ، الفلسفى ، الاجتماعى .

تلك كانت المنظومة العامة التى توصلت اليها الدراسة من جماع الفئات والأبعاد الناتجة عن عمليات التحليل لنصوص اجابات عينة البحث بنوعيها الكمى والكيفى . وفى اعتقادنا ان مجرد قراءة هذه المنظومة تحقق الهدف الرئيسى من هذه الدراسة وهو ماأشرنا اليه فى تحديدنا لموضوع الدراسة وأهدافها وهذا الهدف هو اماطة اللثام عن مفهوم الالتزام .

تلك كانت النتائج الرئيسية التى تم التوصل اليها من هذه الدراسة استعرضناها جميعا فى ضوء ماحددناه كأهداف عامة لها وفى ضوء التساؤلات التى طرحناها فى بدايتها .

الحمد لله

قائمة المراجـــع

المراجع العربيـــة

ـــ ابن كثير . المجلد الثالث . تحقيق أحمد محمد شاكر . دار المعارف ، ١٩٥٦ .

ـــ أرسطو . النفس ، نقله الى العربية أحمد فؤاد الأهوانى القاهرة ، ١٩٤٩ .

ـــ أحمد فائق ، مجلة الفكر المعاصر ، ١٩٧١ ، عدد ٧٤ .

ـــ الخفجى ، مجلة شهرية تصدرها شركة الزيت العربية ، ١٩٨٢ ، العدد ٧ .

ـــ السيد يسين ، تحليل مضمون الفكر القومى العربى . مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٠ .

ـــ ايريك فروم ، الخوف من الحرية ، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٢ .

ـــ حامد زهران ، علم نفس النمو ، عالم الكتب ، ١٩٧٧ .

ـــ حسام عزب ، العلاج السلوكى الحديث . ملخص رسالة دكتوراه الفلسفة فى التربية ، ١٩٧٨ .

ـــ رشدى فام ـــ مجموعة محاضرات غير منشورة لطلبة الدراسات العليا . كلية البنات جامعة عين شمس ، ١٩٧٨ .

ـــ رمزية الغريب، التعلم ، الانجلو المصرية ، ١٩٦٢ .

ـــ زكريا ابراهيم ، مشكلة الحرية ، مكتبة مصر ، ١٩٦١ .

ـــ زكريا ابراهيم ، مشكلة الفن ، مكتبة مصر ، ١٩٦١ .

ـــ زكى نجيب محمود ، هموم المثقفين ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

ـــ عبد السلام عبد الغفار ، مقدمة فى الصحة النفسية ، النهضة العربية .

ـــ عدنان البيه ، مقال بجريدة الأهرام ، ١٩٨٣/٣/٢٤ .

ـــ فان دالين ، مناهج البحث فى التربية وعلم النفس ، ترجمة نبيل نوفل ، ١٩٧٧ .

ـــ فؤاد زكريا ، الفكر المعاصر ، ١٩٧١ ، العدد ٧٤ .

ـــ قدرى حفنى ، الفكر المعاصر ، ١٩٧١ ، العدد ٧٨ .

ـــ لويس كامل مليكة ، قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى الوطن العربى . الدار القومية للطباعة والنشر ، المجلد الثالث ، ١٩٧٩ .

ـــ محمد خلف الله أحمد ـــ القرآن والثورة الثقافية ، الانجلو المصرية ، ١٩٧٤ .

ـــ محمد سلامة آدم، المرأة بين البيت والعمل ، رسالة دكتوراه منشورة ، دار المعارف ، ١٩٨٢ .

ـــ محمد عمارة ، تيارات الفكر الاسلامى ، كتاب الهلال ، ١٩٨٢ ، العدد ٣٧٦

ـــ مراد وهبة ، مقالات فلسفية وسياسية ، الانجلو المصرية ، ١٩٧٧ .

ـــ محمد فرغلى فراج ، مرضى النفس فى تطرفهم واعتدالهم ، الهيئة المصرية للتأليف والنشر ، ١٩٧١ .
ـــ محمد عنيمى هلال ، مجلة الثقافة ، ١٩٦٣ ، العدد ١١ .
ـــ مصطفى سويف ، اشراف ، صورة المرأة كما تقدمها وسائل الاعلام ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ١٩٧٧ .
ـــ المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، المجلد الثانى (بدون تاريخ)
ـــ محمود أبو النيل ، علم النفس الاجتماعى ، الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية ، ١٩٧٥ .
ـــ ناهد رمزى وأخريات ، صورة المرأة كما تقدمها وسائل الاعلام ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ١٩٧٧ .
ـــ نجيب اسكندر ، لويس مليكة ، رشدى فام ، الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعى (ط ٢) مؤسسة المطبوعات الحديثة ، ١٩٦١ .
ـــ نوال عطية ، علم النفس اللغوى ، الانجلو المصرية ، ١٩٧٥ .
ـــ يوسف مراد ، ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية ، الجزء الأول ، دار المعارف ١٩٦٢ .
ـــ يوسف مراد ، علم النفس فى الفن والحياة ، كتاب الهلال ١٩٦٦ ، العدد ١٨٧ .

المراجع الأجنبيـــة

- Allport, G. The nature of prejudice First Edition - August - 1954.
- Berelson, B. Content analysis in: Lindzy Handbook of Social Psychology - Addison Wesley. - Vol. 1. 1954.
- Bereleson, B. Content analysis in Communication research-Free Press, 1952.
- Frankel, V. Man's Search for meaning New York. International Universities press 1946.
- Green, J. Psychology Linguistics. Penguin Modern Psy. 1972.
- Jung, K. Modern Man in search of Soul. London-Kengan Paul. 1941.
- Jenkins, I. Art and the human Enterprise. Harvard university press. Cambridge 1958.
- Kiesler, C. The Psychology of Commitment Experiments Linking Behavior to Belief. Academic press-New York, 1971.
- Laing, R. G. The Politics of Experience New York. Ballantin, 1967.
- Maslow, A. The further reaches of human nature-New York. 1972.
- Toffler, A. Future Shock. New York, 1972.

MM

د . سهام محمد هاشم فى سطور :

١ ــ تخرجت من قسم الدراسات الفلسفية والنفسية من كلية الأداب جامعة القاهرة عام ١٩٦٢ .

٢ ــ عملت فور تخرجها صحفية بوكالة انباء الشرق الأوسط ومارست أعمال التحرير والترجمة فى الوكالة .

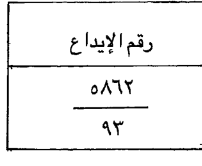
٣ ــ لها كتابات عديدة فى بعض الصحف والمجلات المصرية والعربية بالاضافة الى اشتراكها فى عدد من البحوث النفسية والاجتماعية .

٤ ــ حصلت عام ٦٣ على دبلوم علم النفس التطبيقى من جامعة القاهرة .

٥ ــ نالت درجة الماجستير فى الآداب (علم النفس) فى عام ١٩٨٣ من جامعة عين شمس ، عن الدراسة الراهنة . وكانت أول دراسة عن مفهوم الالتزام فى المكتبة العربية .

٦ ــ حصلت على درجة الدكتوراة مع مرتبة الشرف الأولى فى عام ١٩٨٧ . وتعتبر اطروحتها للدكتوراة أول رسالة تعالج موضوع تعير القيم فى المجتمع المصرى فى العشر سنين الأخيرة

الفهـرس



رقم الإيداع

٥٨٦٢

٩٣

مطابع المنار العربي
١ شارع العامل الاول - امبابه - الجيزة
ت : ٣٤٥٢٢٦٤ فاكس ٥٣٦٧٩٢
ص. ب ، ٢٥١٥ القاهرة



سـعـيـد هو المفكر أو الكاتب الذى يحظى باليقين... ذلك الذى يستقر عقله بسرعة عند نظرية أو عقيدة ما... وتسكن نفسه فى تفسير محدد للحياة... التاريخ والمجتمع والإنسان.

سـعـيـد ذلك الإنسان الذى يصل إلى منطق متكامل للماضى والحاضر والمستقبل. سعيد ذلك الإنسان فيلسوفا كان أو مفكراً أو كاتباً أو زعيماً أو فرداً عادياً.

إنه كالسفينة التى تجد المرفأ الهادى، قد ينال المجد، أو قد يصل إلى أقصى درجات النفوذ، أو قد يقضى عمره فى السجن أو مشرداً فى العراء، ولكنه، أياً كان موقعه، يكون فى سلام مع نفسه، فاعتقاده أنه يمتلك «الحقيقة» لا يتزعزع، وهذا يعطيه قوة وراحة من نوع خاص.

الأستاذ / احمد بهاء الدين

إن تصوراً مناسباً للشخصية الإنسانية لا يمكن إلا أن يقوم على أساس معلومات وبيانات تجمع من واقع الذين لو خيروا أن يعيشوا حياتهم من جديد لاختاروا ما عاشوه، لأنهم عاشوا وجودهم كما يود الإنسان أن يعيش هذا الوجود.

من مسلمات الدراسة

التوزيع بدولة الإمارات ودول الخليج
مكتبة الثقافة الجديدة
أبو ظبى ص. ب : ٣٥٧٠
ت : ٣٢٥٣٩٩



تليفون : ٢٥٦٢٢٦٨
ص . ب . ٥٧٤٠ هليوبوليس غرب
١٣ أ شارع إسلام – حمامات القبة – القاهرة